التقاليد المسيحية

في المناسبات الدينية والاجتماعية (سورية)








مجلس كنائس الشرق الأوسط

من تراثنا المشرقي

التقاليد المسيحية
في المناسبات الدينية والاجتماعية
(سورية)

تحرير :
عفاف ديب-قنديس، نسيب عون



مجلس كنائس الشرق الأوسط

الأمانة العامة
برنامج الدراسات والابحاث

تمّ إعداد هذا الكتاب بالتعاون بين

مجلس كنائس الشرق الاوسط

وعدد من كنائس المنطقة وبعض المؤسسات الثقافية الدولية،

المشار اليها لاحقاً

إن المعلومات الواردة في مختلف أقسام هذا الكتاب هي على مسؤولية جامعيها

وأعضاء لجنة الكتاب.

الطبعة الأولى، ٢٠٠٣

صدر الكتاب عن :

الأمانة العامة/ برنامج الدراسات والابحاث

بريد الكتروني kandis@cyberia.net.lb

المجموعة التي اشرفت على اصدار الكتاب :

المطران فرنسوا أبو مخّ

الارشمندريت يوحنا التلّي

الاب يعقوب فرجو سعيد

الدكتورة نزهة الياس

القاضي فارس صطوف

المهندس ملاتيوس جغنون

الآنسة عفاف ديب-قنديس

مديرة المشروع : الآنسة عفاف ديب-قنديس

مديرة برنامج الدراسات والابحاث في مجلس كنائس الشرق الاوسط

غربلة المعلومات وتصنيفها : الاستاذ نسيب عون

مراجعة وتحرير : الآنسة عفاف ديب-قنديس، الاستاذ نسيب عون

تنضيد وترتيب : الآنسة سيدة كوركجيان

المحتويات

مجلس كنائس الشرق الأوسط : تعريف موجز

مقدمة

ميزة مجلس كنائس الشرق الأوسط عن غيره من المجالس المماثلة في العالم أنه يغطي المنطقة التي حدث فيها التجسد وتمم المسيح خدمة الفداء. من فلسطين انطلق التلاميذ-الرسل القديسون مبشرين بالمسيح الفادي والقائم من بين الأموات. وفي الطريق من فلسطين الى دمشق دعا المسيح شاول فلبى النداء وأغمد سيف الاضطهاد رافعاً راية التبشير والولاء حتى الاستشهاد. وفي أنطاكية دُعي المؤمنون مسيحيين لأول مرة. فالكنيسة وُلدت وترعرعت في الشرق الأوسط، وفيه أيضاً جرت السجالات الكريستولوجية الأولى وحدثت أولى الانقسامات في الكنيسة.

لمحة تاريخية عن الحركة المسكونية في الشرق

يتعذر تحديد تاريخ بداية المصالحة بين فروع الكنيسة المجزأة.

أما في التاريخ الحديث، فقد تحقق عام ١٩٧٢ تقدم كافٍ في تحرك مختلف الكنائس نحو المصالحة والوحدة أدى إلى تكليف لجنة صياغة لتضع دستوراً وقوانين داخلية يُعتمد عليها لتأسيس مجلس يتمتع بأبعاد مسكونية كاملة في المنطقة.

تأسس مجلس كنائس الشرق الأوسط سنة ١٩٧٤ وحل مكان مجلس كنائس الشرق الأدنى الذي كانت الكنائس الإنجيلية قد أسسته في ما بينها في مطلع الستينات من القرن المنصرم، والذي ضم في وقت لاحق، إضافة الى عائلة الكنائس الإنجيلية، الكنيسة السريانية الأرثوذكسية. وانعقدت أول هيئة عامة لمجلس كنائس الشرق الأوسط في نهاية شهر أيار/مايو ١٩٧٤ في نيقوسيا، قبرص.

بُنيت هيكلية المجلس على مبدإ عضوية العائلة الكنسية. ويقصد بالعائلة الكنسية مجموعة من الكنائس لها شراكة عقائدية وقانونية كاملة بعضها مع بعض. هكذا تكوّن المجلس في بدايته من عائلات كنسية ثلاث : الأرثوذكسية (الإسكندرية، أنطاكية، أورشليم، قبرص) والأرثوذكسية الشرقية (السريانية، الأرمنية، القبطية) والإنجيلية (المُصلحة، الأسقفية، اللوثرية).

لكن المهمة لم تكن قد أُنجزت بعد. فقد كان الكاثوليك منذ البداية يراقبون سلسلة التطورات في المجلس، وانخرط منهم في عمل المجلس أفراد ذوو مكانة. وعقب كثير من الحوار والمفاوضات انضمت العائلة الكاثوليكية عام ١٩٩٠ فشكلت عائلة المجلس الرابعة، ما جعل منه هيئة شاملة.

مقر المجلس

مقرّه الرئيسي هو في بيروت (لبنان) وله مكاتب في : القاهرة (مصر)، دمشق وحلب (سورية)، بغداد (العراق)، عمان (الاردن)، القدس (فلسطين)، ليماسول (قبرص)، دبي (الامارات العربية المتحدة).

هدف المجلس

هدف المجلس هو وحدة الكنائس المسيحية في الشرق الأوسط، والمساهمة في تعزيز الحضور المسيحي في هذه المنطقة.

هكذا يعمل مجلس كنائس الشرق الأوسط

مجلس كنائس الشرق الأوسط هو المكان الذي تلتقي فيه كنائس المنطقة.

إن تركيبة المجلس على أساس «العائلة الكنسية» تؤكد الاجماع في الرأي والمشاركة في الجماعة. ولكل من العائلات، كبيرة كانت أم صغيرة، أصوات متساوية عند الاقتراع لاتخاذ أي قرار.

أما صناعة القرار وعمليات تنفيذ البرامج فمنظمة قانونياً وتبدأ مع **الجمعية العامة للمجلس**. تتألف هذه الهيئة من ٩٦ عضواً أي ٢٤ عضواً من كل عائلة كنسية، وهي تجتمع مرة كل أربع سنوات فتستعرض الأعمال التي أُنجزت وتقيّمها وتنتخب **رؤساء المجلس** بنسبة **واحد من كل عائلة**، كما تنتخب الأعضاء في **اللجنة التنفيذية**، وأيضاً الأمين العام للمجلس، وتعطي التفويض العام للأعمال التي يتوجب إنجازها خلال السنوات الأربع التالية. وفي الفترة الفاصلة بين دورتين، تخول **الجمعية العامة اللجنة التنفيذية** سلطة متابعة العمل وذلك بحسب ما ينص عليه النظام الداخلي للمجلس. ويشكل **الأمين العام والأمناء العامون** المشاركون الثلاثة (الذين تعينهم اللجنة التنفيذية) **أمانة عامة**، ويرفع الأمين العام تقارير دورية الى رؤساء المجلس الأربعة والى اللجنة التنفيذية.

عام ١٩٨٥ وُضعت هيكلية للمجلس تتناسب مع متطلبات عمله في حينه. وبناء عليها ينفذ المجلس برامج عمله من خلال :

١) الأمانة العامة؛

٢) ثلاثة أقسام هي : الإيمان والوحدة، التربية المسيحية، الحياة والخدمة؛

٣) ودائرتين هما : الإعلام والاتصال، الإدارة والمالية.

الدراسات والأبحاث، ناشرة هذا الكتاب، هي أحد برامج الأمانة العامة. يُطلِق هذا البرنامج العمل المشترك بين كنائس المنطقة ويُسهّله ويُتابعه، لإنجاز دراسات في التراث المشرقي المسيحي، وذلك بهدف توثيق المعلومات ونشرها بواسطة مختلف وسائل الاعلام من اجل تعريف من لا يعرفونها بها، وايضاً من أجل رفد العارفين بمعلومات صحيحة موثّقة. وكلنا أمل ان نتمكن، بواسطة هذه الدراسات، من ان نبدد بعض الجهل في ما يتعلق بالحضور المسيحي الحيوي والمتفاعل في منطقة كانت مهد المسيحية ومنطلقها الى العالم.

الهدف الأبعد مدى للدراسات، في التراث المشرقي المسيحي، هو المساهمة (من خلال التوعية والتعريف بالآخر) في تسهيل الحوار الدائر حالياً في المنطقة بين مختلف المجموعات الدينية.

برنامج الدراسات والابحاث

المساهمون في تغطية نفقات اصدار الكتاب

مجلس كنائس الشرق الاوسط

الكنيسة الارثوذكسية، وبخاصة مطرانية حمص، وقاعات الصليب في دمشق

الاتحاد العالمي للاتصال المسيحي « WACC» (انكلترا)

Aktie en ontgmoeting Dosterse Kerken (هولندا)

تغذية العقول « Feed the Mind » (انكلترا)

اعضاء المجموعة التي اشرفت على اصدار الكتاب

المطران فرنسوا أبو مخّ : دكتوراه في العلوم الشرقية الساميّة من روما، دكتوراه في اللاهوت من روما. اسقف متقاعد.

الارشمندريت يوحنا التلّي : ولد سنة ١٩٤٠ في دمشق. يحمل اجازة ودبلوم دراسات عليا في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع من جامعة دمشق، وإجازة في اللاهوت من جامعة أثينا. عضو لجنة التراث المسيحي - سورية، التابعة لمجلس كنائس الشرق الأوسط.

الاب يعقوب فرجو سعيد : ولد سنة ١٩٣٩ في القامشلي. حصل على شهادة أهلية التعليم الابتدائي وعمل في التعليم. له تاريخ طويل في كتابة المسرح الغنائي ومسرح خيال الظل ومسرح الدمى وأغاني الاطفال. رُسم كاهناً عام ١٩٩٢ لكنيسة السريان الارثوذكس في الحسكة. عضو لجنة التراث المسيحي - سورية.

الدكتورة نزهة الياس : استاذة في علوم اللغة العربية، جامعة دمشق. عضو لجنة التراث المسيحي - سورية.

القاضي فارس صطوف : ولد سنة ١٩٥٠ في حمص، إجازة في الحقوق ودبلوم دراسات عليا في القانون من جامعة دمشق. عضو لجنة التراث المسيحي - سورية.

المهندس ملاتيوس جغنون : ولد سنة ١٩٤٣ في اللاذقية. بكالوريوس في الهندسة المدنية من جامعة حلب. يهتم ويبحث ويحاضر، منذ العام ١٩٨٦، في الموضوعات الفكرية والفنية والأثرية المتصلة بالتاريخ السوري القديم. عضو لجنة التراث المسيحي - سورية.

الآنسة عفاف ديب-قنديس : إجازة في علم الاجتماع من جامعة ميسوري، أمريكا. مديرة برنامج الدراسات والابحاث في مجلس كنائس الشرق الأوسط. أطلقت مبادرة إنشاء لجنة التراث المسيحي (سورية) التي تشكلت بمباركة من رؤساء الكنائس الاعضاء في المجلس والتي مقرها سورية وبمساعدتهم. تعمل هذه اللجنة برعاية مجلس كنائس الشرق الأوسط.

نشرت الآنسة عفاف ديب-قنديس أبحاثاً في علم السكان في دوريات صادرة عن قسم الدراسات السكانية في اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا وعن منظمة العمل الدولية/المكتب الاقليمي للدول العربية، وذلك في الثمانينات والتسعينات من القرن العشرين.

الاستاذ نسيب عون (محرر) : ولد سنة ١٩٣٣ في العيشية (جنوب لبنان). دبلوم دراسات عليا في كل من الطباعة والصحافة والعلوم الاجتماعية من باريس (Estienne, INIAG, EHES, ESJ)، وهو أيضاً من دارسي اللاهوت. مارس الطباعة والصحافة والترجمة في لبنان وفرنسا، وتدريس تقنيات الطباعة والنشر في المعاهد والجامعات اللبنانية.

المعلومات والمشاركون في جمعها

المعروف والمتّبع علمياً، لتنفيذ مشروع مماثل لهذا المشروع، الاتفاق مع مؤسسة للدراسات الميدانية التي تقوم بتدريب كوادرها الضرورية وارسالها الى مختلف المناطق المعنية بالدراسة، للاتصال بمن يجب في كل منطقة ومقابلة من يتوجب بهدف جمع المعلومات المطلوبة.

تلك هي الطريقة الاسلم والاسرع، ولكنها ايضاً الاكثر تكلفة. ونظراً الى محدودية الموازنة التي لدينا، تقرر التوجه الى الكنيسة والطلب اليها المساعدة لتنفيذ هذا المشروع. وعليه قامت الآنسة عفاف ديب-قنديس، بصفتها مديرة برنامج الدراسات والابحاث في مجلس كنائس الشرق الاوسط وتالياً مديرة هذا المشروع، بزيارة شخصية للسادة رؤساء الكنائس في مختلف المدن السورية، طارحة اشكالية تنفيذ هذا المشروع على الارض وطالبة المساعدة لتحقيق ذلك. بالطبع كان التجاوب مع الطلب جيداً. وتجاوز الاستعداد للتعاون كل التوقعات، إذ اهتم بعض السادة الاساقفة والآباء شخصيًا بجمع المعلومات المطلوبة وارسالها الينا في بيروت، بينما التزم اساقفة وآباء آخرون بمتابعة الموضوع محلياً وتسهيل عمل المندوب او المندوبة المعيّن (ة) من قبلنا في العديد من المحافظات السورية.

وهكذا تطلّب تنفيذ هذا المشروع، ميدانياً، وقتاً أطول بكثير مما كان ينبغي، لانشغال المسؤولين الكنسيين، الذين تولوا متابعة الموضوع، بأمور فرضت أولويتها عليهم.

وكانت التعليمات التي تزوَّد بها جامعو المعلومات تقضي بملء الاستمارة، بأسئلتها المفتوحة، والتي وُضعت خصيصاً لهذا المشروع، من عيّنة عشوائية من كل طائفة من الطوائف الموجودة في كل منطقة (وهي هنا المحافظة). وقد ارفق المندوبون التقارير التي وضعوها بلائحة من اسماء الاشخاص الذين زودوهم بالمعلومات. ونورد هذه اللوائح في ملحق، في آخر الكتاب، مع الشكر والتقدير.

واذ نقدّر لجميع من عملوا معنا على الارض الجهد الذي بذلوه للحصول على المعلومات المتعلقة بالتقاليد والعادات في المناسبات الدينية والاجتماعية، في مختلف المناطق وبالنسبة الى المجموعات المسيحية المتنوعة، نورد في الصفحة ٢٣ اسماء الذين جمعوا المعلومات، والمحافظات التي غطوها، ونحيي في كل فرد منهم الالتزام الصادق.

السيدات والسادة الذين رفدونا بالمعلومات والصور

المحافظة	
دمشق	المطران يوسف المنيّر - الآنسة ندى أسعد* - الدكتور جوزيف زيتون* - الأستاذ كابي يوسف*.
ريف دمشق	الارشمندريت يوحنا التلّي - الحاجة بلاجيا سيّاف - الدكتور جوزيف زيتون* - الاستاذ فؤاد مسعد* .
حلب	المطران بطرس مراياتي - الارشمندريت سلوان موسي - الآنسة فريدة بولص* - المهندسة هوري عزازيان.
حمص	مثلث الرحمات المطران ألكسي عبد الكريم - المطران ابراهيم نعمة - المطران يوحنا اليازجي - الارشمندريت اثناسيوس فهد - الاستاذ تامر بيطار* - السيد حسان خوري.
حماة	الاب بولس قصرين*.
اللاذقية	المطران يوحنا منصور.
طرطوس	المطران مسعود مسعود.
الجزيرة	القس يعقوب فرجو سعيد* - الاستاذ كابي يوسف* .
حوران	الاب موفق العيد.

* كلف مجلس كنائس الشرق الأوسط / برنامج الدراسات والابحاث السيدات والسادة الذين وضعنا في نهاية اسمائهم هذه العلامة (*)، تكليفاً رسمياً لجمع المعلومات المطلوبة.

السيدات والسادة الآخرون اجابوا عن الاستمارة التي ارسلناها إليهم والمتعلقة بالتقاليد في الكنائس التي ينتمون اليها، او ارسلوا لنا صورا.

للجميع الشكر العميق و التقدير العالي.

تمهيد

إن التركيز على توثيق التقاليد المسيحية في المناسبات الدينية والاجتماعية، من قبل المفكرين المهتمين بالبحث وبدراسة التراث المسيحي غير المدون في سورية، بهدف نشره والتعريف به، دليل على الضرورة الملحة للحفاظ على هذه التقاليد وتعزيزها ازاء هجمة العولمة، ومن سلبياتها قولبة الثقافات وطمس معالمها التاريخية الاصيلة والمميزة.

منذ بضع سنوات، وفي اجتماع دعا اليه مجلس كنائس الشرق الاوسط / برنامج الدراسات والابحاث، وشارك فيه مفكرون من مختلف الكنائس المسيحية في سورية، اقترح الاب يعقوب فرجو سعيد تبنّي المجتمعين فكرة توثيق التقاليد المسيحية في المناسبات الدينية والاجتماعية، غير المدونة، وطلبَ مساعدة برنامج الدراسات والابحاث في مجلس كنائس الشرق الاوسط لبلورة هذه الفكرة وترجمتها الى مشروع عمل والالتزام بتمويل هذا المشروع وادارة ورشة تنفيذه.

في سياق بحث هذا الاقتراح، كان القاسم المشترك بين جميع الافكار التي وردت ونوقشت ذا شقين : الشق الاول يتمحور حول ضرورة الحفاظ على هذه التقاليد التي تعبّر عن ثقافة الشعوب وتعكس تفاعلها مع ما سبقها وواكبها من ثقافات؛ والشق الثاني يتمحور حول أهمية استعمال المعلومات التي ستتوافر للتعريف بالحضور المسيحي المتجذر والذي لا يزال مفعماً بالحياة في منطقة كانت مهد المسيحية وحاضنة انطلاقتها الى العالم. وعليه وافق المجتمعون بالاجماع على هذا الطرح وأبدوا الاستعداد الكامل للمساهمة في كل ما طلب منهم خلال عملية التحضير للمشروع وتنفيذه.

خلال فترة التفكير في آلية التنفيذ ومراحله، خطرت فكرة الاستفادة من التقنيات الحديثة ودرس إمكانية تصوير بعض مظاهر الاحتفالات الشعبية بالمناسبات الدينية والاجتماعية، والاتفاق مع احدى محطات التلفزة الفضائية لبث هذه التقاليد والعادات، في مناسباتها، مع ترجمة باللغة الانكليزية وربما بالفرنسية أيضا. لكن حساب القمح لم يطابق حساب البيدر، فألغي التفكير

من الاتصالات والدراسة، عاد التفكير بالموضوع. ولكن بعد فترة طويلة نسبياً من الاتصالات والدراسة، عاد التفكير بالموضوع. ورسا على توكيل شخص او اكثر من كل محافظة يصبّ في آلية جمع المعلومات، ورسا على توكيل شخص او اكثر من كل محافظة في سورية لجمع المعلومات المطلوبة عن تقاليد ابناء الكنائس في هذه المحافظة. فتم وضع استمارة لهذا الغرض مرفقة بلائحة أولية من الاعياد الدينية ومن المناسبات الاجتماعية المعروفة، على أن يستكملها جامع المعلومات اذا اقتضى الامر. وقد وردت سابقاً معلومات عن العمل الميداني ولائحة بأسماء الذين شاركوا في التنفيذ على الارض.

وصلت الينا كمية كبيرة جداً من المعلومات... مئات من الصفحات... وفي بعض التقارير معلومات اضافية ذات صلة بالموضوع. وكان التحدي في غربلة هذه المعلومات وفرزها وتصنيفها. فعمل الاستاذ نسيب عون في ذلك، وكتب المسودة الاولى عنها . بعد هذا، اشترك والآنسة عفاف ديب-قنديس في تحرير المسودة الاولى للكتاب الذي سيصدر عن هذا الموضوع ، بعد ان اضيفت اليها المعلومات عن سورية ومحافظاتها. وفي مرحلة تالية، اشترك اعضاء المجموعة التي تبنّت هذا المشروع، وبخاصة الاب يعقوب فرجو سعيد والقاضي فارس صطوف والمهندس ملاتيوس جغنون والدكتور جوزيف زيتون، في استكمال المعلومات التي وردت في مسودة الكتاب وفي إدخال بعض التعديلات. كما وضعت الدكتورة نزهة الياس تقديماً مناسباً له.

كان اهتمامنا، منذ البداية، دعم المعلومات بصور ملونة عمّا يمكن الحصول عليه من تقاليد يمارسها المسيحيون، خارج الكنيسة، في المناسبات الدينية والاجتماعية. لكن لم نحصل على كل ما نتمنى من الصور التي نريدها معبّرة، وقد أوردنا في هذا الكتاب ما استطعنا الحصول عليه منها.

في المحصلة، كان إنجاز هذا المشروع أمراً صعب التحقيق، نظراً الى قلة الامكانيات المادية المتوافرة، لكن الارادة الجماعية اثبتت فعاليتها في مواجهة التحدي...

وتوزعت الادوار، فعمل الامين العام لمجلس كنائس الشرق الاوسط القس الدكتور رياض جرجور على دعم المشروع مادياً من خلال اتصالاته الدولية: والتزم الزملاء العاملون في مكاتب المجلس في دمشق وحلب وكذلك اعضاء المجموعة

التي تبنّت هذا المشروع دعم تنفيذ العمل ميدانياً من خلال اتصالاتهم المحلية ومساهمتهم باعطاء المعلومات المطلوبة. كذلك ساهمت السيدة نجوي جريديني فرح بصور معبرة لبعض المناسبات الدينية والاجتماعية، كنا في أشدّ الحاجة اليها. والمهم ان سكرتيرة برنامج الدراسات والابحاث في المجلس، الآنسة سيدة كوركجيان، قد قامت بدور رئيسي في طباعة وتنضيد محتويات هذا الكتاب بتقنية عالية ضمنت له أناقة مميزة.

يبقى اخيراً ان نتوجّه بشكر خاص الى الفنانة والرسامة الملهمة زينالي أيوب على تصميمها غلاف الكتاب (جاكيت) بكثير من الذوق المعبّر.

فللجميع التقدير العالي والامتنان.

مديرة المشروع

تقديم

أمام كلّ عنوانٍ جديد، أو مطبوعة جديدة، يُسرع في الذّهن سؤالٌ، يستدعي البحثُ عنه رحلةً عبر أوراق تلك المطبوعة. ولقد تحوّل العديد من المقدّمات إلى تقليد تفترضه ضرورات العمل، أو تتطلّبه اعتباراتٌ مهنيّة، إنها تقدّم للقارئ، أو للمتلقّي، طَبَقاً سريعاً فيه مرورٌ يكاد يلامس برفق محطّات الكتاب كلها، بينما ينفرد بعضها بتقديمٍ هو أقرب إلى العرض...

بعيداً من كلّ ذلك، نتبادل المواقع مع القرّاء، ونطرح نحن السؤال المعتاد على ذواتنا، قبل المضيّ في دفع أوراق الكتاب التي فاق عددها توّقعَنا إلى المطبعة. ليس في مراجعة للذّات ولقد فعَلْنا مراراً، وليس في بُعدٍ نحاول فيه التحرّرَ من سطوة الأوراق التي بين أيدينا وقد باتتْ هاجساً من المسؤوليّة وخطوات موغلة في الالتزام، إنما في مراجعة دقيقة للإجابة، ردّاً منّا على السؤال الحقيقيّ : لماذا هذا الكتاب ؟

الحقيقة أنه أكثر من داعٍ، وأبعد من ضرورة. فالعادات والتقاليد هي ذاكرة الشّعوب المعاشة و المحكيّة، تترجم على أرض الواقع مراسم فرحٍ ينتظرها الصّغار ويحيلها الكبار، بكلّ الطفولة الموغلة في عمق الوعي لديهم، مواسم حبٍّ يخشون انقطاعها، ومحطّات خارجة على قانون الأيّام، وحكم العمر، وتسارُع مرور السنوات الباردة التي يسمّيها العالم، تجاوزاً، التقدّم في السّنّ... أو، على الأقل، هكذا يدّعون في محاولة منهم للتمسّك بالزّمن الذي يتسرّب من بين فرجات الأصابع حين تُطبق عليه ضغوطات الحياة... وهذه العادات والتقاليد هي، في هذه وتلك، إنّما تُشكّل إرثنا الحقيقيّ والمتبقّي وحده من ذكريات الزّمن الجميل... إنّها نسيج اشتركت في لحمته وسداه شعوب منطقتنا كلها في جوارٍ لا تجاور، وإخاءٍ لا تآخي، فكان من الطبيعي أن يُفضي في النهاية الى عيشٍ حقيقيّ مشترك، عفويّ وعاديّ، لا إلى تعايش؛ في أرقى وأبسط وأجمل صورة لأقدم حوارٍ للحضارات عرفته بلادنا منذ سحيق من الأزمان...

ولأننا نخاف على هذا الإرث، ولأننا نريده في حرزٍ من الأيّام، ولخوفٍ لا نداريه من أن تقضي قادماتها بما تحمل وتهدّد من نُظُمٍ وقوانين على ما تبقّى منه في الذّاكرة، وقبل أن تأتي السنون على تلك الذاكرة فتمسح ملامحه، في زمنٍ يهدّد ويعادي كلّ الخصوصيّات، ويخشى ملامح التفرّد أداةً للتميّز لدى أيّ من شعوب العالم في نتاجها الحضاريّ... ولأنّ العادات والتقاليد تاريخُ الشّعوب الذي لم يكتبه القادة ولا السّلاطين، رأينا أن ننقله من ذاكرة البشر الى وشمٍ مطبوعٍ بالحديد المحمّى، على جباه أوراق الزمن الأصيل الذي لن يرحل...

مولودنا الجديد هو هذا الكتاب... نأمل أن تروقكم ملامحه. ففيها عيون الآباء الذين مضوا... والجدّات اللواتي تستعيد ذائقتنا في كلّ موسمٍ وعيد طعم السّكر وربّما الملح أيضاً في ما كنّا نأكل من أيديهنّ حيث البركة... ألعلّه كان الخمير المقدّس ؟ مَن يدري !.. لكنّه في كلّ الأحوال كان الملح... فقبل أن يفسُد الملح نقدّم هذا السِّفر التراثي.

ن. إ.

(عن اللجنة المشرفة)

الفصل الأول

الإطار الجغرافي والخلفية التاريخية لسورية ومحافظاتها

I

سورية

الإطار الجغرافي

وصف المؤرخ نقولا زيادة موقع بلاد الشام الجغرافي، قال : «بين أرض الرافدين ووادي النيل شريط من الارض غريب في تكوينه هو أشبه بالهلال شكلاً إذ يصل بين الأولى والثانية، على أنه كي يكون له شأن خاص انتهى في طرفيه ببادية في الشرق هي بادية الشام، وصحراء في الغرب هي صحراء سيناء»[1].

هذه الارض الاستراتيجية الموقع تحتضن ما يُعرف اليوم بالجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية، إضافة الى المملكة الاردنية الهاشمية ودولة فلسطين...

تبلغ مساحة سورية ١٨٥،١٨٠ كلم٢ وعدد سكانها حوالي ١٧،٠٠٠،٠٠٠ نسمة[2]. عاصمتها دمشق، وهي من أقدم المدن المأهولة في العالم. ومن مدنها حلب، حمص، حماة، اللاذقية، طرطوس، إدلب، الحسكة، دير الزور، الرقة، درعا، السُويداء، القنيطرة.

الخلفية الزمنية في ومضات

كان هذا الموقع الجغرافي من الاسباب التي جذبت الغزاة الذين تعاقبوا على هذه الارض منذ الألف الثالث قبل الميلاد، فتأثرت سورية بالحضارات المختلفة لهذه الشعوب، وكان لحكم الدولة السلوقية (٣١٢-٦٤ ق. م.) أثر عميق في تفاعل الحضارتين الاغريقية/الهلينية والشرقية. وفي العام ٦٣ قبل الميلاد احتل الرومان سورية فازدهرت تحت الحكم الروماني وشهد الجزء الجنوبي منها نشوء الديانة المسيحية خلال تلك الفترة.

انتشرت المسيحية في سورية على أيدي الرسل القديسين وفي مقدمتهم القديس بولس الذي اهتدى الى المسيحية في دمشق وكرز فيها بين جماعات اليهود،

١. نقولا زيادة. *المسيحية والعرب*، قَدْمُس للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ٢٠٠٠، ص ١٤.
٢. المجموعة الاحصائية، *تقدير عدد السكان في منتصف عام ٢٠٠٢*، المكتب المركزي للاحصاء، دمشق، سورية.

الدليل الجغرافي



والقديس بطرس الذي أسس كرسي أنطاكية الرسولي في سورية. «ومن هذه الأرض تحققت عالمية الرسالة الانجيلية بالأفعال»[١].

من دمشق خرج العديد من القديسين ومنهم يوحنا الدمشقي، اللاهوتي المميز الذي كان وزيراً للدولة الاموية. وفي العصر البيزنطي (٣٣٤-٦٣٧) اضحت دمشق حاضرة مسيحية، ازدهرت فيها ومن حولها الكنائس والأديار الرهبانية[٢].

ينسحب هذا الواقع على المناطق السورية كافة. لقد انتشرت المسيحية في هذه البلاد في العقود الاولى من القرن الاول. فمن التقاليد المتداولة «ان القديس توما هو رسول القلمون الاول... ما أدى الى تشييد كنائس ومصليات عديدة على اسمه في معلولا وجبعدين وعين التينة وصيدنايا... فيمكن أن الرسول قد تبع في طريقه الى الهند الجادة الرومانية الكبرى التي كانت تمر في بصرى والشام وتدمر، مكونة حلقة اتصال بطريق خليج فارس التجارية... زارعاً بشارة الانجيل»[٣].

وصلت البشارة الانجيلية الى حوران، الواقعة على مقربة من فلسطين، في عهد الرسل. وقد شيدت فيها الكنائس والاديار، و«بلغت النصرانية في ق ٥ و٦ كل قرى حوران ومدنها...»[٤].

أما بانياس (الجولان)، وكانت تُعرف بقيصرية فيليبُّس، فقد قدم اليها السيد المسيح مبشراً أهلها، وفيها أعلن الرسول بطرس لاهوت المسيح. وفي عهد قسطنطين الكبير «تحولت منطقة الجولان برمتها من الوثنية الى النصرانية»[٥].

دخلت المسيحية سورية الوسطى في عهد مبكر، «فمنهم من يقول على يد بطرس الرسول ويوحنا الانجيلي، أو على يد كيفا، أحد التلاميذ السبعين، الذي نادى بالانجيل في حمص والرستن وحماة وتوفي في شيزر»[٦].

---

١. البطريرك أغناطيوس هزيم. كلمته في الكاتدرائية المريمية في مناسبة زيارة قداسة البابا يوحنا بولس الثاني لسورية.

٢. الاب متري هاجي أثناسيو. موسوعة بطريركية *انطاكية التاريخية والآثارية. سورية المسيحية في الالف الاول الميلادي.* المجلد الخامس، ١٩٩٧، ص ١٨.

٣. *المرجع السابق*، ص ٢٤٧.

٤. *المرجع السابق*، ص ٣٧٤-٣٧٥.

٥. *المرجع السابق*، ص ٦٨٧.

٦. *المرجع السابق*، المجلد الثالث، ص ١٦.

كذلك بلغت المسيحية الساحل السوري في أواسط القرن الاول، ووصلت الى حلب ربما مع سمعان الغيور، أحد الاثني عشر رسولاً، فكانت كرسيّاً اسقفيّاً مميزاً منذ القرون الأولى للمسيحية[١].

عام ٣١٣ أصدر الملك قسطنطين الكبير براءة ميلانو، مانحاً جميع المواطنين حرية العبادة. لكن شهدت هذه الفترة التاريخية بعض التراجعات بالنسبة الى أحوال المسيحيين، فالملك يوليانس الجاحد حاول إعادة أمجاد الوثنية والقضاء على المسيحية ومعالمها خلال فترة حكمه (٣٦١-٣٦٣). وفي النزاع الفارسي-البيزنطي تعرضت دمشق لغزوات الفرس منذ سنة ٥٤٠، فأحرقت ودُمّرت الى أن استرجعها الملك البيزنطي هرقل سنة ٦١٤[٢]. ومنذ دخول العرب المسلمين الى دمشق عام ٦٣٥، توالى على حكم سورية حكام عديدون منهم المتعسف دينيًّا ومنهم المتسامح، ومن ثمّ وقعت هذه البلاد تحت الانتداب الفرنسي الى أن نالت استقلالها عام ١٩٤٦.

على مرّ الزمان، خصوصاً في بداية القرن العشرين، أُجبرت مجموعات مسيحية على مغادرة مدنها وقراها الأصلية في الامبراطورية العثمانية المنهارة، بسبب الاضطهاد والعنف، فلجأت الى دمشق وحلب وحمص والى أماكن أخرى في المنطقة. ففي سورية، إذن، وجدت هذه الجماعات ملجأ تعيش فيه بأمن وسلام[٣].

واليوم تحتضن سورية مجموعات سكانية فاعلة ومتفاعلة تنتمي الى مختلف الطوائف المسيحية، والى مختلف الطوائف الاسلامية وغيرها.

---

١. *المرجع السابق*، المجلد الاول، ص ٥٨٣.

٢. *المرجع السابق*، المجلد الخامس، ص ١٩ و٢٠.

٣. البابا يوحنا بولس الثاني. كلمته في اللقاء المسكوني في بطريركية الروم الأرثوذكس، دمشق، السبت ٥ أيار ٢٠٠١.

II

دمشق الشام، شامة الدنيا

موقعها

مدينة دمشق[1] هي من اقدم المدن الباقية واكثرها عراقة.

تقع دمشق على خط العرض ٣٣،٣٠ شمالاً وعلى ارتفاع ٧٠٠ م تقريباً عن سطح البحر في واحة يرويها نهر بَرَدى، عند المنحدرات الشرقية لجبال لبنان الشرقية وفي بداية تلك السهول الواسعة الممتدة نحو الشمال الشرقي حتى الفرات، وجنوباً حتى قلب الجزيرة العربية. عدد سكان محافظة دمشق حوالي ٢،١،٦٥٣،٠٠٠[2].

وقد امتدت دمشق واتسعت بشكل واسع في مختلف الاتجاهات حتى كادت أطراف المدينة تتصل بضواحيها. ومنطقة دمشق تتميز بظاهرة التنوّع الجغرافي، فهي تضم جزءًا من أراضي الغوطة الخضراء، نشأت فوقه مدينة دمشق وترعرعت، وجزءًا من جبال القلمون الجرداء، نمت على سفوحه المدينة واتسعت.

دمشق المسيحية

تُعدّ دمشق من الناحية المسيحية مدينة مقدّسة، كونها من أعظم مدن العالم التي شهدت للمسيح، وكانت ناقلة أمينة للشهادة وبوابة عبور للمسيحية إلى كل أصقاع الأرض.

هي مدينة حنانيا الرسول (أول أساقفتها)، الذي سمع بمعجزات الرب يسوع قبل صعوده إلى السماء. فذهب إلى أورشليم ليعاينها، ثم عاد مبشراً بالمسيح في مدينته دمشق. وعلى يديه جرى عماد شاول الطرسوسي الذي كان من أشرس مطاردي المسيحيين ومضطهديهم، فانقلب رسولاً للجهاد الأمين، واصبح اسمه بولس الرسول. وقد تمّ عمادُه في بيت يهوذا في الشارع المستقيم بدمشق (محلة مئذنة الشحم، بالقرب من الكاتدرائية المريمية).

---

١. جوزيف زيتون، ٢٠٠٠. مقتطفات من تقرير وضعه الكاتب، بتكليف من مجلس كنائس الشرق الأوسط/ برنامج الدراسات والابحاث،حول التقاليد والعادات المسيحية المتبعة في المناسبات الدينية المسيحية والاجتماعية في محافظة دمشق. غير منشور. مع بعض الاضافات.

٢. المجموعة الاحصائية، مرجع سابق.

في شوارع دمشق وأزقتها تجوّل بولس الرسول، ثم هرب منها عندما حاول اليهود والرومان قتله، فتدلى بسلّ كبير من فوق باب بولس (دوار المطار) واتجه إلى حوران مبشراً، ثم عاد الى دمشق وانطلق منها إلى شمال سورية وانطاكية حيث أسس وبطرس الرسول كرسيها البطريركي ومنها انتقل إلى آسيا الصغرى وقبرص وأوروبا، وأخيراً استشهد في روما.

دمشق هي مدينة القداسة، مدينة أعظم كاتدرائية في العالم وأكبرها وأقدمها على الإطلاق، هي كاتدرائية يوحنا المعمدان، بعدما وضع الأمبراطور ثيوذوسيوس الكبير رأس يوحنا المعمدان فيها، وقد كانت تشكل ربع مساحة دمشق وقتها (وهي الآن الجامع الأموي). وكان فيها زمن الفتح الإسلامي ٣٠ كنيسة، عدا عن ١٨ كنيسة في غوطتها وعشرات الأديار في محيطها.

ودمشق مقرّ الكرسي الانطاكي المقدس للروم الأرثوذكس منذ ١٣٤٤، ومقرٌّ بطريركي للروم الكاثوليك منذ ١٨٣٤، وللسريان الأرثوذكس منذ ١٩٥٨.

كما أن دمشق هي مدينة الشهداء من أجل المسيح؛ ومنهم - وهم مئات الألوف - القديس الشهيد في الكهنة يوسف الدمشقي ورفاقه والاخوة مسابكي ورفاقهم من الطوائف المختلفة، شهداء ١٨٦٠. وقد طوّبهم المجمع الانطاكي الأرثوذكسي شهداء دمشقيين. وفي القرن العشرين ثلاثة من الشهداء الكهنة لم يُطَوّبوا قدّيسين، هم نقولا وابنه حبيب خشة وسليمان سويدان.

إن مواكب الشهداء المسيحيين الدمشقيين عبر تاريخ المسيحية شكلت تراب أرض دمشق من أجسادهم. فاحذر وخفّف وطأك واخلع نعليك، لأنك في أرض القداسة والطهر.

تركيبة سكان دمشق

لم ينقطع تيار الهجرة من دمشق وإليها. وقد أعطت الهجرات القديمة هذه المدينة بعض عناصر سكانها.

نشأت الهجرة إلى دمشق لأسباب سياسية محضة وحملت اليها عناصر وافدة بأعداد وفيرة أحيانا، كالأرمن والأكراد والشركس، وحملت إليها عناصر عربية

من بلاد الجزائر وفلسطين. هذه العناصر الوافدة إلى دمشق وصلت في عهود مختلفة، واكتسب معظمها الجنسية السورية.

ترجع هجرة الجاليات القديمة إلى المدينة إلى أواخر العهد العثماني وعهد الانتداب الفرنسي، وأهمها الجالية اليونانية التي قدمت من تركيا وبلاد اليونان في أعقاب الحرب العالمية الأولى، على أثر المعارك التي دارت بينهم وبين الأتراك. وقد استقر هؤلاء اليونان في حي القصاع، ولا يزيد عددهم حالياً على ٢٥٠ شخصاً وكان لهم ناد رياضي (نادي أبولون) ومدرسة (مدرسة الرجاء)، وهي باقية بإدارة الجالية اليونانية.

اما الجالية الفرنسية فقد وصل عددها إلى بضعة آلاف خلال عهد الإنتداب الفرنسي، وسكن معظمهم حي الشهداء، فساعدوا على نشأة هذا الحي وعمرانه، لكنهم رحلوا جميعاً بعد الاستقلال ولم يبقَ منهم سوى أفراد قلائل يقومون برعاية مدارسهم التبشيرية ومؤسساتهم العلمية.

وكذلك حال الجاليتين الإيطالية والروسية، اللتين استقرّتا في حي الشهداء أيضاً، فأنشأت الجالية الإيطالية مدرسة ومستشفى (في العام ١٩١٣) ووصل عددها إلى بضع مئات كانوا يعملون في الأعمال الصناعية، وقد أخرجتهم السلطات الفرنسية والإنكليزية إبان الحرب العالمية الثانية.

أما الجالية الروسية فقد قدمت بعد سقوط الحكم القيصري في روسيا ونجاح الثورة الشيوعية، لكن القسم الأعظم منها هاجر إلى أميركا، ولم يبقَ في دمشق سوى النساء المتزوجات من أبناء البلاد.

ويمثل المهاجرون إلى دمشق من خارج سورية ما يقرب من عشر سكان دمشق (٩,١ بالمئة)[١] وهي كما تبدو نسبة مرتفعة جداً، سيما إذا قارنّاها بمثيلتها في مدينة حلب، عاصمة الشمال، التي لا تزيد نسبة المهاجرين إليها من خارج سورية عن ١,١ بالمئة.

---

١. الدكتور صفوح خير، ١٩٨٢. مدينة دمشق، دراسة في *جغرافية المدن*. دمشق، وزارة الثقافة.

التكوين الديني للسكان

تدين بالاسلام أغلبية سكان دمشق، وتبلغ نسبة المسيحيين الآن حوالي ١٠,٥ بالمئة على أرض الواقع ووفق التقديرات الكنسية. كانت هذه النسبة ١٤,٥ بالمئة في تقديرات عام ١٨٤٠. ويمكن تفسير هذا الهبوط في نسبة المسيحيين الى الهجرة الخارجية، إذ هاجرت عائلات كثيرة منهم، وبخاصة من الارثوذكس، الى بيروت ومصر في زمن العثمانيين هرباً من الخدمة العسكرية. وقد تحولت هذه الهجرة بعد الحرب العالمية الأولى نحو اليونان ودول أميركا الجنوبية ومؤخراً الى أوروبا.

من ناحية أخرى، يمكن تفسير ارتفاع نسبة المسلمين بأن الديانة الإسلامية تحض على الزواج والتناسل، كما تبيح تعدّد الزوجات، إضافة الى هجرة أبناء الريف المسلمين الى دمشق بأعداد وافرة واستقرارهم فيها نهائياً.

الغالبية العظمى من مسيحيي دمشق هي من الروم الأرثوذكس، يليهم الروم الكاثوليك، إضافة إلى نسب أخرى من السريان الأرثوذكس والسريان الكاثوليك والموارنة والأرمن الأرثوذكس والأرمن الكاثوليك والكلدان واللاتين والإنجيليين.

ويمكن تقسيم مسيحيي دمشق إلى فئتين اثنتين :

١. الأولى وهي أصيلة : مؤلفة من الروم الأرثوذكس ثم الروم الكاثوليك فالسريان الكاثوليك فالسريان الأرثوذكس فالأرمن الأرثوذكس والكاثوليك فالموارنة واللاتين والكلدان وأخيراً الانجيليين.

٢. الثانية وهي وافدة، على النحو التالي :

أ) روم أرثوذكس : من محافظات حمص وحماة واللاذقية وطرطوس وجبل العرب وحوران ومن لواء الإسكندرون عام ١٩٣٩، (وكيليكيا من عرب ويونان، عام ١٩٢٢).

ب) روم كاثوليك : من حوران ثم جبل العرب فحمص.

ج) سريان أرثوذكس : من الجزيرة السورية وبعض قرى حمص.

د) الموارنة : من قرى البساتين وضهر صفرا في طرطوس وعين حلاقيم من حماة.

إضافةً إلى الهجرة الأرمنية وتحديداً عام ١٩١٥، كنتيجة للمذابح التركية.

لذا تتباين العادات والتقاليد في المناسبات الدينية المسيحية والمناسبات الاجتماعية في هذا الخضم من الطوائف المسيحية، مع تماثل شبه كامل بين الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك.

II

ريف دمشق

تمهيد

كانت محافظة دمشق[1]، حتى صدور قانون الإدارة المحلية في سورية عام ١٩٧٣، تشتمل على دمشق وريفها، إلى أن فُصِلَ الريف عن المدينة وشُكلت محافظتا دمشق وريف دمشق. ويقدر عدد سكان محافظة ريف دمشق بحوالي ٢،٢٣٥،٠٠٠ نسمة[2].

يُعدّ ريف دمشق من المناطق المصدّرة للسكان، بحثاً عن العمل، إما إلى دمشق وإما إلى دول الاغتراب التقليدية، بهجرة دائمة وبنسب تتفاوت بين منطقة وأُخرى، أو إلى الدول الخليجية بهجرة مؤقتة. ويجب الإشارة إلى أن نسبة الاغتراب، بشقّيه، أعلى عند المسيحيين منها عند المسلمين، كما أن نسب عودة المسلمين إلى بلداتهم أكبر من نسب عودة المسيحيين.

نشير في ما يلي الى القُرى المسيحية أو التي فيها نسبة مسيحية من السكان، في نسيج المدن والبلدات والقُرى في محافظة الريف، في الاتجاهات الجغرافية المحيطة بدمشق. ثم نعرّج في بحث خاص على العادات والتقاليد في المناسبات الدينية والاجتماعية، التي تتميز بها محافظة ريف دمشق. حيث أن معظم المسيحيين فيها يعتمدون عادات تكاد تكون مماثلة.

القرى المسيحية أو التي فيها مسيحيون في ريف دمشق

على هذا نعتمد التقسيم الجغرافي التالي :

١. منطقة القلمون : إلى الشمال من مدينة دمشق، وتقع معظم البلدات فيها إما على الأوتوستراد المتجه من دمشق إلى المحافظات الوسطى والساحلية والشمالية والشرقية، وإما بواسطة مفارق الطرق على هذا الأوتوستراد. والبلدات هي، من الأبعد فالأقرب: قارة، دير عطية، النبك، يبرود، ثم نتجه غرباً نحو معلولا ومنها عبر الجبال أيضاً إلى صيدنايا فمعرة صيدنايا ثم معرونة.

---

١. جوزيف زيتون، ٢٠٠٠. عن ريف دمشق، مرجع سابق.

٢. المجموعة الاحصائية، مرجع سابق.

٢. منطقة **الغوطة الشرقية** : بلدتا عربين وحرستا.

٣. منطقة **الغوطة الغربية** : بلدتا داريّا و صحنايا.

٤. منطقة **جبل الشيخ، قضاء قطنا** : قطنا وقلعة جندل، جديدة عرطوز، عرنة، عين الشعرة، حينة.

٥. منطقة **الزبداني** : وفيها الزبداني، بلودان (سلسلة جبال لبنان الشرقية).

المعالم المسيحية التاريخية الشهيرة في محافظة ريف دمشق

بداية، من المهم الاشارة الى المعالم المسيحية التاريخية الشهيرة التي لا تزال حية تقام فيها الصلوات وتعجّ بالحجاج اليها طوال أيام السنة، وبصورة مكثفة في الاعياد الخاصة بهذه الاماكن.

١. تشتهر مدينة النبك بدير مار موسى الحبشي[1]، وهو من أديار السريان الكاثوليك.

٢. تُعَد بلدة معلولا من أقدم المناطق المسكونة في الشرق الأوسط منذ سنة ٥٠٠٠٠ إلى ٦٠٠٠٠ ق. م. فقد سكن الإنسان في كهوفها الموجودة في بطون جبالها ولا يمكن الصعود إليها إلا بسلالم مرتفعة جداً. وكان يلجأ إليها السكان كلما وقعوا في ضيق.

اشتهرت معلولا بجودة هوائها وعذوبة مائها، إضافة إلى احتفالاتها الدينية بأعياد الصليب، مار تقلا، مار سركيس، إذ تزحف إلى البلدة ألوف من كل المناطق في سورية ولبنان والأردن لحضورها.

تشتهر معلولا بدير القديسة تقلا البطريركي الأرثوذكسي وفيه مغارة القديسة حيث عاشت، وبجانبها نبع ماء عذب يقطر من سطح المغارة ودير للراهبات فيه ميتم، وهو يعود إلى القرن الرابع، ويُعتبر من أوائل الأديار في بلاد الشام،

---

١. يقول المهندس ملاتيوس جغنون أن مار موسى لم يكن حبشيًا، كما تزعم بعض الروايات عن أصله. ولكن لفظة حبشي اللاحقة باسمه أصلها سرياني (حبيشو) وتعني الحبيس: أي الناسك المنقطع عن العالم في محبسة طوعية. وموقع الدير النائي والمنعزل يؤيد هذا التأويل.

وبجانبه فجّ **معلولا** الشهير الذي هربت القديسة تقلا خلاله من مطارديها، ثم لجأت إلى المغارة في بطن الجبل وعاشت فيها. أما **دير مار سركيس** للروم الكاثوليك (سرجيوس وباخوس) فيقع على القمة الغربية مقابلاً لدير مار تقلا بعلو ١٧٩٢م وفيه أقدم مذبح.

٣. تشتهر بلدة صيدنايا بأديارها وكنائسها، ومن أهمها :

دير السيدة : بُني على ذروة أكمة صخرية شاهقة منعزلة عما حولها بأودية سحيقة، وكأنه حصن حربي منيع. هندسته تابعة لتعاريج الصخر. صعب المرتقى، مرتفع الأسوار، لا مدخل له إلا من باب صغير واطئ يفضي إلى دهليز ضيق يصعد بعد قليل إلى ساحة صغيرة فيها كنيسة الدير وبجانبها مقام السيدة (الشاغورة: وهي كلمة سريانية الأصل تعني المشهورة) وفيه أبنية قديمة ذات غُرَف صغيرة بأبواب ضيقة، يبلغ عددها ٣٠٠. والدير غني عن التعريف وله سمعة مشهورة، سيما في عهد الفرنجة (الصليبيين) إذ كان لا يكتمل حجّهم إلى القدس إلا بالحج إلى صيدنايا والتبرّك بديرها الشهير. ولا يزال عيد السيدة يُسمى عيد الحج، وتقام فيه الدبكات والأفراح.

أما **غرفة الشاغورة** فهي غرفة صغيرة مظلمة لا تزال تُضاء بالشموع والزيت، وذات سقف معقود، تتدلى منه مصابيح عديدة مملوءة بالزيت، أبعادها ٣/٤ م وفي جدارها الشرقي كوة ذات شبك من الفضة، عُلّقت فوقه قطع وسلاسل ذهبية وفضية وصلبان مختلفة الأشكال وفيها أيقونة للسيدة وهي تُرضع طفلها، من رسم القديس لوقا، ويرشح منها الزيت أحياناً. وفيها صورة تمثل شقيق صلاح الدين، وقد كان مريضاً ونال الشفاء في الدير الذي وهبته شقيقته خاتون ٥٠ كيلة من الزيت سنوياً. وبجانبه توجد المدرسة التي كانت قد بنتها الجمعية الامبراطورية الفلسطينية الأرثوذكسية الروسية في أوائل القرن العشرين. وفي داخل الدير ميتم للبنات.

الاحتفالات المتميزة ببعض الاعياد في محافظة ريف دمشق

١. عيد القديس جاورجيوس (٢٣ نيسان أو ٦ أيار).

تحتفل به البلدة وزوارها احتفالاً مميزاً ينتهي بمسيرة (عراضة) الى دير السيدة.

٢. عيد صيدنايا (عيد ميلاد السيدة، ٨ أيلول).

يسمى أيضاً عيد الحج. كان الناس ولا يزالون يحجّون في هذا العيد من كل المناطق إلى دير السيدة في صيدنايا.

٣. عيد الصليب (١٤ أيلول)[١].

تذكار سنوي لاسترجاع عود الصليب وإعادته الى الجلجلة في فلسطين. وهو مناسبة استثنائية في بلدة معلولا السورية.

---

١. نورد في الفصل الثاني مقتطفات من ريبورتاج عن الاحتفال بهذا العيد، وضعه الصحافي فؤاد مسعد، بتكليف من مجلس كنائس الشرق الأوسط/برنامج الدراسات والأبحاث، مع بعض الاضافات.

IV

حلب الشهباء، مسكونية بامتياز

مقدمة [1]

تُعَد حلب تاريخياً من أقدم المدن. وقد ذكرها كثيرون، ومنهم شكسبير. تتوسطها قلعتها الشهيرة التي يؤمها السياح وأبناؤها. وليست القلعة وحدها المكان الأثري، بل هناك معالم أثرية أُخرى كثيرة.

وأهل حلب فخورون بمدينتهم وبكل ما فيها، وقد قيل : «حلب أم الدنيا، ما في مثل مناخها وأهلها وأكلها»... أغلب سكانها إما من حلب أصلاً وإما نازحون من لواء اسكندرون السليب وكيليكيا أو من الجزيرة العليا في الشمال الشرقي السوري أو من الجزيرة السورية الحالية.

موقعها

تقع مدينة حلب شمال غربي سورية، على ارتفاع ٤٦٧ م. وهي ثانية مدن الجمهورية من حيث الأهمية. تتضمن محافظة حلب ٨ مناطق : جبل سمعان ومدينة حلب، عفرين، إعزاز، الباب، جرابلس، منبج، عين العرب، السفيرة. عدد سكان محافظة حلب حوالي ٣،٧١٩،٠٠٠ نسمة[2] وقد كانت محط رحال القوافل في ذهابها وإيابها بين دمشق والعراق وأرمينيا وما بين النهرين[3].

مسكونية متحركة وفاعلة

حلب مدينة مسكونية بامتياز، تحتضن سائر الطوائف. وللدين شأن عظيم عند مسيحيي حلب. فهم مؤمنون يحبون الصلاة والصوم والحياة المسكونية. وروح المسكونية رائعة بين رجال الدين والشعب. أنشطتهم كثيرة ومتميزة والعاملون فيها نشطون، وأنت ترى التبادل الثقافي بين الكنائس وبخاصة بين العلمانيين.

---

١. مقتطفات من تقرير وضعته الآنسة فريدة بولص بتكليف من مجلس كنائس الشرق الاوسط/برنامج الدراسات والابحاث حول التقاليد والعادات المسيحية المتبعة في المناسبات الدينية والاجتماعية في محافظة حلب. غير منشور. مع بعض الاضافات.

٢. المجموعة الاحصائية، مرجع سابق.

٣. الاب متري هاجي أثناسيو. مرجع سابق، المجلد الأول، ص ٥٨٠.

فهذا المحاضر تراه يتجول ويُحاضر : اليوم في أحد أنشطة هذه الكنيسة وغداً في كنيسة أُخرى. كما أن هناك الكثير من الزيجات المختلطة، والعادات متشابهة جداً. فالسرياني يتزوج من لاتينية والكلداني من أرمنية والكاثوليكي من أرثوذكسية والإنجيلي من كاثوليكية أو أرثوذكسية وهلمَّ جراً. لذا تجد منذ القدم أن تقاليدهم وعاداتهم متشابهة، وإن وجد بعض الاختلاف فذلك نتيجة تأثرهم بمن حولهم أو انتقال بعض المسيحيين من الرها أو من مناطق أُخرى من جنوب تركيا حالياً أو من الجزيرة شمالي شرقي سورية. وإذا كان قد طرأ بعض التغيير على عادات بعض الفئات وتقاليدها، فإن معظم الحلبيين متمسكون بها حريصون عليها حرصهم على تراثهم القومي ومعتقداتهم المقدسة. وعندما نسمع بعض الأمثال الشعبية أو المدائح نتأكد من تديّنهم وقربهم من الكنيسة ومن ثم حبهم للبهجة والسرور والنزهة والأكل.

ففي مدح الأطعمة نقرأ الكثير في الأدب الشعبي الحلبي وأغلبه يشير إلى ما للدين من شأن عظيم. وفي ما يلي بعضه :

في مدح محشي الكوسا : أطيب ما أطعم موسى ... من المن والسلوى

في مدح المامونية : المامونية صلاتي ... فرضي مع خمس أوقاتي

في مدح السنبوسك : يا مَن عامل سنبوسك ... أنا دخيل قسوسك

يقع حي **الصليبة** في حلب في القسم الجنوبي من محلة الجديدة، حيث يتقاطع فيه شارعان رئيسيان، ما جعل المنطقة تُدعى «الصليبة»، وقد قامت حولها كنائس الطوائف المختلفة من أرمن وسريان وروم وموارنة، وكان هناك عدد وافر من العائلات المسيحية ما زال بعضها يسكن في محلة الجلوم داخل أسوار المدينة القديمة، ويُذكر أن نسبة المسيحيين كانت كبيرة، أي حوالي ٢٥ بالمئة من عدد سكان حلب عام ١٦٥٧.

الأرمن في أبرشية حلب وتوابعها

تضم أبرشية حلب وتوابعها بين ٥٥٠٠٠ و ٦٠٠٠٠ ألفاً من الأرمن الأرثوذكس يتمركزون على نحو رئيسي في حلب – مقر الأبرشية – وفي المحافظات التالية :

الحسكة (قامشلي، مالكية، رأس العين)، الرقة (تَل أبيض، عين عرب)، دير الزور، اللاذقية (كسب، الغنمية، عرامو)، طرطوس، بانياس، إدلب (اليعقوبية).

يعود وجود الأرمن في المناطق المذكورة إلى عصور موغلة في القدم، إلا أن الهجرات الأرمنية الكبيرة إلى سورية وقعت إثر المجازر الرهيبة والتهجير القسري الذي تعرَّضَ له السكان الأرمن في تركيا سنة ١٩١٥، فتكونت جاليات أرمنية كبيرة بخاصة في حلب، ثم في منطقة الجزيرة السورية والساحل السوري ومدينة دمشق وضواحيها.

أما طائفة الأرمن الكاثوليك في حلب فتتألف من الأرمن الحلبيين القدماء ومن الأرمن الوافدين بعد أحداث ١٩١٥، وقد جاؤوا من أماكن مختلفة : عنتاب، أورفة، ديار بكر، ماردين...

لقد جلب المهجرون الأرمن معهم العادات والتقاليد الشعبية الأرمنية التي تعبِّر عن شخصية الشعب الأرمني، فضلاً عن إيمانه ومفهومه لمختلف مظاهر الحياة. في الواقع بدأت هذه العادات والتقاليد الشعبية تنتشر وتتفاعل ثم تتأثر بنمط الحياة المعاصرة، ومع ذلك فهي تحافظ على مكانتها في حياة الأرمن.

من المعالم التاريخية الشهيرة في حلب قلعة وكنيسة سمعان العمودي : تقع على بعد حوالي ٤٠ كلم إلى الشمال الغربي من حلب. ولد سمعان نحو سنة ٣٨٩ وترهَّب وتنسَّكَ في الجبل وعاش ٣٧ سنة على عمود من الحجر. وقد بنيت حول العمود كنيسة كبيرة يحيط بها دير واسع، ويُعَد الدير والكنيسة من روائع الهندسة المسيحية السورية. يقام في الكنيسة قداس احتفالي بتاريخ ١ ايلول، عيد القديس سمعان العمودي.

الاحتفالات المتميزة ببعض الأعياد في محافظة حلب

عيد القديس جاورجيوس (٢٣ نيسان أو ٦ أيار) : يكرم جميع أهل حلب القديس جاورجيوس ويسمونه مار جرجس الخيال، وإذا طلبوا منه شيئا قالوا :«أي مار جرجس الخيال هزّ رمحك وأظهر قدرتك». ويكرمه المسلمون أيضا ويسمونه الخضر.

عيد مار الياس (٢٠ تموز) : تقام احتفالات شعبية تتخللها انشطة ثقافية وشبابية.

القديسة أنا (حنّة) (٣٠ آب) : الاحتفال بهذا العيد مميز في اليعقوبية (جسر الشُغور).

٧

حمص

«المتوسّطة، أم الحجار السّود»

مقدمة

تُعتبر حمص[١] المدينة الثالثة في الجمهورية العربية السورية، بعد دمشق وحلب، وقد احتلت في تاريخ سورية مكانة مرموقة لما تتمتع به من مميزات ولما مرَّ عليها من أحداث.

وحمص مدينة قديمة، يعود تاريخها الى ما قبل الميلاد بحوالي ٢٣٠٠ سنة. وكانت تحمل اسماء «صوبا»، «حمث»، «إيميسا». وقد توالى على حمص على مر الزمان العديد من المحتلين وأقاموا فيها الممالك الى أن فتحها العرب (٦٣٧) على يد خالد بن الوليد. وهي تعرف أيضاً باسمه، لانها تضم رفاته.

وصفها[٢]

تقع حِمص في سورية الوسطى، وهي تشكل عقدة مواصلات مهمة بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب. وهي مبنية وسط سهل متسع في غاية الخصب. يجري نهر العاصي الى الغرب منها فتبعد عنه نحو ميل.

حمص اليوم أكبر مدن سورية الوسطى. وهي مركز محافظة حمص (١،٤٩٠،٠٠٠ نسمة)[٣] وتقوم على ارتفاع ٥٠٨ م.

وقد نقل عن شمس الدين الدمشقي قوله : «ومن حسن بناء حِمص أنه لا يوجد بها دار إلا وتحتها في الارض مغارة أو مغارتان، وماء ينبع للشرب، وهي مدينة فوق مدينة».

١. مقتطفات من تقرير وضعه السيد تامر بيطار بتكليف من مجلس كنائس الشرق الاوسط/برنامج الدراسات والابحاث حول التقاليد والعادات التي يتّبعها المسيحيون في المناسبات الدينية والاجتماعية في محافظة حِمص. غير منشور، مع بعض الاضافات من المدققة.

٢. الاب متري هاجي أثناسيو. مرجع *سابق*،المجلد الثالث،القسم الاول، ص ١٤ .

٣. المجموعة الاحصائية، مرجع *سابق*.

حِمص المسيحية

أما على الصعيد الديني، فقد كان سكانها على الوثنية وكان يوجد فيها هيكل مشهور لعبادة الشمس على مثال هياكل بعلبك، حينما وصلتها بُشرى الإنجيل منذ العصر الرسولي. ونظراً إلى خطورة المدينة وأهميتها لدى الإمبراطورية الرومانية، فقد حورِبَت المسيحية فيها منذ البداية، واحتمل مسيحيوها اضطهادات كثيرة وعنيفة سقط فيها عددٌ كبيرٌ من الشهداء، لا يزال أبرزهم على الإطلاق شفيع المدينة القديس إليان الحمصي الطبيب الشافي (+ ٢٨٢) الذي كان طبيباً مشهوراً ومسيحياً غيوراً، أخذ يبشر الوثنيين خلال مزاولته مهنة الطب، وخصّه الله بنعمة شفاء الأمراض المتنوعة، ولذا دُعي «الطبيب الشافي». ويحتفل بعيده في ٦ شباط فيذهب المؤمنون لزيارة ضريحه للتبرك. ولقد قدمت حمص رجالاً عِظاماً لمعوا في سماء الكنيسة الجامعة، نذكر منهم القديس أنيكيتوس الشهيد أُسقف روما الحادي عشر (+ ١٦٦)[١]، والقديس رومانوس الحمصي (+ ٥٣٠) شماس كنيسة القسطنطينية وأعظم شاعرٍ ديني عرفته المسيحية، نظم القصائد والأناشيد شعراً وضبطها باللحن، وقد كان غزير الإنتاج حتى شُهرَ باسم «المرنم».

ويَذكر التاريخ أن اثنين من أبنائها قد تسلّما مناصب مهمة في الدولة الرومانية، هما : إيلاغابالوس (٢١٨-٢٢٢) وابن خالته من بعده، سيفيروس الكسندروس (٢٢٢-٢٣٥).

تاريخ عريق، حضارياً ومسيحياً، حمل، من دون شكّ، الكثير من العادات الدينية والتقاليد. ومن المؤسف حقاً أن أكثرها قد اندثر وضاع أثره، وتصعب معرفته لندرة المخطوطات التي تعود إلى العصور القديمة، بسبب الحروب والغزوات وحالات الدمار التي تعرضت لها المدينة عبر تاريخها الطويل. فثمة تقاليد منتشرة في الريف لم تعرفها المدينة، وبعض قراها تحتفظ بعادات تتميز بها.

١. بيار كانيفيه، ٢٠٠٠. «المسيحية في القرن الاول للميلاد» في كتاب *المسيحية عبر تاريخها في المشرق*، مجلس كنائس الشرق الاوسط. الفصل الاول، ص ٦٥ ، بيروت .

ومن المعالم المسيحية الشهيرة في محافظة حمص :

كنيسة أم الزنّار للسريان الأرثوذكس. وهي من أقدم الكنائس في سورية. يعود بناؤها الى العام ٥٩ للميلاد.

كنيسة مار إليان الحمصي للروم الأرثوذكس. يعود بناؤها الى القرن الخامس.

دير ومقام مار الياس الحي، قرية جوسية-ربلة للروم الكاثوليك.

الاحتفالات المتميزة ببعض الاعياد في محافظة حِمص

كرمة الخضر (اليوم التالي للميلاد) : تحتفل بلدة المشرفة، محافظة حِمص، بطريقة مميزة جداً بثاني يوم الميلاد الذي يسمونه «كرمة الخضر». ويشترك في هذا الاحتفال جميع سكان البلدة من روم أرثوذكس وموارنة ومسلمين[1].

خميس الحلاوات : وهو الخميس الذي يسبق خميس الاسرار أو خميس الغسول.

عيد **مار الياس** (٢٠ تموز) : يجتمع في عيد مار الياس الآلاف في مزار مار الياس في ربله، ويستمرون هناك مدة ٣ أيام ليقدموا النذوز التي نذروها. ويتم ذلك من دون أية إدارة كنسية او إشراف رعوي.

عيد السيدة (١٥ آب) .

عيد القديس جاورجيوس (٦ أيار). يشهد دير القديس جاورجيوس الحميراء احتفالات مميزة بهذه المناسبة.

عيد الصليب (١٤ ايلول).

---

١. نورد في الفصل الثاني مقتطفات من تقرير عن هذا الاحتفال ارسله مثلث الرحمات المطران الكسي عبد الكريم، بطلب من مجلس كنائس الشرق الاوسط/برنامج الدراسات والابحاث حول التقاليد والعادات التي يتبعها المسيحيون في المناسبات الدينية والاجتماعية، في محافظة حِمص. غير منشور.

VI

حماة، مدينة ابي الفداء

مقدمة

بخلاف مدينتي دمشق وحلب، لم يبقَ الكثير من الآثار في مدينة حماة. إن الحفريات في القلعة، وقد أقيم مكانها منتزه، تُظهر بقايا يعود تاريخها الى العصر الحجري الحديث.

حماة من أقدم مدن بلاد الشام، وقد ارتبط تاريخها بتاريخ حمص على مدى العصور، الا أنها لم تكن بأهميتها وازدهارها. وقد ورد اسم حماة مرات عديدة في التوراة. كانت حماة عاصمة مملكة الآراميين في الشمال، وعرفت آنذاك باسم«حمات» وسمّاها الملك السلوقي أنطيوخس إبيفانيوس الرابع سنة ١٧٥ ق.م. إبيفانيا، وبقي هذا اسمها حتى نهاية العهد البيزنطي. ومع الفتح العربي عاد اليها اسمها القديم «حماة»[1].

موقعها ووصفها

تقع حماة في سورية الوسطى، وتقوم على ضفتي نهر العاصي. أما ارتفاعها فهو ٣٠٨ م. عدد سكان محافظة حماة حوالي ١،٣٣٥،٠٠٠ نسمة[2]، وحماة هي مركز المحافظة.

حماة المسيحية

انتشرت المسيحية في حماة على حساب الوثنية في العقود الاولى للمسيحية، وفي القرن الرابع تم تحويل هيكلها الروماني الوثني الى كنيسة مسيحية.

«لدى الفتح العربي كان سواد سكان حماة مسيحيين... وبقيت مركزاً للعبادة المسيحية في عهد الامويين... لكنها أخذت بالانحطاط في عهد العباسيين»...[3].

١. الاب متري هاجي اثناسيو. مرجع سابق، المجلّد الاول، ١٩٩٧.
٢. المجموعة الاحصائية، مرجع سابق.
٣. الاب متري هاجي اثناسيو. مرجع سابق، المجلّد الاول، ص ١٢٦.

المعالم المسيحية التاريخية الشهيرة في محافظة حماة

يوجد في منطقة حماة ٢٥ كنيسة حية وديران ومقامان شهيران :

مقام مار الياس في بلدة تومين ومقام البربارة في مدينة محردة.

الاحتفالات ببعض الاعياد التي تتميز بها محافظة حماة

- **عيد القديسة بربارة** (٤ كانون الأول).
- **عيد الغطاس** (٦ كانون الثاني).
- **سبت ألعازر** (السبت الذي يسبق أحد الشعانين).
- **الباعوث.**
- **عيد رفع الصليب** (١٤ أيلول).

VII

طرطوس

موقعها

تقع طرطوس[1] في جنوب الساحل السوري. وهي ثاني مرفأ سوري من حيث أهمية النقل البحري.

مساحة محافظة طرطوس ١٨٩٠ كلم^2 وعدد سكانها حوالي ٢٦٧٤،٠٠٠[2] نسمة. وتقسم هذه المحافظة الى خمس مناطق : طرطوس، بانياس، صافيتا، الدريكيش، الشيخ بدر.

تفخر مدينة طرطوس بأنها تضم أقدم كنيسة مكرّسة لمريم العذراء. كما تشهد الكاتدرائية الشهيرة فيها (وهي متحف حاليًا) على الاهمية التي اكتسبتها المدينة في كل من العصور المسيحية والبيزنطية والعربية.

المعالم المسيحية التاريخية الشهيرة في محافظة طرطوس

- متحف طرطوس (وكان كاتدرائية على اسم السيدة العذراء).
- قلعة فرسان المعبد (القرن الثاني عشر الى القرن الثالث عشر ميلادي) ومن أهم أقسامها الكنيسة والقاعة الكبرى، في طرطوس.
- برج صافيتا : حُفظ بناؤه بشكل جيد، وفيه كنيسة في القاعة السفلى.
- قلعة المرقَب : فيها كنيسة جميلة بحسب الفن القوطي.

---

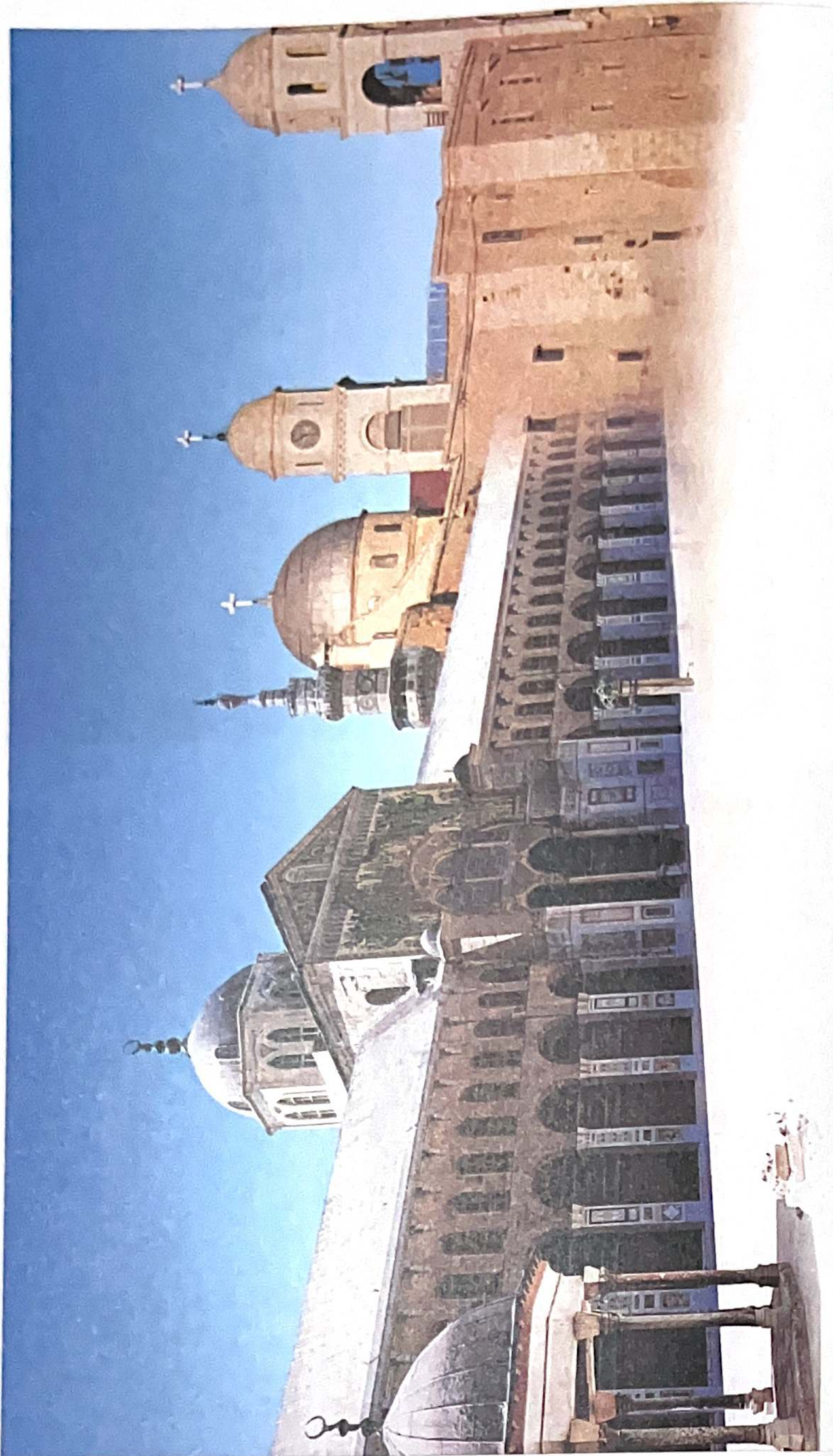
١. الاب متري هاجي أثناسيو. مرجع سابق، المجلّد الرابع، القسم الثاني، ١٩٩٧.

٢. المجموعة الاحصائية، مرجع سابق.

VII

اللاذقية،

عروس الساحل السوري



سورية، منارات للتآخي.

مقدمة

اللاذقية[1] مدينة قديمة جدَّد بناءها سلوقُس نيكاتور عام ٢٩٠ ق.م. ودعاها لاوذيقيا/لاوذيسيا باسم والدته. بعد هذا حملت أكثر من اسم، الى أن أطلق عليها العرب اسم «لاذقية العرب» ووصفوها بـ «عروس الساحل».

موقعها

تقع مدينة اللاذقية على شاطئ البحر المتوسط، في شمال غرب سورية ومقابل أقصى طرف جزيرة قبرص. وهي الميناء الرئيسي في سورية، ومركز محافظة اللاذقية التي يبلغ عدد سكانها حوالي ٨٧٦،٠٠٠ نسمة[2].

اللاذقية المسيحية

بلغتها المسيحية على يد المبشرين الأولين. وقد تبوأت كنيستها مركزاً مهماً في المسيحية، في العصور الأولى. وفي منتصف القرن الخامس أصبحت اللاذقية متروبوليتية مستقلة، تخضع مباشرة لسلطة بطريرك أنطاكية.

من الآثار المسيحية فيها : *عين القسيس*، وتقع في اللاذقية، قيل إن القديس أرطيمون استنبعها. و*دير الفاروس* الذي بُني في القرن الخامس ويبعد ٢ كلم عن اللاذقية وتم تأسيسه بعد الزلزال الذي تعرضت له المنطقة في القرون الوسطى. وفي هذا الدير تعرّف أبو العلاء المعري - بين سنتي ٩٨٨ و٩٩٤ - الى الفلسفة اليونانية، بحسب ما ذكر طه حسين وغيره.

---

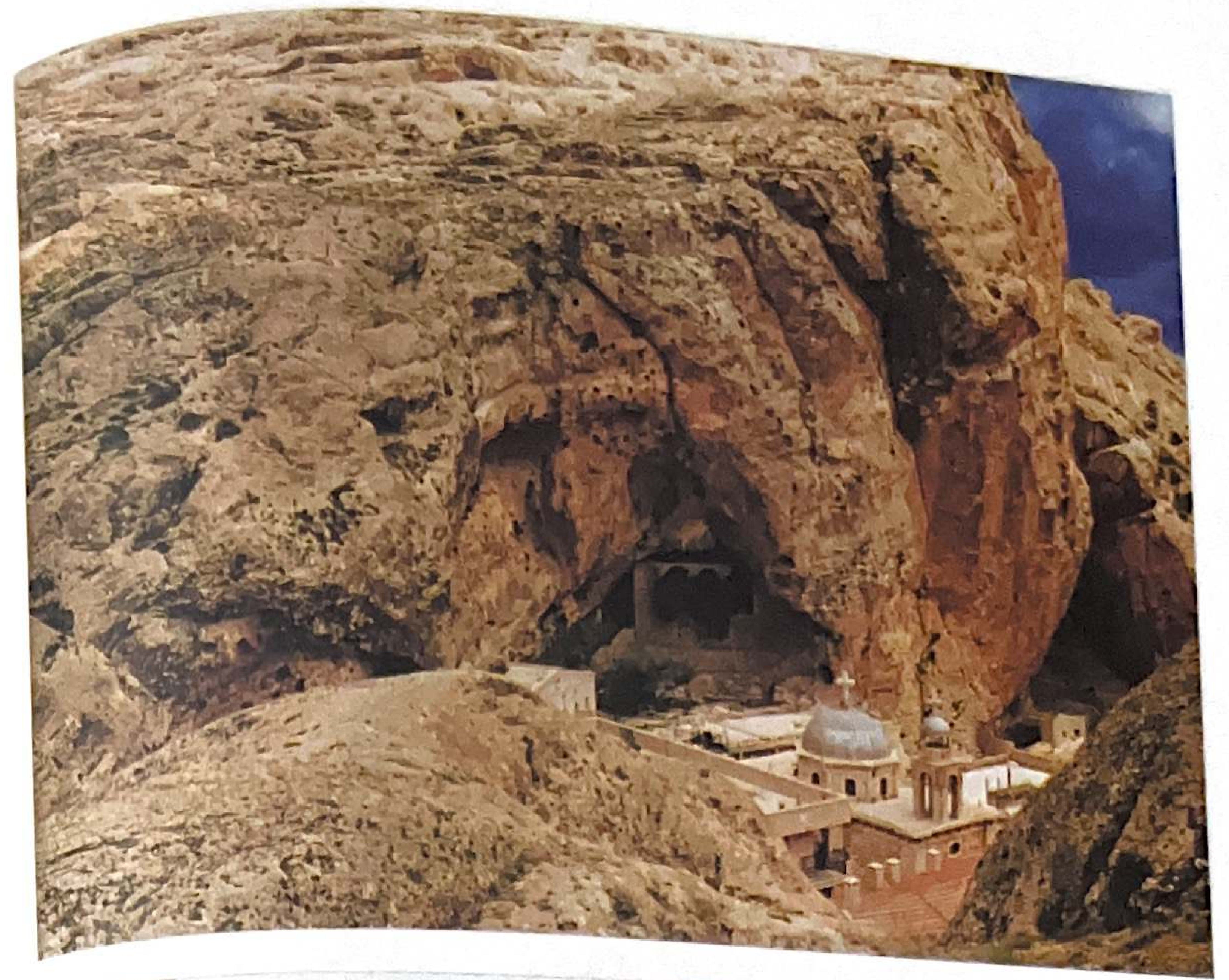
١. الأب متري هاجي أثناسيو. مرجع *سابق*، المجلد الأول، ١٩٩٧، ص ٥٢٧-٥٤١.

٢. المجموعة الاحصائية، مرجع *سابق*.

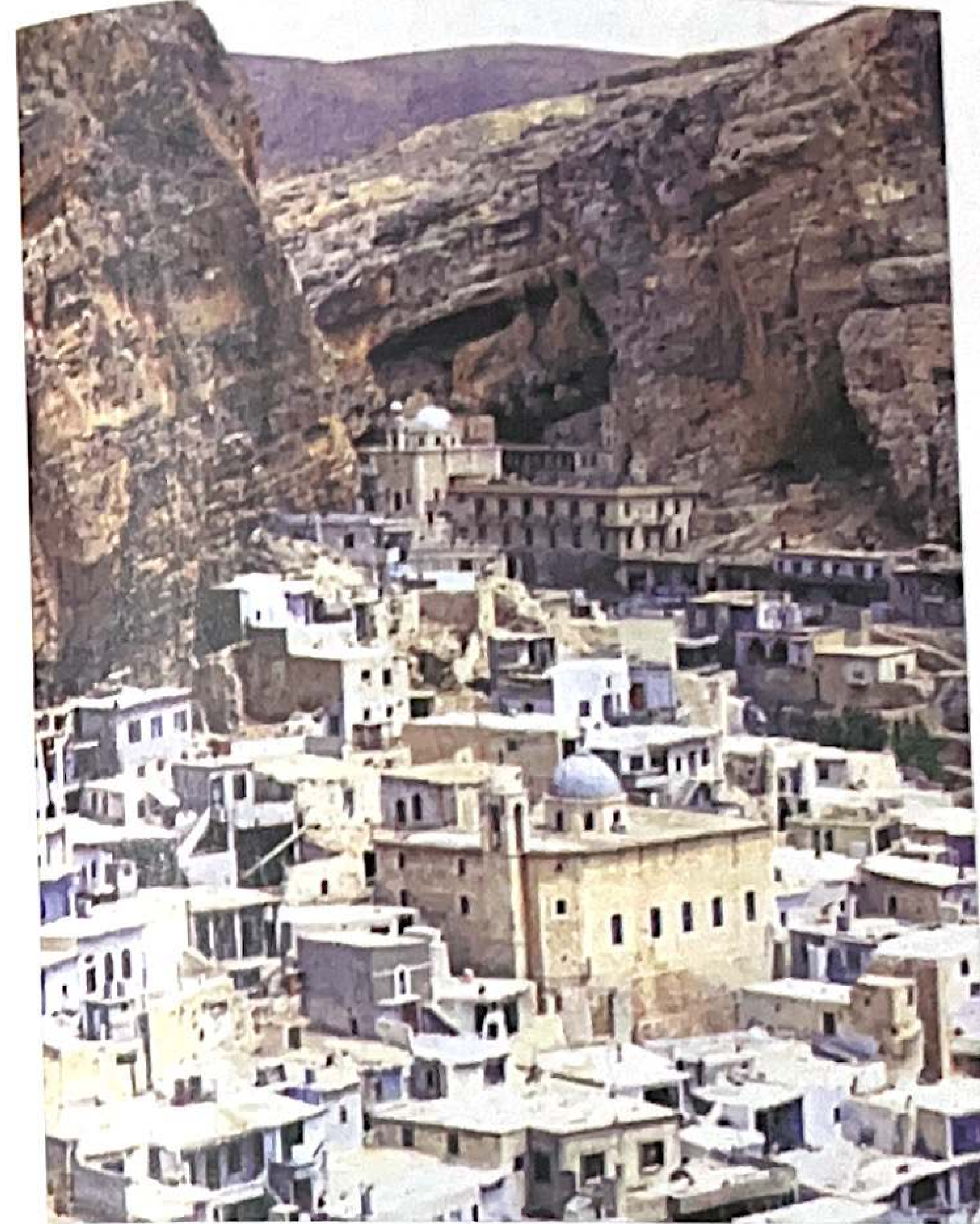
IX

حوران

درعا - السويداء - القنيطرة



دير مار تقلا، معلولا.



بلدة معلولا،
محافظة ريف دمشق، حيث
التاريخ لا يزال حياً ينطق
باللغة الآرامية، اللغة التي
كان يتكلم بها السيد المسيح.

حوران[1]

موقعها

حوران هضبة تقع على الطرف الجنوبي من سورية، وتُقسم اليوم الى ثلاث محافظات: محافظة درعا، محافظة السويداء، ومحافظة القنيطرة.

لقد هيأها موقعها المهمّ جدًا لتكون الباب الى بلاد الشام للقادمين من الجزيرة العربية، وهمزة وصل استراتيجية بين سورية الشمالية وسورية الجنوبية. ولقد شهدت حوران ازدهاراً كبيراً في العصر الروماني/البيزنطي.

سكانها

إستوطن حوران أجداد العرب من الآراميين والأنباط والصفويين. واختارها الغساسنة موئلاً لهم، بعد هجرتهم من اليمن إثر انهيار سدّ مأرب، وتحالفوا مع أبناء عمهم العدنانيين. وقد لقب الكتاب المقدس حوران بـ «أرض الجبابرة» (تثنية ٢٠،٢).

تاريخها المسيحي

بحسب روايات متنوعة المصادر، انما غير مثبتة، يقال إن البشارة الانجيلية وصلت الى حوران في وقت مبكر.

وفي القرن الثالث اعتلى عرش رومة فيلبُّس العربي (٢٤٤-٢٤٩) المولود في حوران من أبوين حورانيين.

قدّمت ابرشية بصرى حوران وتوابعها العديد من الشهداء الاساقفة والقديسين، لا مجال لذكرهم جميعاً. إنما نذكر ان القديس مكسيمُس المعترف جاء من قرية خاسفين في الجولان واستشهد في العام ٦٦٢م.

١. الأب متري هاجي أثناسيو. مرجع سابق، المجلّد الخامس، ١٩٩٧.

وقد اتسمت المسيحية الحورانية بعد هذا بانطلاقة جديدة : ... فأقدم المباني المسيحية في هذه المنطقة يعود الى القرن الرابع (كنيسة أم الجمال، بنيت عام ٣٤٥، وهي أقدم كنيسة مؤرخة معروفة بين كنائس سورية).

بلغت المسيحية في القرنين الخامس والسادس سائر قرى حوران ومدنها، واشتهرت هذه المنطقة بالحياة النسكية، وقد غصّت بالاديرة.

محافظة درعا

تبعد عن دمشق ١٠٠ كلم وتقع على ارتفاع ١٠٠٠ م. مساحتها ٣٧٣٠ م^{2} وعدد سكانها حوالي ٧٨٠،٠٠٠ نسمة[1]. تقسم المحافظة الى منطقتين: منطقة درعا ومنطقة إزرع.

تاريخها المسيحي

قيل ان المسيحية بلغتها سريعاً. ولكن في شكل الأبيونيّة. يُعرف لها أساقفة منذ أواسط القرن الرابع.

توجد آثار مسيحية في كل قرية من قرى منطقة درعا. أما منطقة إزرع ففيها كنيستان أثريتان شهيرتان : كنيسة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس، وكنيسة مار الياس للروم الكاثوليك. وهما من مطلع القرن السادس.

محافظة السويداء

هي عاصمة الجبل وتقع في غربيّه. وهذه المحافظة هي كتلة جبلية بركانية يبلغ ارتفاعها ١٨٥٠ م في إحدى قراها. شيدت مباني السويداء بالبازلت، الحجر الاسود. في بلدة قنوات توجد الكاتدرائية البازلتية الشهيرة. وقد اشتهرت

١. المجموعة الاحصائية. مرجع سابق.

السويداء بزراعة الكرمة وبالخمرة. مساحتها ٥٥٥٠ كلم^2 وعدد سكانها حوالي ٣٠٧,٠٠٠ نسمة[1].

تاريخها المسيحي

وصلتها المسيحية منذ عهد باكر. وتبوأت مركزاً مميزاً في العهد الروماني. ازدهرت السويداء بمعابدها المسيحية، بخاصة في القرن الخامس، ما يدل على أهمية المدينة الادارية وعلى تمدّنها وعمرانها.

محافظة القنيطرة

لهذه المحافظة حضارتها التاريخية، عدد سكانها حوالي ٦٦،٠٠٠ نسمة[2]. من اشهر مناطقها :

الجولان

هضبة ترتفع حوالي ١٠٠٠ م عن سطح البحر. الجولان جنة بروعتها وخصب سهولها الفسيحة الرابضة على سفح جبل الشيخ. ويجري نهر اليرموك عند قدميها. خيراتها كثيرة، وتعتبر من اغنى بقاع العالم بآثارها المهمّة، من مبانٍ مدنية ودينية ودفاعية حربية وتحصينية وكنوز ثمينة.

بانياس

تقع في أسفل جبل الشيخ ويبلغ ارتفاعها ٣٢٠ م. تدعى «بانياس الجولان»، تمييزاً لها من «بانياس اللاذقية».

---

١. المرجع السابق.

٢. المرجع السابق.

حظيت المنطقة ببركة قدوم السيد المسيح اليها ليبشّر أهلها في السنة الأخيرة من حياته على الارض. ورد اسمها في الانجيل المقدس، وفيها سلّم يسوع رسول بطرس مقاليد السلطة في الكنيسة.

القنيطرة

المدينة هي مركز محافظة القنيطرة. تقع جنوب غربي دمشق، ارتفاعها ٩٤٠ م. كان لها ماضٍ عريق في حضارتها التاريخية في عهود اليونان والرومان والروم البيزنطيين والعرب. واشتهرت بآثارها ومزاراتها ومبانيها.

X

ادلب

موقعها

هي في شمال سورية. يبلغ عدد سكانها ١،١٢٠،٠٠٠ نسمة[1]

إدلب المسيحية[2]

انتشرت المسيحية في هذه المنطقة في القرن الرابع الميلادي، حتى غدت الديانة الوحيدة فيها. وقد عبّرت عن إيمانها بحياة مسيحية وسلوكية كنسية متأثرتين بالمسلكين التوحيدي الفردي والرهباني الجماعي. وقد نذرت العديد من ابنائها للحياة التوحيدية (من عموديين وحُبساء)، وأنشئت فيها الكنائس الجميلة والاديرة التي لا تحصى.

أما اليوم فقد أصبح كل ذلك الازدهار والعمران من الأوابد المسيحية التاريخية التي تكوّن مادة تاريخية دسمة لتثبيت أسس حضارتنا الخالدة.

السكان

اتسمت منطقة إدلب بطابع ريفي في معظم مساحاتها، وكان سواد سكانها من المسيحيين.

---

١. المجموعة الاحصائية، مرجع سابق.

٢. الاب متري هاجي أثناسيو. مرجع سابق، المجلّد الرابع، القسم الثاني،

XI

الجزيرة

الحسكة – دير الزور – الرِقَّة

الحسكة [1]

الموقع

تقع محافظة الحسكة الى الشمال الشرقي من سورية، وتعتبر المحافظة الأولى في انتاج الحبوب بأنواعها وفي مقدمتها القمح.

مساحتها

تقدر مساحتها بـ٢٣،٣٣٣ كلم[2]، كما يقدر عدد سكانها بـ ١،٢٦٥،٠٠٠ نسمة[2]. وسكانها من اثنيات متعددة : عرب وأكراد وسريان وأشوريون وأرمن وكلدان. أديان وطوائف متعددة : مسلمون ومسيحيون ويزيديون، والترتيب يدل على أولوية التعداد. ويعيش السكان في وحدة وطنية كأسرة واحدة يتزاورون في الأعياد والمناسبات الدينية والاجتماعية.

المحافظة ماضياً وحاضراً

التسمية : هناك رأيان في سبب التسمية «الحسكة».

الأول : الشوك «الحسك» ثمرته الحسكة، وكان ينتشر في المساحة التي يقوم عليها العمران.

الثاني : قبل انشاء الجسر على نهر الخابور كان الناس يعبرون الى الضفة الأخرى باستخدام الحسكة التي هي مركب صغير.

---

١. المصادر :
- كراس المهرجان القطري في الحسكة لطلائع البعث، ٢٦ نيسان ٢٠٠٠.
- اللؤلؤ المنثور، تأليف مثلث الرحمات اغناطيوس أفرام الأول، بطريرك السريان الارثوذكس.
- خبرات ميدانية.

٢. المجموعة الاحصائية، مرجع سابق.

وللمطران اسطاثيوس متى روهم[1] رأي لم ينشر بعد، مفاده أن التسمية مصحفة عن السريانية : حسيجي أي حسيجه بالجيم اللاتينية وهكذا تلفظ شعبياً وتعني مواضع محمية بالشجر والأخشاب. والرأي واقعي، لأن الموقع الذي بنيت عليه المدينة هو ملتقى نهري الخابور والجقجق وكان حافلاً بالأشجار الحرجية.

ظلت المنطقة مسرحاً للصراع بين الشعوب والحضارات المتعاقبة. في عام ٣٣٢ ق. م. فتح الاسكندر المقدوني البلاد وضمها إلى اليونان، وفي سنة ٦٤ ق م أصبحت جزءًا من الامبراطورية الرومانية إلى أن تمكنت الجيوش العربية من طرد الرومان وفتحها على يد القائد العربي عياض بن غنم سنة ٦٤٠م. وقد ساعد على فتحها وجود القبائل العربية المسيحية فيها منذ زمن بعيد، فقد كانت منازل للتغالبة احدى قبائل العرب الكبرى التي كانت مسيحية سريانية ارثوذكسية. حوالي سنة ١٩٢١انتشر فيها العمران نتيجة نزوح الطوائف المسيحية على اختلاف مذاهبها من تركيا بعد المذابح المعروفة والتصفيات الجسدية واضطهاد الأتراك للعنصر العربي، حيث بنى المسيحيون - وأكثرهم سريان - مدن الجزيرة. وبعد ذلك بنى الأشوريون القادمون من العراق القرى على ضفتي الخابور الأوسط، وما زالت عامرة الى اليوم.

وتدل التنقيبات الأثرية الحديثة على اكتشاف كنيسة ودير وكتابات سريانية في المدينة التي دمرها تيمورلنك عام ١٣٩٤ وهي خرائب التنانير اليوم .

الاحتفالات المتميزة ببعض الاعياد في محافظة الحسكة

- **عيد الدنح** (الغطاس)، ٦ كانون الثاني.
- **صوم نينوى** (وهو لثلاثة ايام).
- **عيد الرشيش** (العنصرة).
- ١ **تموز**. ليلة الاول من تموز.
- **انتقال العذراء**.

---

١. مطران الجزيرة والفرات للسريان الارثوذكس.

دير الزور[1]

الموقع

تقع محافظة دير الزور في المنطقة الشرقية من سورية وتمتد أراضيها السهلية التي يشقها نهر الفرات من البادية السورية الى منطقة الجزيرة.

المساحة والسكان

تبلغ مساحة المحافظة ٣٣،٦٠٠ كلم[2]. يبلغ عدد سكانها ٩١٩،٠٠٠ نسمة[2]. معظم السكان من البدو أو أقرب الى البداوة، يعتمدون على الرعي والزراعة. وهناك أقليات اثنية مسيحية في دير الزور، كالسريان والأرمن والكلدان، لا تتجاوز ٢٠٠ عائلة تعيش في وئام مع بقية المواطنين، تمارس العادات والتقاليد نفسها.

تاريخ المحافظة

يعود تاريخ المحافظة الى الألف الثالث ق. م.

ومن المدن الحديثة في دير الزور : البو كمال، الميادين، العشارة.

ومن المعالم السياحية : الجسر المعلق على نهر الفرات في دير الزور وهو من أجمل الجسور في سورية.

---

١. المصادر :
- كراس المهرجان القطري التاسع عشر لطلائع البعث عام ١٩٩٤ .
- خبرات ميدانية.
- احصاءات رسمية.

٢. المجموعة الاحصائية، مرجع *سابق*.

العادات والتقاليد التي تتميز بها محافظة دير الزور

١. يشارك أهل المحافظة، على اختلاف طوائفهم وأديانهم وعشائرهم، بعضهم البعض في الأحزان والأفراح. ويقوم الجيران والمعارف باعداد الولائم عوضاً عن أهل الفقيد في التعازي.

٢. الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية تظاهرات يحتفل بها في كل مكان، فيسهل على زائر دير الزور معرفة المناسبة من مظهر الحارات والشوارع.

الرقة[1]

الموقع والحدود

تقع محافظة الرقة في الجزء الشمالي الشرقي من القطر العربي السوري وترتفع عن سطح البحر نحو ٣٠٠ م وسطياً. تحدّها شمالاً الحدود السياسية مع تركيا، وتتصل جنوباً عبر البادية بمحافظتي حمص وحماة، أما من الشرق فتتصل بمحافظتي دير الزور والحسكة وغرباً بمحافظة حلب، ويخترقها نهر الفرات من الغرب الى الشرق بطول ١٣٠ كلم، كما يخترقها نهر البليخ من الشمال الى الجنوب بطول ٩٥ كلم، وهو رافد للفرات؛ وتشتهر بسد الفرات الذي يقع في مدينة الثورة المنشأة حديثاً.

---

١. المصادر :
- كراس المهرجان القطري لطلائع البعث في الرقة من ٢٣ إلى ٢٩ نيسان ١٩٩٧ .
- اللؤلؤ *المنثور* ، تأليف البطريرك أفرام برصوم للسريان الارثوذكس.
- خبرات ميدانية.

٢. المجموعة الاحصائية، مرجع *سابق*.

المساحة والسكان

تقدر مساحة الرقة بـ١٧،٦٠٠ كلم[٢]، ويقدر عدد سكانها بحوالي ٦٩١،٠٠٠ نسمة[١]. معظم سكانها من البدو أو أقرب الى البداوة، يعتمدون على الرعي والأعمال الزراعية. وتتميز مدينة الرقة بنشاطها الثقافي والفني والأدبي. وهناك أقليات اثنية ودينية في المدينة كالأرمن والسريان لا تتجاوز السبعين عائلة، تعيش مع السكان الآخرين في وئام وتمارس العادات والتقاليد نفسها.

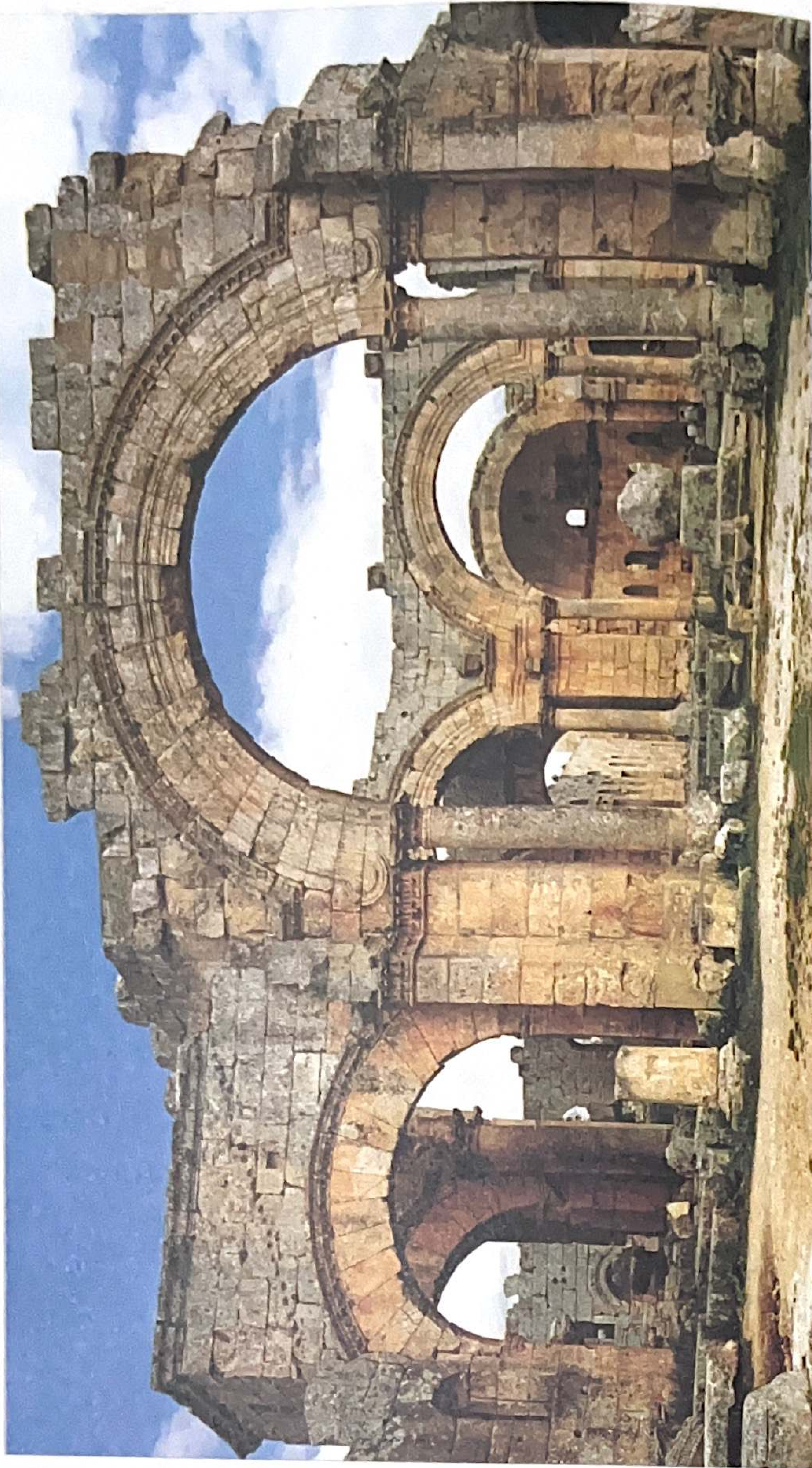
تاريخ المحافظة

في الألف الرابع قبل الميلاد تطورت ونمت، وفي عام ٣٣٦ ق. م. مر بالقرب منها الاسكندر المقدوني في حملته على بلاد الشرق وتزود بالميرة لجنده وخيله وترك فيها حامية عسكرية بنت مدينة جديدة سموها (نيكيفريون) واتخذوها محطة على الطريق المتجهة نحو بلاد الهند وبلاد فارس. عرفت هذه المدينة في ما بعد بالرقة السوداء والمحترقة، وفي العهد الروماني بنيت مدينة كالينوس عام ٢٤٢، التي عرفها العرب باسم الرقة البيضاء. وبعد ان فتح العرب الجزيرة صار عمير ابن سعد الانصاري اميراً عليها. وفي زمنه ترجم علماء العرب الارثوذكسيون من قبائل طي وتنوخ وعاقولة الانجيل المقدس من اللغة السريانية الى اللغة العربية، في حدود عام ٦٤٣. وهذه الترجمة هي اقدم ترجمة معروفة لدينا ولكنها مفقودة[٢].

١. المجموعة الاحصائية، مرجع سابق.
٢. المطران اسحاق ساكا. *الكتاب المقدس في كنيسة انطاكية السريانية*. طبعة حلب ١٩٨٢، ص ٢٠.

الفصل الثاني

المناسبات الدينية


آثار دير مار سمعان العمودي، محافظة حلب.

تواريخ المناسبات الدينية الواردة في هذا الفصل

عيد الميلاد	٦ كانون الاول عند البعض	٢٥ كانو ن الاول
كرمة الخضر		٢٦ كانون الاول
رأس السنة	وعيد الختان	١ كانون الثاني
عيد الغطاس	أو عيد الميلاد عند البعض	٦ كانون الثاني
عيد مار انطونيوس		١٧ كانون الثاني
عيد القديسين سركيس وباخوس	آخر كانون الثاني	أو مطلع شباط
عيد دخول المسيح الى الهيكل		٢ شباط
عيد مار إليان الحمصي		٦ شباط
عيد البشارة		٢٥ آذار
عيد الشهداء الأربعين		٢٩ آذار
اسبوع المرفع[1]		
خميس السكارى والحلاوات والبنات		
«ليلة الحشرة»		

الاصوام[2]

صوم نينوى

---

١. الاعياد والمناسبات التي لا تاريخ لها هي اعياد «متنقلة» تحتفل بها كل طائفة بحسب تقو الخاص. وتاريخها يختلف من سنة الى اخرى.

٢. نذكر، في سياق هذا الفصل، الاصوام التي يمارس فيها المؤمنون عادات وتقاليد مميزة.

صوم مار سركيس		
الصوم الكبير		
صوم القديس يعقوب النُصيبيني		
سبت ألعازر		السبت الذي يسبق أحد الشعانين
أحد الشعانين		
اسبوع الآلام		
خميس الاسرار		
الجمعة العظيمة		
سبت النور		
الهجمة		
عيد الفصح أو العيد الكبير		
اثنين الباعوث		
عيد القديس جاورجيوس	٢٣ نيسان	عند البعض ٦ أيار
الشهر المريمي	أيار	
عيد العمل	١ أيار	
عيد القديسة ريتا	٢٢ أيار	
خميس الصعود		
العنصرة		
خميس الجسد		
عيد القديس انطونيوس البادواني	١٣ حزيران	
عيد الرسولين بطرس وبولس	٢٩ حزيران	



مشهد من صلاة تقام في دير مار سمعان.

تموز	عشية ٣٠ حزيران
عيد مار الياس	٢٠ تموز
عيد التجلّي	٦ آب
عيد السيدة	١٥ آب
عيد القديسة حنّة	٣٠ آب
عيد مار ميخائيل	٦ أيلول
عيد ميلاد السيدة العذراء	٨ أيلول
عيد الصليب	١٤ أيلول
عيد القديسة تقلا	٢٤ أيلول
سبت الأموات	٢ تشرين الثاني
عيد البربارة	٤ كانون الاول

الاعياد الارمنية

عيد القديس وارطان	يوم الخميس قبل الصوم
عيد الشهداء الأرمن	٢٤ نيسان
عيد القديس غريغوريوس المنوّر	يوم السبت الثالث بعد العنصرة

عيد الميلاد

«المجد لله في العلى وعلى الارض السلام وفي الناس المسرّة». نشيد أنشدته الملائكة قبل أكثر من الفي سنة في سماء بيت لحم في فلسطين. وتحتفل الطوائف المسيحية في سورية بالميلاد، عموماً، في ٢٥ كانون الأول من كل عام، وفق التقويم الغربي (الغريغوري)، بينما الأرمن الأرثوذكس وحدهم يحتفلون به في ٦ كانون الثاني، وفق التقويم الشرقي (اليولياني).

وتقيم الكنائس كلها قداديس العيد إما قبيل منتصف الليل وإما فجراً أو صباح العيد.

* في دمشق :

أخذت هذه القداديس طابعاً احتفالياً جميلاً، إذ تترافق مع احتفالات الشباب والأطفال وموسيقى الفرق الكشفية والكرنفالية وعروضها في حرم الكنائس وفي الأحياء المحيطة فتعطي بُعداً جميلاً للعيد، خصوصاً بالنسبة إلى الأطفال.

وتقوم المؤسسات الكنسية المهتمة بالأطفال والفتيان، كالتعليم الديني ومدارس الأحد والفرق الكشفية ودور الأيتام، بتقديم الهدايا من قِبَل «بابا نويل»[1] في مقراتها لأطفالها. ويتم ذلك في حفلات مسامرة تقوم بالإعداد لها قبل فترة.

للعيد عند الأرمن الأرثوذكس طابع خاص، إذ تقوم مجموعات من الشباب والصبايا بزيارات لبيوت الرعية لمعايدتها وهي تعزف الألحان الأرمنية على آلة الأكورديون. وفي صباح يوم العيد يشترك الأرمن الأرثوذكس بالقداس الإلهي ثم يخرجون إلى المدفن الخاص بهم لزيارة قبور موتاهم، وبعدها تبدأ المعايدة.

---

١. «بابا نويل» شخصية أسطورية مهمتها توزيع الهدايا على الاطفال ليلة الميلاد. إنه القديس نيقولاوس (أسقف مدينة ميرا في تركيا) الذي كان يوزع النقود والهدايا على العائلات المحتاجة، وقد عاش في مطلع القرن الرابع الميلادي.

يبدأ التحضير عموماً لعيد الميلاد بتنظيف البيوت كالعادة ثم تزيينها ونصب شجرة الميلاد والمغارة. ويُقال ان أول من زين شجرة الميلاد هو مارتن لوثر في العام ١٦٠٥. وكانت الشجرة تُعبد في مصر وبلاد أُخرى. ومنذ حوالي عشر سنوات بدأت الزينات بالكهرباء تحتل واجهات البيوت وشرفاتها، وبخاصة الطبقات العليا من البنايات، ثم غزت الشوارع والساحات والأحياء وحتى أصغر الحارات، حيث تنصب الأضواء الملونة على الأشجار العامة فتبدو المنطقة شعلة وضاءة تبعث البهجة في النفوس. وتستمر الزينات المذكورة منذ أوائل كانون الأول وحتى منتصف كانون الثاني (تعتبر أعياد الميلاد ورأس السنة والظهور فترة معايدة).

ومن التحضيرات أن السيدات، وبخاصة في الأُسر الدمشقية الأصيلة، تقوم بصناعة كعك العيد، وتحضير طعام العيد كالأوزي بالدجاج، وغيرها من أصناف الطعام الشهي. ويدعو رب الأسرة أولاده المتزوجين مع عائلاتهم لتناول الطعام في أول يوم العيد، أو يقوم الابن الأكبر بدعوة والديه وأشقائه لتناول الطعام في بيته.

وتُعتبر هذه من العادات الدمشقية والسورية الأصيلة والمتوارثة. لكن البعض، وبالأخص أصحاب المداخيل الكبيرة، خرجوا بها من دفء جو المنزل العائلي وخصوصيّته وأصبحوا يولمون في أول يوم العيد في أحد المقاصف القريبة، وبخاصة في صيدنايا.

وفي هذه المناسبة أيضاً تقيم الجمعيات والمؤسسات الخيرية والكنسية حفلات فنية مساء يوم العيد أو ثانيه، وتخصص ريعها لأعمال الخير. وتقوم قبيل العيد بتوزيع مدّخراتها على العائلات المستورة، كما أن البعض يتبرع لهذه الجمعيات والمياتم؛ وهذه المساعدات في تناقص مستمر، نتيجة للضائقة الاقتصادية.

ثمة عادة عند طائفة السريان الأرثوذكس تتمثل باشعال شعلة داخل الكنيسة في مَنقل صغير. وهذا تقليد يتجلى بصورة أوضح في بلدة صدد، بمحافظة حِمص. ومنذ عصر ليلة العيد تبدأ زيارات الكهنة لأفراد الرعية للتهنئة بالعيد وإقامة الصلوات. وفي المساء يسهر أفراد بعض العائلات في منازلهم، مرتلين أناشيد العيد باللغة الآرامية، ومنها :

البتول ولدت عجباً   تعالوا نتأمل به

أما الإنجيليون فهم يُمهدون للعيد بالمجيء (Advent) فيشعلون شمعة أولى في الأحد الرابع قبل الميلاد، وشمعتين في الأحد الثالث، وثلاث شمعات في الأحد الثاني وأربع شمعات في الأحد الأول. ويوم الميلاد يضيئون الشمعة الخامسة الكبيرة الموجودة في المنتصف (رمز مجيء المسيح إلى عالمنا) وتبقى الشمعات مشتعلة طوال اليوم (في كل أحد من الآحاد الخمسة) وتوضع ضمن إطار، مع صلوات وتأملات وترانيم.

* في ريف دمشق :

انتشرت عادة تزيين أشجار الميلاد منذ أوائل عشرينات القرن المنصرم، زمن الانتداب الفرنسي، وأصبحت عامة الآن تشمل أشجار الطرقات، إضافة إلى دَور «بابا نويل» الذي يقدم الهدايا إلى الصغار. الآن صارت الجمعيات والمدارس تهتم بذلك. وفي صباح العيد الباكر يذهب الجميع إلى الكنائس للمشاركة في قداديس العيد وبعدها يذهبون إلى «بيت العيد»[1] برفقة الخوري لتقديم المعايدة، بصفته عيداً خاصاً بهذه الأسرة.

- في منطقة القلمون، تنحصر الاحتفالات بالمراسم الدينية، كونه «العيد الصغير». وفي ليلة العيد تقام سهرات العشاء في كل البيوت وبخاصة في «بيت العيد»، حيث تختص كل أسرة بدورها بخدمة العيد في الكنيسة وتقدم النذور للرب (وهي القرابين والشموع والقمح والزيت للبركة) ويشربون النبيذ على العشاء، دلالة على دم المسيح الذي سُفك من أجل خلاصنا، كما في داريّا.

- في الزبداني وبلودان وجديدة عرطوز وصحنايا وداريا وعرنة وصيدنايا ومعرة ومعرونة، تعتبر الكبة بأنواعها الأكلة الرئيسية للعيد، وفي عين الشعرة يطبخون ديك الحبش المحشي

تُقدم للمهنئين بالعيد الحلويات بدلاً من الطعام، ثم يذهبون إلى معايدة خوري البلدة، وتبدأ بعد ذلك المعايدات بين الأقارب والأصحاب. ومؤخراً شاعت عند

---

١. المقصود به الأسرة أو العائلة (أصولاً وفروعاً) التي تخدم أحد الأعياد المسيحية. وقد جرت العادة في قُرى ريف دمشق أن تختص كل أسرة بخدمة عيد معين في القرية، حتى تعمّ البركة كل الأسر والعائلات.

الجميع عادة جديدة، هي قيام الفرقة الكشفية بالعزف بعد القداس في حرم الكنيسة وبجولة خارجها.

- في عرنة، يُدعى جميع من يكون في الكنيسة الى «بيت العيد»، فتقدم اليهم الحلويات ويهزجون ويرتلون طروبارية العيد (ميلادك أيها المسيح إلهنا) ثم ينصرفون. وقد حلت الحلويات حالياً محل طعام العيد.

- في صيدنايا، تسهر الراهبات بالصلاة والتأمل حتى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، معتقدات أن السيد له المجد وُلِدَ في هذه الساعة، وسهرهن هو بمثابة استعداد لاستقبال طفل المزود.

* في حلب :

قلَّت نسبة حضور قداس الميلاد الليلي والصباحي لدى جميع الطوائف، بسبب الحفلات الراقصة والمآدب التي تُقام في المقاهي والمطاعم ليلة العيد. كما تناقصت زيارات التهنئة إلى الأب أو كبير العائلة والأقرباء، فجيل الشباب يزور الأصدقاء وحسب. أما الأطفال فيأخذهم الأهل إلى مدينة الملاهي أو إلى مراكز الكمبيوتر للّعب. كما تُقام في بعض مراكز الكنائس أسواق خيرية ومعارض أعمال يدوية.

يسبق الاحتفال لدى الأرمن الأرثوذكس ما يمكن أن يعتبر «سبت النور»، المماثل لسبت القيامة. أما لدى الأرمن الكاثوليك فتبدأ احتفالات الميلاد عشية العيد عند الغروب. وتسمى هذه الاحتفالات بالأرمنية «جراكاليويتس» أي «إنارة القناديل» أو «إضاءة الشموع»، إشارة إلى القناديل والشموع التي تُضاء في الكنائس في أثناء الاحتفال.

وهذه الفترة من دخول العيد تُسمى بالأرمنية عند العامة «ختوم»، أي فسخ الصوم، إشارة إلى نهاية الصوم الذي يسبق هذا العيد والسماح بالأكل. ويُسمى اليوم الذي يسبق العيد «بارامون العيد» وهي كلمة يونانية تُشير إلى آخر أيام الصوم والاستعداد لاستقبال العيد. وقد درج استعمالها في المجتمعات الشرقية الأرمنية الناطقة بالعربية. اعتاد الشبّان والشابات أو الأطفال أن يطوفوا على

البيوت في ليلة الميلاد وهم يرنمون الترانيم الميلادية، مبشرين بمولد المسيح. هذا، ويقومون في أثناء جولتهم بتوزيع الهدايا الرمزية على الأولاد. فيستقبلهم الناس بكل ترحاب ويُغدقون عليهم الضيافة الموسمية. وتقوم بعض الرعايا بتوزيع الهدايا على الأطفال عن طريق «بابا نويل»، وتدعو الفقراء إلى موائد مجانية توزع فيها المأكولات والحلوى والثياب والألعاب.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الرعايا، وتمشياً مع متطلبات المجتمع، بدأت تحتفل بقداس «إضاءة القناديل» في منتصف الليل أو في الساعة العاشرة مساءً، وتُقيم بعد ذلك سهرة العيد في الصالات الرعوية في جوٍّ عائلي، وتقام في بعض الكنائس رتبة بركة تمثال يسوع والتطواف به، ثم وضعه في المزود تيمناً بالاحتفالات التي تُقام في مدينة بيت لحم.

لما كان لحادثة الأطفال المذكورة في نبوءة دانيال ذِكرٌ في الليتورجيا الأرمنية، فقد انتشرت بين الأرمن عادة تسمية أولادهم باسم الطفلين «ستراك» و«ميساك» حتى غدا هذان الاسمان دليلين على هوية حاملهما الأرمنية.

ولما كان إنجيل يعقوب المنحول محفوظاً فقط باللغة الأرمنية[1] وهو يحكي قصة ميلاد المسيح بالتفصيل، فقد أجلَّه الأرمن وأخذوا عنه أسماء المجوس الثلاثة التي لم تُذكر في الأناجيل الرسمية وهم : ملكون، كسبار، بغدصار. فلا عجب إذا كثرت بين الأرمن أسماء مثل ملكونيان وكسباريان وبغدصاريان.

أما شباب الكنيسة الإنجيلية فهم يخرجون في منتصف الليل إلى الشوارع، حاملين بُشرى الميلاد من بيت إلى بيت، مرتلين أجمل تراتيل الميلاد. وفي السنوات الأخيرة بدأوا يقدمون الهدايا للعائلات ويأخذون هدية العائلة للكنيسة، تمثلاً بالمجوس الذين قدّموا هداياهم إلى طفل المغارة. وقد تأثرت بعض الكنائس الاخرى بهذه العادة الجميلة فأخذت تعلن عن تقديم الهدية قبل شهر من العيد، فيتبرع كل شخص أو عائلة بالمبلغ الذي يريد، ثم توزَّع الأموال على العائلات المستورة قبل العيد بأسبوع، ليتسنى لها شراء ما يلزمها والاحتفال بالعيد. أما الهدايا فتوزع على المتبرعين يوم العيد وما بعده.

---

١. المخطوطة هي باللغة الأرمنية، وقد تُرجمت الى لغات عدة.

* في حوران :

لم يكن المسيحيون يحتفلون اجتماعيًّا بعيد الميلاد، وكانوا يطلقون عليه اسم «العيد الصغير»، مقارنة بعيد الفصح المجيد «العيد الكبير»، وكانوا يقتصرون فيه على حضور الاحتفالات الدينية بورع وحِشمة وتعبّد.

أما اليوم، بعد أن غزت وسائل الإعلام كل البيوت، فصاروا يحتفلون به على الطريقة الأوروبية، وبتوزيع الهدايا على الأطفال عن طريق «بابا نويل».

وفي هذه المناسبة يتفقد الأهل «العنايا»، أي الفتيات القاصرات اللواتي يكون الرجل مسؤولاً عنهنّ اجتماعياً وقبلياً وعشائرياً، من أجل تقديم الهدايا والهبات، سيما ضيافات العيد والكسوة. وأيضاً يزورون المحزونين، الذين لم يمرّ عيد واحد على وفاة عزيز عليهم.

* في محافظة الحسكة :

يحتفل بالعيد تقليدياً وعائلياً. وتقوم المؤسسات الدينية في يوم العيد بتوزيع تقويمها الخاص على المنازل[1]، كما يوزع «بابا نويل» هداياه على الأطفال بخاصة. وعند السريان الكاثوليك يسلّم المطران مجسم الطفل يسوع الى الاطفال المجتمعين في باحة الكنيسة ويسير معهم وهم يرتلون اناشيد الميلاد الى حيث اعدت الاخشاب بشكل هرمي لايقادها والدوران حولها، ثم يعودون الى الكنيسة. والشعلة ترمز، كما أسلفنا، إلى النار في المغارة يوم ميلاد المخلِّص.

*في محافظة حماة :

لم تكن البيئة تركّز في الماضي على عيد الميلاد، بل على عيد الغطاس، وكان لا يجوز العمل في فترة ما بين العيدين (المولود والمعمود) التي كانت تُسمى «الطنعشية»، أي اثني عشر يوماً.

---

١. تقوم الكنائس كلها في سورية بتوزيع تقويم خاص بها، قبل فترة من حلول العيد.

أما الآن فتتميز الاحتفالات بالميلاد بتوزيع الهدايا في ساحة الكنيسة. بعد أن تعزف الفرقة النحاسية ألحان العيد تُعلن عن وصول «بابا نويل» الذي يأتي في كل عام بطريقة مختلفة، ليوزع على الأطفال هداياه. كما ترافق الاحتفال عروض رياضية ولوحات خلفية يقوم بها الشباب والفتيات. ويلبس بعض الأفراد ثياب «بابا نويل» ليوزعوا الهدايا على الأطفال في منازلهم، حيث تأخذ العائلة الصور التذكارية لهم مع الأطفال أمام شجرة العيد، كذلك توزّع الهدايا على العائلات الفقيرة.

والعيد مناسبة لجمع العائلات، في مختلف الرعايا، وهناك أناشيد خاصة بالميلاد منها :

أيها الآتي إلينا — وغداً نأتي إليك
أيها الآتي فقيراً — في ليالٍ باردات
جئت من أمٍّ بتول — هي أولى المعجزات

ومنها أيضا بالشعر الشعبي :

يا يسوع يا نبع الطهاره — طفل زغير ضوّيت المغاره
بدك قلب يفرفح إليك — قلبي يقلّك : لبيك !

* في حمص ومنطقتها :

لا يختلف الاحتفال بالعيد عنه في سائر المدن والمناطق. اللهم إلاّ في «صدد»، حيث تسبق العيد عُطلة مار يونان، وفيها يؤم التلاميذ المنازل ليجمعوا الحطب وينشدوا أغنية شعبية تحثّ الأهالي على العطاء :

حل الحزمه واعطينا — لولا «فلان» ما جينا
جرجس قاعد عالكرسي — بإيدو ملعقة البقسي
يا ربي تسلّمو — لا يحوّش غنيمتو
عود الحطب والجلي — على بيتو هالمتعلي
صيني على صيني — والعرق يسقيني
قنينه يا قنينه — فسخ الشيخ بيرضيني

وفي هذه البلدة تشعل النار بعد أن تصبح كومة الخشب تشبه البيدر في الساحة الخارجية للكنيسة، حيث ترتفع ألسنة النار حوالي ثمانية أمتار (ترمز الى حين كسر الرعاة العصي وأشعلوها ليدفأ الطفل يسوع، لأن ليلة الميلاد كانت باردة). ويدور الكاهن والمرتلون حول النار ثلاث مرات منشدين تسبيحة الملائكة.

أما الذي يميز منطقة حمص في هذه المناسبة فهو احتفال بلدة المشرفة ثاني يوم العيد، بما يسمى «كرمة الخضر». ويشترك في هذا الاحتفال جميع سكان البلدة من روم أرثوذكس وموارنة ومسلمين. واليك التفاصيل :

كرمة الخضر (اليوم التالي للميلاد)

يُروى أنه قبل عام ١٩١٧ كانت قرية المشرفة الصغيرة في محافظة حِمص تتعرض لغزوات من القرى المجاورة لها من جهة الشرق، وبقي الوضع على هذا الحال فترة طويلة. غير أنه في إحدى المناسبات كانت الحملة أشد وأقوى، فأخذت تتقدم لتدخل إلى القرية، ما اضطر الأهالي إلى الهرب. وعلى الأثر ظهر فارس ممتطٍ حصاناً أشهب تخرج من جسده نار متأججة دفع القوى الغازية إلى التراجع، ولم تعد تتقدّم ثانية بل عادت مدحورة على أعقابها إلى غير رجعة.

وفي اليوم التالي اجتاحت المنطقة آفة الكوليرا وأصيبت كل القرى ما عدا قرية المشرفة. لذلك أجمعت القرية على تكريم الفارس الذي صدالهجمات وأنقذها من الآفة بإقامة كرمة لمار جريس. ففي أوائل شهر كانون الأول من كل عام يشترك ثلاثة أشخاص، أرثوذكسي وماروني ومسلم، بجمع التبرعات لشراء لوازم الكرمة من برغل وسمن وعجل، ثم يذهبون بعد انتهاء حملة جمع التبرعات لشراء ذبيحة هي عجل بقر من سوق المواشي، قبل عيد الميلاد بثلاثة أيام، تذبح وتطبخ مع البرغل في منزل أحد وجهاء القرية وتُنقل إلى ساحة الكنيسة، فيتناول منها الجميع للبركة. وأحياناً يحصل خلاف بسيط حول مكان الطبخ بين عائلات القرية الرئيسية ينتهي بالاتفاق على المكان. أما الفائض من التبرعات العينية فيباع ويعود ريعه للاحتفال.

في فجر اليوم الثاني للميلاد تُقرع أجراس الكنائس إيذاناً بذبح العجل (علماً أن الكنيسة لا علاقة لها بالأمر) وإحاطة السكان علماً بذلك. وعلى الفور يذهب

الرجال والنساء للمساهمة في تقطيع اللحوم وإعداد مراجل الطبخ وعددها حوالي عشرة، ووضع عملية الطبخ تحت رقابة لحسن سير العمل. ومن المتفق عليه حكماً أنه لا يجوز تأجيل الكرمة إلى موعد آخر إلا إذا كان النهار مثلجاً، ولا يمنع طبخها مطر أو موت أو شيء آخر. وبعد منتصف النهار وحوالي الساعة الواحدة والنصف تُقرع أجراس الكنائس إيذاناً بتوزيع الطبخ على حوالي ٢٠٠ صينية، وفي الساعة الثالثة تبدأ صلاة الغروب لثاني عيد الميلاد، يخرج الكاهن في نهايتها من الكنيسة ترافقه الجوقة وحمَلة الصليب والشموع وأيقونة السيد والقديس جاورجيوس والنبي الياس إلى داخل الباب الشرقي لحرم الكنيسة. عندها يصطف الرجال والنساء والأطفال على اختلاف مذاهبهم منتظرين دورهم في حمل صينية معينة.

عند تلقّي الإيعاز بالمسير يأخذ المرتلون بترتيل ترانيم العيد، فيما النسوة يزغردن ابتهاجاً بالمناسبة، ويطوف الجميع حول الكنيسة وعلى رؤوسهم الصواني غير مبالين بحرارة الطبخ. ولدى الوصول إلى الأرض المخصصة للحدائق بين الكنيستين الارثوذكسية والمارونية توضع الصواني على الارض ويتناول منها ما يزيد عن ستة عشرَ ألف نسمة من المدينة (حمص) والمشرفة والقُرى المجاورة التي تنتظر المناسبة، فيما يقف الكاهن ومن معه مقابل باب الكنيسة المارونية حاملاً إنجيله استعداداً ليقبّله المؤمنون بعد انتهاء الوليمة. وبعد ذلك تنتصب حلقة كبيرة واحدة للدبكة على صوت طبل ومزمار، يشترك فيها الشبان والصبايا وغيرهم، وتستمر هذه الحلقة حتى حلول الظلام، موعد عودة كل واحد إلى بيته، حاملاً في خياله أروع انطباع عن هذا التقليد الموروث. علماً انه جرت محاولات عدة لإلغاء «الكرمة» وهذا التقليد «لوقف الهدر»، لكنها باءت بالفشل.

رأس السنة وعيد الختان

ليس رأس السنة الميلادية عيداً دينياً، وإن كانت الكنائس تحتفل فيه بختان الطفل يسوع، كما تحتفل الكنائس الأرثوذكسية بعيد القديسين باسيليوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي، والكنائس الكاثوليكية بعيد القديس سيلفسترُس. فالسنة الطقسية تبدأ في الأول من ايلول.

السريان يسمّون رأس السنة «فرغونية المسيح»، والفرغونية تعني الفرح والطرب، كما يسمّونه «دام» أو «يوم الدايم» تيمناً بدوام التوفيق والمسرات. الأرمن يسمّونه «كاغانت» أو «أمانور»، وكانت سنتهم تبدأ مع مطلع الربيع، ثم مع موسم الحصاد في ١١ آب، الى أن تحوّلت أرمينيا الى الديانة المسيحية في مطلع القرن الرابع، فاعتمدوا بعد ذلك التقويم الغريغوري. في حوران يسمّونه «عيد صباح الخير». ويشارك المسلمون مواطنيهم المسيحيين في هذا العيد، فيتبادلون معهم التهاني والتمنيات.

للاحتفال برأس السنة وجوه عدة، دينية وعائلية واجتماعية :

* ***الاحتفالات الدينية*** يجري بعضها مساءً، في قداس نصف الليل الذي تسبقه صلاة المساء وسهرة ذات طابع ديني. فسريان الحسكة، مثلاً، يحملون من الكنيسة شموعاً مضاءة الى بيوتهم، توقد منها المصابيح والسرج. ومن العادات المحببة عند جميع المسيحيين زيارة العائلات المستورة ومعايدتها بحمل الهدايا والاطعمة والحلويات إليها، وتوزيع الكتاب المقدس في بعض الاماكن.

* ***الاحتفالات العائلية*** تبدأ ليلة العيد، وتتشارك النساء في التحضير لها بإعداد المقبّلات والمأكولات والمشروبات. تجتمع العائلة عند كبيرها، جداً أو أباً أو أخاً اكبر، أو يجتمع عدد من العائلات عند إحداها، بالتناوب. تعقد حلقات السمر، فيتخللها الغناء والرقص والزغاريد ورواية النوادر؛ أو يجتمع البعض حول «كرسي الدفا»، باعتباره طريقة «تدفئة مركزية» في بعض مناطق سورية، وهو عبارة عن طاولة مستديرة تغطى بحرامات وشراشف تسترسل أطرافها على الجالسين حولها، وتحتها منقل يتدفأون به (هذه العادة في انقراض، مع ظهور وسائل التدفئة الحديثة)، فيما توضع عليها أطباق المأكولات أو وسائل التسلية، كطاولة الزهر أو الشطرنج أو ورق اللعب.

في الحسكة يخصص لكل شخص من العائلة شمعة (رمز النور) توقد امامه على مائدة الطعام. والاعتقاد الشعبي السائد ان من تستمرّ شمعته مضاءة اطول فترة ممكنة تكون السنة خيّرة عليه.

بصورة عامة، عند منتصف الليل تُطفأ الانوار للحظة ويتبادل المعيّدون القبلات والتمنيات ويقبّل الصغار أيدي الكبار. في هذه اللحظة يغمض البعض عيونهم

لطلب شيء ما من الرّب، أو لشكره على عطية ما، أو لتقديم نذر، «لأن أبواب السماء تكون مفتوحة» في هذه المناسبة. وعندما تضاء الانوار يعتمر الكثيرون القبعات المخروطية ويحملون الزمامير ليحتفلوا بالسنة الجديدة، ويتبادلون الهدايا، وبخاصة الخطّاب، كما يقدّمونها للاولاد، صغاراً وكباراً. وفي بعض المناطق يخرج هؤلاء بعد ذلك الى الشارع ويقصدون البيوت فيقرعون أبوابها مردّدين بأعلى صوتهم : «الدم دامي، وان ما عطيتوني دامي تسوق الباب قدّامي»، فتفتح لهم الابواب لينالوا نصيبهم من النقود أو من المآكل الطيبة، ويقضون ليلتهم هكذا بالتجوال من بيت الى بيت، حتى اذا بزغ الفجر وقد تعبوا، يتقاسمون المحصول وينصرفون الى منازلهم فرحين.

* ***من المظاهر الاجتماعية*** الاحتفال برأس السنة في الفنادق والمطاعم والملاهي، مع الموسيقى والرقص، بالنسبة الى الشباب والعائلات الميسورة، وفي أندية الكنائس، حيث يُعَدّ برنامج حافل بالمسابقات والترانيم والنكات...

ويتبادل الناس الزيارات والتمنيات والهدايا في السنة الجديدة، بعد منتصف الليل ويوم العيد أو بعده. ومن التقاليد التي ما زالت متّبعة، في حوران مثلاً، أن الشخص الذي يسبق سواه بإلقاء التحية والقول «فوري عليك» أو «بسترينتي[1] عليك» يتلقى من الآخر هدية العيد. وكثيرون «يجرّبون حظهم» في هذه المناسبة، بشراء ورقة يانصيب أو بألعاب الحظ المختلفة.

مائدة الغداء في العيد منوّعة وغنيّة : الكبة بكشك أو بلبنية تيمناً باللون الأبيض، في دمشق، حيث يضعون في أقراص الكبة بعض القطع النقدية المعدنية، جلباً للحظ في العام المقبل. وأحياناً يكون قرص الكبّة على شكل جرس، حشوته من اللحم والبصل والجوز مع دبس الرمان، خاصة بمحلة الميدان بدمشق وهو لذيذ جداً، إضافةً الى توابل «البستيك» والعقودة، السمك، الكباب المشكل، ورق العنب، البسطرما، المرتديلا والصاصيجو وسواها في حلب؛ اليقطين مع لحم وأرزّ في حمص...

---

١. كلمة تركية تعني : صبحيتي عليك.

الحلويات ايضاً متنوعة، بحسب المناطق : حلاوة رأس السنة، البقلاوة، الغريبة، الكعكة الطرية، حلاوة الجوز، الكليجة[1] والعقودة[2]؛ وفي حمص يفضّلون الكنافة بجبن او بالقشطة على ما سواها من الحلويات، «حتى تبقى كل ايام السنة حلوة». والأرمن يصنعون قالب حلوى يضعون في وسطه شمعة ويتناقلونه من يد إلى يد وهم يقولون : «دام دام شمعدانا»، أي ما يقابل «الدايم دايم». وهم يلتقون في ذلك مع أهالي حماة، الذين يشربون النبيذ الأحمر من كأس واحدة يضعون فيها قطعة نقود ذهبية، معتقدين أن ذلك يجلب الحظ والرزق للعائلة.

عيد الغطاس

عند السريان يسمّى أيضاً الدنح أو البراخ، وهما كلمتان سريانيتان تعني أولاهما الظهور الالهي والثانية المباركة أو التبريك. والغطاس ذكرى لعماد السيد المسيح و«غطسه» في الماء، على يد يوحنا المعمدان. يحتفل بهذا العيد في السادس من كانون الثاني، والأرمن الارثوذكس يحتفلون بالميلاد والغطاس والظهور الإلهي معاً في هذا التاريخ.

تقاليد العيد : في بعض المناطق كانت تتوقف الأعمال قبل العيد بثلاثة أيام، استعداداً له. واليوم الذي يسبق العيد (البار آمون) هو يوم صيام. يبدأ الاستعداد للعيد في المساء، اذ تسهر العائلات مع تلاوة الصلوات والترانيم ومزامير معينة، اضافة الى الاغاني.

من تقاليد الغطاس أن تضاء قناديل الزيت أمام كل منزل، بعدد أفراده، وتفتح الابواب بانتظار مجيء الخير للمنزل وأهله تحمله اليه «بغلة». ويقال أن السيد يمرّ بعد منتصف الليل ليبارك المنزل المضاء وبيت المؤونة الذي يُترك مفتوحاً بقوله : «ليبقَ هذا البيت مضاءً الى الابد»، أو يمرّ ملاك يقدس البيوت والغلال.

---

١. الكليجة : من انواع الكعك، يُصنع بالاخص في الحسكة وحلب، ومواده من الطحين والسكر والسمن والماء وتوابل خاصة، وبعضهم يلفظها بحرف الشين (الكليشة).

٢. العقودة : أكلة تركية يستوردها تجار الحسكة او تُعدّها العائلات في المنازل، وتتكون من الطحين والجوز والماء والتوابل. يسميها الدمشقيون ملَبَّن.

ومنها أن تعلّق عجينة ملفوفة بقطعة قماش على شجرة في صحن الدار، تحضيراً لها لتصبح الخميرة التي يخمّر بها العجين، طيلة السنة، بدلاً من الخميرة القديمة. ويعتقد كثيرون أن سائر الاشجار تخضع في هذه الليلة للسيّد، ما عدا شجرة التوت التي يشعلونها، ربما «لكبريائها».

مأكولاته : تنصرف النسوة الى إعداد المأكولات والحلويات الخاصة بالعيد، وأهمها الزلابية[1] التي ترمز الى تبديل الانسان العتيق بالجديد، كما تتبدل العجينة بعد تغطيسها بالزيت المقلي. ويمتنع المحزونون عن صنعها وتقديمها. والكرابيج والناطف[2] والبخوت والزنكل والمبسبس والهريسة والخبيصة والاقراص بالتمر... فالبخوت من بخت، أي الحظّ، وهي معجّنات محشوّة باللحم والبصل المفرومين، أو بالجبن القريش أو بالجوز والسكر، توضع فيها قطع نقدية يتفاءل من يحظى بها بالحظ السعيد. **الزلابية** هي سيدة مأكولات الغطاس، وفي منطقة جبل الشيخ يقال، عند قليها : «زلابي زلزبول، بتطعموني والاّ بقول».

الماء والغطاس : يكون الماء مباركاً يوم العيد، لأن المسيح غطس فيه، ولأن المزمور ٢٩ يقول : صوت الربّ على المياه... ففي حوران يعتقد الناس أن السماء تكون مفتوحة في هذا العيد. وفي حماة يضعون اناءً مكشوفاً خارج المنزل، حتى اذا أمطرت السماء فيه يغتسلون بمائه. ويعتبر الدمشقيون ان الماء يتقدس في هذه الليلة فيغتسلون بها.

عند منتصف ليلة العيد يذهب الناس في بعض المناطق السورية الى الغطس في مياه الأنهر، كالعاصي، أو في السواقي والبرك والينابيع، مهما كان الطقس قاسياً وبارداً، حتى لو كانت مياه ضفاف النهر متجمدة، فيكسرون الجليد ويغطسون ثلاث مرات على اسم الثالوث، وبعضهم يغطس في المياه لثلاثة أيام على التوالي. ومن الأدعية قول السريان عند ذاك: «براخ برخني، فستان شرخني»، أي باركني يا عيد الغطاس عندما أخلع ثوبي للاغتسال. وينشد سواهم أغنية تقول :

غطّس غطّس يا مار حنا وشيل الشدّه والبَلا عنّا

أو :

غطّس غطّس يا مار الياس وارفع الشدّه عن كل الناس

---

١. الزلابية : من انواع المعجنات، تتكون من الطحين واليانسون والماء وقليل من الملح والسكر.

٢. الناطف : هو القَطر المخفوق بشلش الحلاوة حتى يصبح ناصعاً كالثلج.

و يغطس الارثوذكس في ريف دمشق على ترنيمتي «باعتمادك يا رب في نهر الاردن...» و«أنتم الذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم، هللويا».

والغاطسون هم من كل الأعمار، رجال كبار وشباب وأولاد؛ حتى النساء يغطسن أيضاً، على حدة، حيث يتوافر لهنّ ذلك. فراهبات دير صيدنايا البطريركي يغطسن في بحيرة الدير، أما رجال البلدة ففي بحيرة البستان، بقصد التبرّك وشفاء الاجساد. وفي منطقة اللاذقية يغطسون في البحر. وحيث لا يتوافر مجرى ماء أو بركة يكتفون بالاستحمام أو بصبّ الماء على رؤوسهم في المنازل.

* في ريف حمص (صدد):

يذهب الكاهن السرياني عند الفجر الى نبع العين حاملاً قنينة ماء، فيفرغ قسماً منه ثم يملأها من جديد، فيتلو مع شماسين صلاة التبريك بالسريانية: «مزج يوحنا ماء المعمودية، وقدّسها المسيح بنزوله حيث اعتمد بها. وفي الوقت الذي صعد من الماء، قدّمت له السماء والارض الوفاء. خفضت الشمس أشعتها، وسجدت له النجوم، ذاك الذي قدّس جميع الأنهر والينابيع. هللويا، هللويا». بعدئذ يعود الجميع الى الكنيسة ليدقوا الناقوس، معلنين بدء الصلاة.

عادة الغطس في المياه أخذت بالاضمحلال منذ العام ١٩٧٠، ولا يحافظ عليها إلا كبار المسنين الذين لا يشعرون ببركة العيد إلا اذا غطسوا. فالمدنية الحديثة تدق جميع الأبواب ولا يُستبعد أن تقضي على كثير من التقاليد.

* في بلدة محرّدة:

يحمل عيد الغطاس طابعا شعبياً مميزاً في رعية محردة.

في ليلة الغطاس ترى الجميع يسهرون إلى ما بعد منتصف الليل ويفتحون جميع الأبواب الداخلية والخارجية لتدخل - كما يعتقدون - البغلة التي تحمل الخير لكل من يستقبلها بفرح وإيمان. وهذا يرمز للبركة والنعمة الإلهية التي تدخل بيوت المؤمنين الساهرين على خلاصهم. قديماً، وفي الصباح الباكر في محرّدة، كان الجميع يتسابقون للوصول قبل بزوغ الضوء إلى نهر العاصي الذي يزنّر محرّدة

من الشمال في وادٍ عميق مليء بمغاور وكهوف الرهبان المنحوتة في الصخر. وعند وصولهم الى الماء يخلعون لباسهم ببراءة تشبه براءة الإنسان الأول ويغطسون ثلاث غطسات على اسم الآب والابن والروح القدس. وقد توقفت هذه العادة منذ عام ١٩٧٠ وبات المؤمنون اليوم يكتفون بالغطس في البيوت ضمن الحمامات قبل شروق الشمس فيسكبون الماء على رؤوسهم على اسم الآب والابن والروح القدس، ويُذكر القول نفسه الذي يقال في رعايا عدة:

غطس يا مار يوحنا وأبعد الشدّة عنا

* في بلدتي برشين وتين السبيل:

يذهب أهالي هاتين البلدتين فجرًا الى الينابيع والسواقي القريبة للاغتسال بمياهها على الرغم من البرد القارس. إذ إن الايمان بالرب يسوع المعمود في نهر الاردن يحملهم على الاعتقاد بأن الذي ينزل في الماء في ذلك اليوم سوف يُشفى من كثير من الامراض. ومن الجدير ذكره وجود ينابيع خاصة بالنساء مثل «نبع عين الجوزة».

* في الحسكة:

يسبح الناس في الانهار او البحيرات، ولا يثنيهم عن ذلك البرد مهما كان شديدًا.

أما المؤمنون فيتوافدون الى الكنائس، في سائر المناطق، حاملين قناني المياه لتبريكها خلال القداديس، بتلاوة بعض الصلوات والمزامير المتعلقة بالمياه، كل طائفة بحسب طقسها.

«أشبنة» **المسيح والغطاسية**: رتبة التبريك هذه لا بدّ فيها، عند بعض الطوائف المسيحية (السريان، الكلدان، الارمن)، من إشبين للسيد المسيح. وللحصول على هذا الفخر - بل هذه النعمة - كانت تجري مزايدات (عند السريان الارثوذكس) يعود ريعها الى الكنيسة ويفوز فيها من يدفع المبلغ الاكبر.

وقد أخذت هذه العادة بالتراجع، لدى بعض كنائس السريان، اذ صار يُكتفى بالتبرع للكنيسة من دون مزايدات. وغالباً ما يكون الاشبين طفلاً يُسجّله اهله

لدى الكاهن، ومن يسبق يحصل على الأشبنة، كما يحصل لدى الأرمن ولدى كلدان الحسكة. فعند هؤلاء تعطى الأشبنة للمريض أو الفقير أو الناذر. وعند الأرمن يكون الاشبين طفلاً يضعون على كتفه فروة خروف، وعلى رأسه إكليلاً من الزهر، قبل مباركة الماء بالميرون، وذلك رمزاً لحياة يوحنا في البرّية ولاستشهاده بقطع الرأس.

يحتفظ الاشبين بقنينة الماء سنة كاملة، فيهنئه بذلك الاقارب والاصدقاء، إذ يذهبون لزيارته والغداء عنده أحياناً. أما سائر الناس فيحملون قناني الماء المباركة الى بيوتهم، يعطون منها للمريض أو يشربون منها للتبرّك، كما يستعملونها عند لتّ عجين خميرة السنة...

بعد الظهر وفي الأيام التالية يأتي الكهنة لرش البيوت بالمياه المقدسة لتبريكها وإبعاد الأذى والضرر عن أهلها ومحتوياتها، وهذا ما يسمّى الغطاسية عند الروم الأرثوذكس والكاثوليك.

في الماضي كان يجري عماد الاطفال الذين ولدوا خلال السنة يوم عيد الغطاس، وكان يقال: «اذا لم يكن عندك معمود، غطّس عود». أما الآن فصار العماد يجري في أي وقت. والبعض، كأهل الحسكة، لا يُقبّلون الطفل قبل عماده، لأنه «ما زال وثنيًّا».

عيد مار أنطونيوس

إنه «أبو الرهبان»، تكرّمه وتحتفل بعيده الطوائف والرهبانيات الكاثوليكية في ١٧ كانون الثاني، إنما الأكثر احتفالاً بهذا العيد هم السريان الحماصنة (نسبة إلى مدينة حِمص)، فتقام في بيوتهم الولائم وتُذبح الديوك لهذه المناسبة، فيُرَشّ دمُ الديك المذبوح على جدار البيت بشكل صليب للتبريك. وهناك أكثر من رواية حول هذا القديس، منها ان الشيطان ظهر له بصورة امرأة ليغويه وكاد أن يضعف لولا قوّته. ويتندر الدمشقيون بأن القديس انطونيوس يحب النساء لذا تذهب العاقرات منهن الى كنيسة مار مطانيوس للموارنة وتبلع قطناً بزيت من يد الكاهن، وتروي الذاكرة الشعبية ان الكثيرات منهن كن يحملن.

عيد القديسين سركيس وباخوس

يُحتفل به آخر كانون الثاني أو مطلع شباط. ويسبقه صوم مار سركيس. ويُقال ان الفتاة التي يزورها القديس سركيس في منامها ثاني ليلة الصوم تنال «مراد قلبها» ويكون حظها «مفتوحًا»، وإن «مار سركيس يجلب العريس». ومن العادات الشعبية في هذا العيد أن يزور العريس وأهله العروس وهم يحملون الهدايا المتنوعة لها.

ويشارك الأرمن السريان في تكريم مار سركيس، كما أن الطوائف الكاثوليكية تحتفل بعيد القديسين سركيس وباخوس معاً. ويُعتبر أولهما رمزاً للرجولة عند الأرمن.

هذان القديسان هما من شهداء القرن الميلادي الثالث، ومقامهما في الرصافة، التي كانت تعرف باسم «سرجيوبوليس»، اي مدينة سرجيوس. بنى فيها الامبراطور قسطنطين كاتدرائية وديرًا بديعًا، كما بنى هشام بن عبد الملك، في ما بعد، قصرًا منيفًا. وقد جرى تنظيم حجّ اليها لتكريم هذين القديسين في العام ١٩٩٨، قامت به وفود من مختلف الطوائف والمحافظات السورية ومن لبنان. ويخصّها المؤمنون بترنيمة مطلعها:

إنما سرجيوس وباخوس ... للشهادة مرشدان
إضرعا للرب دوماً ... كي نعيش في أمان

دخول المسيح الى الهيكل

يُحتفل بهذا العيد في الثاني من شهر شباط، أما الأرمن الارثوذكس فيحتفلون به في الرابع عشر منه وهم يسمّونه «ديارنتناج»، أي المثول أمام الرب، وهو عيد لكل من يحمل اسم سيمون وسمعان وسميعة وشمعون، وبركة لكل شيخ مسنّ.

يبدأ العيد في مساء الأول من شباط، ويحتفل السريان الأرثوذكس (وبخاصة الشعب الرهاوي) بهذا العيد بشكل خاص، إذ يأخذ الأهل اولادهم الصغار الى الكنيسة حيث تقام صلاة الغروب ثم تجري رتبة اضاءة الشموع فيصعد الاطفال

الى الهيكل ويدورون حول المذبح ثلاث مرات وبأيديهم الشموع المصنوعة من شمع النحل. يحمل المؤمنون الشموع مضاءة الى بيوتهم لتكون بركة لهم ولمنازلهم، وهم يضيئونها في ايام المحن أو لايفاء النذور. أما الطفل الذي لم يبلغ السنة بعد، فتأخذه أمه الى منزل احدى جدّتيه او احد الاقارب حيث تجتمع العائلة بكاملها، وبخاصة النساء، لتكحيله ومن يريد معه من الموجودين وتقدم له الهدايا.

كثيرون يتكحلون بـ«دخان» هذه الشموع رجالاً ونساءً وأطفالاً، تفاؤلاً بقدوم سنة جديدة يكون فيها النظر أجمل وأنقى. ومن يتبع هذا التقليد يؤمن أيضاً أن القديس الشيخ سمعان يمرّ ليلاً ليبارك الفطائر المصنوعة خصيصاً لعيده.

ولما كان اليوم التالي للعيد، أي الثالث من شباط، يصادف عيد القديس بلاسيوس (Saint Blaise) الذي تخصّه الكنيسة الأرمنية بتكريمها منذ القرون الوسطى وتعتبره شفيعاً ضد أمراض الحلق، فإن الكاهن يأخذ شمعتين من شموع سمعان الشيخ ويربطهما على شكل مصلب (X) ثم يضع التقاطع عند حلوق المؤمنين المتقدّمين للتبرّك قائلاً: «بشفاعة القديس بلاسيوس فلينقذكم الرب من الامراض الحلقية»، وهذا ما يسمّى «الخونقة»، أي مباركة الحلق للانقاذ من «الخانوق» الذي كان كثير الانتشار بين الاطفال والعجزة.

يحتفل الارمن الارثوذكس بذكرى دخول المسيح الى الهيكل بطريقة خاصة. ففي ١٤ شباط تأخذ الأم وليدها الى الكنيسة، أسوة بالسيدة العذراء، حيث يحمله الكاهن ويدور به حول المذبح وكأنه يهديه الى الرب. ثم يأخذ المؤمنون الشموع الى بيوتهم وكأنهم يحملون نور المسيح معهم. وهم ايضاً يتكحلون بـ «دخان» هذه الشموع. وتتميز المناطق الشعبية في حلب بالمحافظة على التقاليد القديمة، إذ يتم اشعال النيران في الشوارع ويتحلق الناس حولها ويرقصون فرحين بـ«حرق فصل الشتاء» وترحيباً بقدوم فصل الربيع. كذلك يقوم الدمشقيون، من الروم الارثوذكس والكاثوليك، بادخال الاطفال حديثي الولادة الى الكنيسة في هذا اليوم.

عيد البشارة

هذا اليوم (٢٥ آذار) ليس عيد بشارة السيدة العذراء وحسب، بل هو عيد كل من يحمل اسم بشير، بشّار، بشارة، بشيرة، جبرائيل. هذه الاسماء كلها تيمناً باسم

الملاك جبرائيل (البشير)، الذي يعني: رجل الله. ففي مساء ٢٤ آذار تُقام صلوات خاصة في جميع الكنائس.

* في دمشق:

تقوم فتاة عذراء صغيرة بعجن العجين ومعه قطعة نقدية، وتردّد الصلاة الربانية والسلام الملائكي مرات ثلاث، ويبقى العجين لليوم التالي ليُقلى على شكل أقراص ويوزع على أفراد العائلة.

* في حلب:

تتميز الكنيسة السريانية بأمرين: أولهما عجن الطحين المقدم من المؤمنين داخل الكنيسة (بدون خميرة كتجسد الاله بدون بذرة رجل)، فيأخذه المؤمنون إلى البيت كبركة. فكما يزداد العجين ويكبر كذلك تزداد البركة بين المؤمنين، وقد يخبزونه بعد وضع قطعة نقدية فيه. فمن تكن القطعة النقدية من نصيبه يكون هو المحظوظ والمبارك في العائلة. وثاني الأمرين أن يصلي الكاهن على خيوط من اللون الأحمر والأزرق أو الأبيض، دلالة على اتحاد اللاهوت بالناسوت، ثم توزع على المؤمنين كبركة فيربطها الناس حول إصبعهم أو يدهم حتى عيد القيامة او حتى عيد الميلاد، عندها يحرقون هذه الخيوط في نار ويطهون عليها اللبنية. ويُدعى هذا الخيط «بازنبار»[1]، والغاية منه ربط حواس المؤمن الروحية والجسدية بالحبل الإلهي، ويكون الخيط مبروماً للدلالة على اتحاد اللاهوت بالناسوت.

* في الحسكة:

يشترط في من يُهيئ العجين أن يكون شماساً بتولاً وعفيفاً، ويتمّم الكاهن الرتبة الخاصة بالعجين فيوزَّع للذكرى على المؤمنين الذين يضعونه في أوعية المؤونة للتبرك. أما قطعة النقود التي توضع في الفطائر المقلية فهي تذكّر بقطعة النقد

١. بازنبار: كلمة مُصحفة عن السريانية بوسبورو، وتعني اتحاد اللاهوت بالناسوت، من دون امتزاج ولا اختلاط ولا استحالة.

التي عثر عليها القديس بطرس في فم السمكة، فدفعها ضريبة الأبكار عنه وعن الرب يسوع، بأمر الرب.

كما أن اللبنية، الطبخة المؤلفة من القمح واللبن، تطبخ أيضاً في سبت النور، السابق للقيامة. ويرمز القمح فيها إلى الجسد وبياض اللبن إلى النور، وهو من رموز القيامة.

عيد الشهداء الأربعين

يقع هذا العيد في أثناء الصوم الكبير (٢٩ آذار). وهو عيد كاتدرائية حمص، ويسميها الحمصيون «كاتدرائية الأربعين شهيداً».

* في صيدنايا :

تسهر الراهبات ليلة العيد في دير السيدة ويقرأن قانونهن راكعات على قش لفترة طويلة. وفي يوم العيد لا تقوم الراهبات بأي خدمة. ففي إحدى السنوات قامت إحدى الراهبات بالخدمة العادية فوقعت أيقونة الأربعين شهيداً الموجودة في الدير. ومنذ ذلك التاريخ حتى اليوم والتشديد على هذا التقليد قائم بقوة. وقد جرت العادة في هذا العيد على تقطيع البطيخ وتوزيعه، رمزاً لقطع رأس يوحنا المعمدان. وهذه ايضا عادة دمشقية قديمة.

ويحتفل الأرمن الأرثوذكس في حلب بقداس خاص في الكنيسة التي تحمل اسم الأربعين شهيداً، حيث تُرفع ستارة المذبح تكريماً لهم. وتجدر الإشارة إلى أنه يُشعل فيها أربعون قنديلاً بالزيت لمدة أسبوع كامل، يشعل المؤمنون شموعهم منها ويأخذون من زيتها إلى البيوت، طالبين من الله الشفاء العاجل لمرضاهم.

* في السقيلبية (محافظة حماة) :

للعيد وقع خاص، إذ إنه يبشر بقدوم الربيع، فيتجمع الأهالي ويعقدون حلقات الدبكة التي تشترك فيها الفتيات إلى جانب الشبان على صوت «المجوز» وقرع الطبول. وتوزع بعض النسوة النقود على الأطفال.

أما المآكل في هذا العيد فهي التمرية في حمص، والزنكل[1] وكبّة الراهب[2] في محافظة حماة. وفي اللاذقية يصنعون ٤٠ قطعة كبة بسلق، وكلها مآكل صيامية.

أسبوع المرفع

يسميه الدمشقيون وأهل حوران «أسبوع الكرايز» من كرَزَ، أي أعلن البشارة. إنه الاسبوع الذي يسبق الصوم الخمسيني الكبير، يودّع فيه الناس أكل اللحم والزفر إجمالاً، وتوزّع الحسنات على « العنايا» ، أي النسوة اللواتي يرتبط بهنّ المحسن بقرابة أو صلة رحم. وعند سكان حي الميدان الكاثوليك بدمشق يُدعى الخميس الواقع في هذا الاسبوع «خميس الصفايح» نسبة الى أكلة الصفيحة (اي اللحمة بعجين) التي تخبز في هذا اليوم. وفي الحسكة يتنكر بعض الشباب فيه بلباس خاص ويطوفون على البيوت، موزعين الهدايا والالعاب على الاطفال، تحضيراً لهم للصوم الكبير. ويتزاور أبناء العائلة الواحدة ثم يستقرون عند كبيرهم الروحي أو الاجتماعي الذي يولم لهم مائدة تحوي ما لذّ وطاب، فيتناولون المآكل التي لا يتناولونها عادة في الصيام. كما يزور أهل العريس العروس، حاملين لها الهدايا.

خميس السكارى...

يقول الاب يوسف قوشاقجي، في كتابه *الادب الشعبي الحلبي* : «هو يوم الخميس في الاسبوعين قبل يوم الاثنين الذي فيه يبدأ الصوم. فالخميس الاول هو خميس السكارى للأكابر، فيه يقيمون المآدب والحفلات الراقصة متنكرين ويشربون المسكرات... والخميس الذي يليه ويتقدم أول الصوم هو خميس السكارى للفقراء... كانت «المساخر» تجوب الشوارع والبيوت طوال أيام المرفع، ولا سيما يوم خميس السكارى... هذه المساخر بطلت نهائياً عام ١٩٤٠. ومن أسباب إبطالها حدوث أمور لا تتوافق مع روح الاستعداد للصوم».

١. الزنكل : عجين محشو بالراحة البيضاء، وهي ترمز الى الشهداء الاربعين. يُقلى بشكل حلقات كأنها الأكاليل.

٢. كبة الراهب : عبارة عن كرات من البرغل مطبوخة بالبندورة المجففة.

يتميز خميس السكارى في الحسكة بأن الاهل يدعون فيه بناتهنّ المتزوجات مع أزواجهن الى الغداء. ومعظم العائلات الحسكاوية تطبخ في هذا اليوم «الكتل»[1].

وفي دمشق يأكلون الصفيحة[2]، كما يتحلّون بالبقلاوة والكنافة والمبرومة. أما المشروب فحدث ولا حرج عن شرب العرق والسكر حتى الثمالة !.

... و«ليلة الحشرة»

إنها ليلة احد المرفع الذي يسبق الصوم ومعه تمتنع الكنيسة عن مباركة الزواج حتى «الاحد الجديد»، الذي يلي أحد القيامة. وفيه يبارك الكاهن الجهات الاربع ويشعل الناس النار خارج الكنيسة ويصلّون في باحتها الخارجية، ويدعس المصلون الجمر أو يقفزون فوقه، أملاً بتحقيق أمنياتهم واحلامهم.

بعد الأكل والشرب يسهر الناس الى ساعة متأخرة (والبعض يكتفون بوقعة الغداء، استعداداً للصيام في اليوم التالي)، وتغسل النساء كافة الاواني البيتية، لئلا يبقى فيها أثر للزفر. والبدو في الحسكة يقولون عن جيرانهم المسيحيين في هذه المناسبة: «ليلة لا يشبعون (أحد المرفع) وليلة لا ينامون (هجمة عيد الفصح)».

ومن الأدب الشعبي عن مرفع الصوم :

يوم الأحد بكّرنا	عندي بداري اجتمعنا
مسكنا في بدء السهره	موسيقى مع ألحاني
والسفره كانت ممدوده	والشموع فيها موقوده
ودكّينا جوز فروده	وصرنا نضرب فوقاني

---

١. الكتل مصنوعة من برغل ناعم وسميد ولحمة هبرة وحشوة من بصل وبقدونس.

٢. الصفيحة هي فطائر من عجين مرقوق، حشوتها لحم مفروم مع بصل ودبس الرمان.

الأصوام

الصوم لا وقت محدداً له، اذ يمكن أن يلجأ اليه الناس في أي وقت، في سائر الأديان، وبخاصة السماوية منها. إنه لقاء مع الله في التوبة، لقمع شهوات الجسد وترويض الانسان لتعويده على تحمّل المصاعب والمشقّات، عدا عن أن الشاعر العربي يقول : «إن في الصوم صحة البدنِ».

الصيام مع الصلاة، في المسيحية، هو «غذاء الروح»، يحصل استعداداً للاحتفال ببعض الأعياد والمناسبات، أو بدوافع التقشّف والتطهّر والتوسل الى الله أو الحداد، أو «للرّيجيم»؛ وهو يتمثل في الانقطاع عن الطعام والشراب، أو عن أكل الزفر أو الحلويات، أي اللحم والبيض والمنتجات الحيوانية والاكتفاء بالاطعمة النباتية والمقلاّة بالزيت، وذلك ليوم أو أكثر؛ وقد يمتدّ أسبوعاً أو أسبوعين في بعض الاصوام، ولأربعين أو خمسين يوماً في الصوم الكبير، بحسب الطوائف. هذا الانقطاع عن الطعام والشراب يبدأ عادةً عند منتصف الليل وينتهي ظهراً. فمثلاً صام أحدهم سنةً كاملة على رغيف خبز وكوب ماء، صباحاً ومساءً. و«صوم الطيّ» هو الامتناع الكلي عن الطعام والشراب لثلاثة أيام، وهو يحصل في أول الصوم الكبير ومنتصفه، وفي أول اسبوع الآلام حتى المناولة مساء الأربعاء، وفي صوم نينوى.

في المسيحية أصوام عدّة بدأت الكنائس «تفسّح» منها بسبب صعوبات الحياة العصرية. وكثيرون يلجأون الى صوم «انتقائي»، كيومي الاربعاء والجمعة، وبخاصة الجمعة العظيمة. ويرمز الاربعاء الى تسليم يهوذا للمسيح والجمعة الى صلبه وتجنيزه. أهم هذه الاصوام، في سورية، بالترتيب التاريخي :

- صوم عيد الميلاد، يصوم فيه الارثوذكس أربعين يوماً، أما الكاثوليك فيصومون عشرة أيام، استعداداً لميلاد المخلّص.
- صوم نينوى (أو النبي يونان)، يقابله صوم مار سركيس لدى بعض الكنائس.
- صوم مار سركيس.

- الصوم الكبير [1]، وقد سميّ كذلك لانه يسبق العيد الكبير أي الفصح ولطول فترته (٤٠ أو ٥٠ يوماً).
- صوم عيد السيّدة (خمسة عشر يوماً).
- صوم بعض الرسل والقديسين، كمار جرجس (أو الخضر)، ولا يصومه المؤمنون إلاّ نادراً، ووفاءً لنذر أحياناً.
- صوم القديس يعقوب النُصيبيني (لدى الارمن)...

نذكر في ما يلي الاصوام التي يتبع فيها الصائمون عادات وتقاليد مميزة:

صوم نينوى

مدّته ثلاثة أيام، وفيه انقطاع تام عن الطعام والشراب. تصومه العائلات السريانية والكلدانية ويقابله صوم مار سركيس لدى الأرمن، وتاريخه في الاسبوع الثالث الذي يسبق الصوم الكبير (٦-٨ شباط)، كما يصومه المسلمون أحياناً ويسمّونه «صيام الخضر». بعض الفتيان والفتيات يصومون الايام الثلاثة «صيام طي»، مثل أهل نينوى، لتحقيق أمانيهم والرغبات...

وأصل هذا الصوم توبة أهل نينوى بمناداة النبي يونان (يونس). ويروي سفر يونان، المتضمن أربعة اصحاحات من الكتاب المقدس، الأحداث التي وقعت وتوبة أهل نينوى وصيامهم عن الطعام والشراب بدءًا بالملك وانتهاء بالحيوانات التي يقتنونها. ويجلب المؤمنون، للإفطار بعد ثلاثة أيام، الأطعمة الخاصة الخفيفة والأشربة الساخنة للصائمين المقبلين على الافطار وتؤكل هذه الأطعمة خارج الكنيسة. ويُقبل الكثير من الفتيات والشبان على هذا الصوم طالبين من الرب تحقيق امنياتهم، كما يصومه الشيوخ والأطفال والنساء على السواء. وقد تحول الى ظاهرة دينية شعبية خاصة بمنطقة الحسكة[2]، على غرار ما فعل أهل نينوى تجاوباً مع دعوة يونان النبي (نبوءة يونان، الفصل ٣).

---

١. مدة الصوم الكبير: اربعون يوماً يضاف اليه اسبوع الآلام، لذا يدعى بالصوم الاربعيني المقدس.

٢. رواية الاب يعقوب فرجو سعيد، الحسكة.

صوم مار سركيس

يسمّى بالأرمنية «ارتشاڤوراتس»، أي «الصوم الاول»، وهو أول صوم يقع بعد عيد الظهور ويسبق الصوم الكبير بثلاثة أسابيع. ويعتبر الارمن القديس سركيس رمزاً للرجولة؛ ومن عادة الفتيات الارمنيات أن يصمن صومًا شديدًا مع القطاعة عن الاكل والشرب يومين (كما في حلب) أو الصوم خمسة أيام (كما في دمشق)، استعداداً للعيد، طالبات شفاعته للحصول على فتى احلامهنّ.

قبل مجيء العيد يحضّر الناس «حلوى مار سركيس» ويسمّونها «بوخنت» وبالايطالية Pollenta. وهي مصنوعة من السميد والطحين والسكّر. وتقول الاساطير الشعبية انه اذا مرّ القديس ليلاً وترك على هذا المزيج أثر نعل حصانه فهذا يعني أن الصلاة قد استجيبت.

الصوم الكبير

يبدأ يوم الاثنين بعد المرفع، وينقطع فيه المؤمنون عن الطعام انقطاعاً كاملاً. ويسمّونه اثنين الرماد واثنين الراهب.

اثنين الرماد لأن الكاهن يذرّي فيه على رؤوس المؤمنين الرماد المتبقي من حرق أغصان الزيتون في أحد الشعانين السابق، أو يسم جباههم به على شكل صليب قائلاً: «أذكر يا إنسان أنك من التراب والى التراب تعود».

واثنين الراهب كان يوم عطلة عند المسيحيين السوريين يخرج فيه الناس، وبخاصة الدمشقيون، الى البساتين والبراري منذ الصباح ويقضون النهار في الفرح والاحتفالات والاهازيج، ويأكلون المجدرة[1] احتفالاً بمجيء الصوم المقدس، ثم يعودون عند المغيب للمشاركة في صلاة النوم الكبرى (يا رب القوات...).

أما تسميته بإثنين الراهب فلأن الرهبان والنسّاك والمتعبدين كانوا في الماضي يعيشون في البراري والجبال والكهوف ولا يخالطون الشعب. وفي القرن الرابع

---

١. المجدرة: مؤلفة من عدس وبرغل وزيت وبصلة وتوابل.

الميلادي اقترح آباء الكنيسة أن يغادر الرهبان أديرتهم وأماكنهم ليطوفوا في المدن والقرى، يكرزون ويحثّون المؤمنين على الصوم والصلاة، فأصبح ذلك تقليداً : يغادر الرهبان مناسكهم في أول الصوم من كل عام ليتحدثوا إلى الناس عن فوائد الصلاة والصوم والتقوى والزهد في هذه الدنيا، فأطلق الشعب على هذا اليوم اسم اثنين الراهب، لأنهم اعتادوا فيه رؤية الرهبان.

ولعدم وجود رجال دين اكفياء في مدينة حلب، في الماضي، جرت العادة على أن يأتي راهب من لبنان في بداية الصوم لكي يلقي المواعظ ويدعو الناس الى التوبة والرجوع الى الله، فكانوا يجتمعون خارج المدينة لاستقباله. وعاماً بعد عام تطور الاستقبال فصاروا يرحّبون بالراهب بالطبول والزمور. وعندما كثر عدد الرهبان في حلب بطل مجيء الراهب، لكن الشعب لم يبطل عادة الترحيب بمطران أو بطريرك جديد في استقبال حافل.

هذا اليوم هو للصلاة وطلب المغفرة (شبقونو)[1] في الكنيسة السريانية، يحثّ فيه مترئس الصلاة الناس على المصالحة ومسامحة بعضهم بعضاً.

* وفي صدد، بمحافظة حمص، تحيط ربة الاسرة في هذا اليوم معصمي أولادها الصغار بخيوط ملوّنة وتقول لهم : جدّكم الراهب صام. يجب أن تصوموا معه ليفرح بكم يوم العيد.

تقاليد الصيام ومأكولاته

من تقاليد الصيام أن يقوم الافراد أو الأسَر بتقديم كمية من الخبز يصلّي عليها الكاهن وتقدّم للصائمين عند الظهر على مدخل الكنيسة، كما في منطقة الحسكة. وفي السبوت تقدّم الاسَر الخبز عن أرواح موتاها، كما يقدّم البعض المواد الغذائية كالبرغل والطحين والخبز لتوزع على المحتاجين بواسطة الكنيسة، أو بواسطة امرأة فاضلة. وفي حلب جرت العادة على أن تحضّر النسوة الشاي الساخن مع الكعك ليتناولها الصائمون عند خروجهم من الكنيسة. أما الآن فتحضّر الفطور بعض الجمعيات الخيرية ليجري تناوله في قاعة خاصة.

---

١. شبقونو : كلمة سريانية تعني : عفواً، أو سامحني.

ومن المأكولات الصيامية : السمك بأنواعه عند غير الارثوذكس، المجدّرة، يلانجي، مقلي الباذنجان، مقلي القرنبيط، سلطة بطاطا مسلوقة، برغل بسبانخ، مسقّعة الكوسا، فاصولية بالزيت، شوكية بالزيت، كبّة الحيلة، كبّة بحمّص، كبّة بالزيت، كبّة بالطحينة، حمّص، بابا غنّوج، الخبز بالفليفلة والصعتر أو بالطحينة ... وكثيرون يصومون عن تناول الزيت فيأكلون الخضروات النيئة والحبوب المسلوقة، بدون زيت... وبعض ربّات البيوت يحاولن تعويض أزواجهنّ وأبنائهنّ قساوة فريضة الصوم بتنويع ألوان الطعام، كما أسلفنا.

وبما أن الصوم للإنسان، لا الإنسان للصوم، فقد كان معظم الناس في العديد من المحافظات السورية يخرجون في منتصفه الى التنزه في البساتين والحقول ويحملون معهم الاطعمة الصيامية الشعبية. أما الآن فبعض الجمعيات الخيرية النسائية تدعو النساء الى حفلة تقام بعد الظهر وتقدم فيها الأطعمة الصيامية كالخبز بالفليفلة والزعتر، الخبز بالطحينة، كبة الحيلة المسلوقة (إما بسلطة البندورة وإما بالطحينة والجوز) والمحمرة، الخ، ليتناولوها في أجواء المحبة والفرح. ومن العادات الشعبية أن الفتاة المخطوبة تستقبل في هذا اليوم نسيبات خطيبها اللواتي يقدّمن لها الهدايا.

في سبت ألعازر، في فترة الصوم، يدور الشباب في بعض القرى على البيوت وينشدون أغنية مطلعها:

يــــــا بــوّاب ســاره   افــتــح لــلــعــذارى
والدنــيـا شـتــويه   مـا معـنـا شـمسـيـه...

آحاد الصوم ...

تقسم آحاد الصوم الكبير طقسياً بحسب المعجزة التي يحتفل بذكرها فيها :

ترافق القداديس في هذه الآحاد دعوات الى التوبة والمسامحة، كما تقيم الجمعيات الخيرية حفلات يعود ريعها الى الفقراء، إضافة الى احتفالات دينية اخرى، وصلوات المدائح للسيدة العذراء. وفي بعض القرى يُخصّص كل أحد لعيلة تقدّم فيه القربان وتقوم بخدمة القداس.

الأحد الثالث، ويسمّى احد الزهور، له في حمص وحماة نكهة خاصة، اذ يُحتفل به كما بأحد الشعانين، فينطلق الشباب في عشيته الى الحقول يجمعون الزهور المتنوعة ويعودون منشدين:

نحنا جبنا زهورنا   حتى العذرا تزورنا...

وتُنقع الزهور المجموعة في الماء حتى الصباح، فيغتسل الناس بمائها، ثم يحمّلونها للأطفال الى الكنيسة مع الشموع المزيّنة وأغصان الزيتون، وتترك الزهور في الكنيسة لكي يزيَّن بها الصليب.

... وخميساته، أو «خمساناته»

في حمص، جرت العادة أن يقسم فصل الشتاء الى قسمين، تهويناً لثقله وتخفيفاً من الشعور بطوله، بخاصة اذا كان غزير المطر، مثلجا وبارداً. فالقسم الاول هو الاربعينية أي الاربعون يوماً التي تمتد من ١٠ كانون الاول وحتى ٢٠ كانون الثاني، والقسم الثاني هو الخمسينية أي الخمسون يوماً التي تمتد من ٢١ كانون الثاني وحتى ١٢ آذار.

وقد انسحبت خمسينية الشتاء على الخمسانات (جمع خميس) السبعة الموجودة في فترة الصوم الكبير، بحسب التقويم الشرقي: تبدأ بالخميس الذي يلي اثنين الراهب، وتنتهي بخميس المشايخ الذي يحتفل به المسلمون بطقوس خاصة ويصادف يوم خميس الاسرار لدى المسيحيين الأرثوذكس. أما الخميس قبل الاخير فيسمى «خميس الحلاوات».

في خميس الحلاوات يشترك المسلمون والمسيحيون في حمص بصنع الحلويات الصيامية وتناولها وهي: الحلاوة الخبزية، وهي من الخبز اليابس والمغطّس بالقطر الملون بالاحمر والابيض؛ *البشمينة*، وهي من رقاق العجين الفطير والسكر الناعم؛ السمسمية، وهي مزيج من السمسم والطحينة والسكر، ويتناولها المسيحيون من دون مخالفة قواعد الصيام، والمسلمون في يوم الخميس عند زيارة قبور موتاهم ويوزعون الباقي - أي حصة الميت - على الفقراء. وكل من يمرّ بأسواق حمص في هذا اليوم يسمع الباعة يرددون: «الله يرحم الاموات، كانوا يحبوا الحلاوات».

صوم القديس يعقوب النُصيبيني

يقع هذا الصوم في منتصف شهر كانون الاول ويسميه الأرمن «صوم الشتاء». وللقديس يعقوب عندهم شعبية كبيرة، فهم يسمّون أبناءهم «هاكوب» تيمناً به، وقد شيدوا على اسمه الاديرة والكنائس والمزارات والمستشفيات. وفي تقاليدهم الشعبية أن يحرّم على الصائمين في هذه المناسبة الغسيل والاستحمام. أما اليوم الذي يسبق العيد فيسمى «ناڤاكديك» أي يوم التقدمة، فيُسمح بأكل السمك والبيض ولا يُسمح بأكل اللحم إلاّ بعد الغروب.

سبت ألعازر

هو السبت الذي يسبق أحد الشعانين، يحتفل فيه المسيحيون بإقامة السيد صديقه ألعازر من القبر. والتقليد المتداول يقول ان ألعازر عاش بعد ذلك ثلاثين سنة ثم توفي في قبرص عن ستين عاماً. وفي العام ٨٩٠ نقل الامبراطور لاون الحكيم رفاته الى القسطنطينية، وبعضها ما زال موجوداً في كنيسة شيّدت على اسمه في لارنكا بقبرص.

يبدأ الاحتفال بسماع القداس ثم بمعايدة الكبار لمن يحملون اسم عازار. أما الاولاد (الذين يلبسهم أهلهم ثياباً زاهية كما في منطقة حماة) فيجتمعون وينظمون مسيرة تطوف على منازل المسيحيين فيقرعونها وهم ينشدون:

إفرحي يا بيت عنيا   نحوك وافى الإله
من به الاموات تحيا   كيف لا وهو الحياه...

فالبيت الذي تتأخر صاحبته في فتح بابه لهم ينشدون أمامه:

«يا مره قومي...هاتي   كمّ بيضه هاتي
كنّك عجوز مريضه،   يشفيكي الربّ الفوقاني
الله يكثر الدجاجات   حتى ناخذ البيضات
يخلّيلك البقرات   حتى ناخذ السمنات

* في حوران :

يختار مدير المدرسة ثلاثة او اربعة طلاب ليقوموا بشبه تمثيلية موت وقيامة ألعازر. تطوف هذه المجموعة على منازل المسيحيين وينشد اعضاؤها التراتيل الدينية، فيما يقومون بتمثيل قيامته، فينطرح أحدهم على فراش أو على الارض، وحوله مرتا ومريم تنوحان، ثم ينتصب واقفاً عندما يسمع دعوته الى قيامته :

ألعازر قم، هيّا قم من الاموات حيّا

هذه المناسبة لها عدد من الاناشيد مطلع أحدها :

ألعازر الصدّيق مات وأربعاً في القبر بات

وعندما ينتهون من الانشاد يعيّدون أصحاب المنزل، الذين يعطونهم بعض النقود أو البيض، أو السمن في بعض المناطق. فإن كانت صاحبة المنزل سخيّة اشادوا بكرمها :

«تنكه فوق تنكه صاحبة الدار ملكه»

اما اذا كانت شحيحة في عطائها فيردّدون وهم خارجون :

«أركيله فوق أركيله صاحبة الدار بخيله»

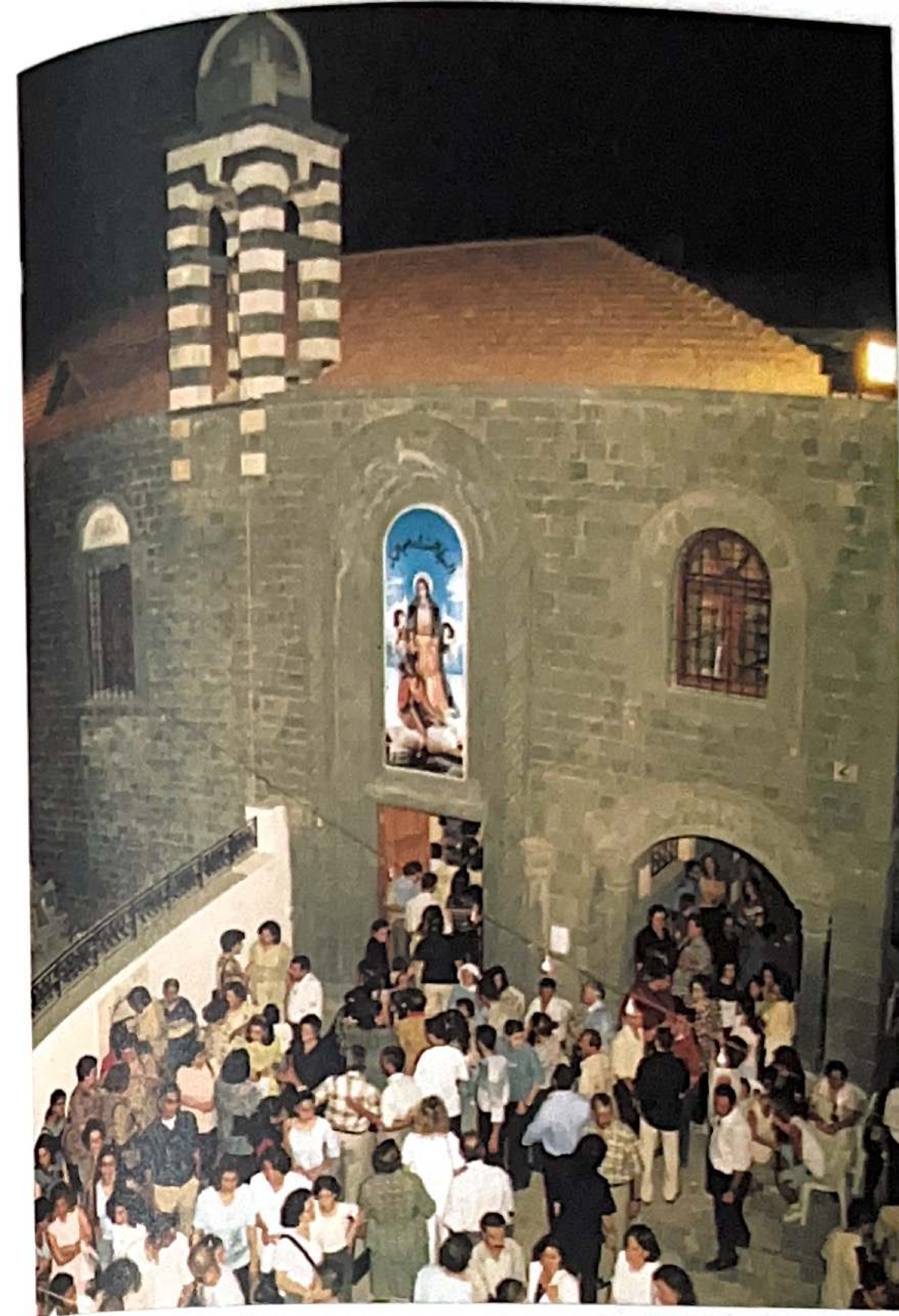
حصيلة ما يجمعه الاولاد من نقود وبيض وسمن يعطون قسمًا منه لمعلميهم، وقسماً للكنيسة لكي يوزّع على الفقراء، وما تبقّى يقتسمونه في ما بينهم. فالبيض «للمفاقسة» به يوم عيد الفصح، أو يبيعونه ليشتروا به ما يأكلونه بعد نهار متعب، أو يحتفظون به مع حصتهم من المال لشراء لوازم احتفالهم باثنين الباعوث.

بصورة عامة، طعام هذا النهار، بل حلواه، هي «حريرة ألعازر»[1]، وهي طرية وسهلة الهضم على من فرغت معدته من الطعام لأربعة ايام، كألعازر الذي يُعتقد أنه تناولها بعد قيامته. ويصنعها المؤمنون تيمناً بهذه القيامة التي يعتبرونها دليلاً على قيامة الموتى.

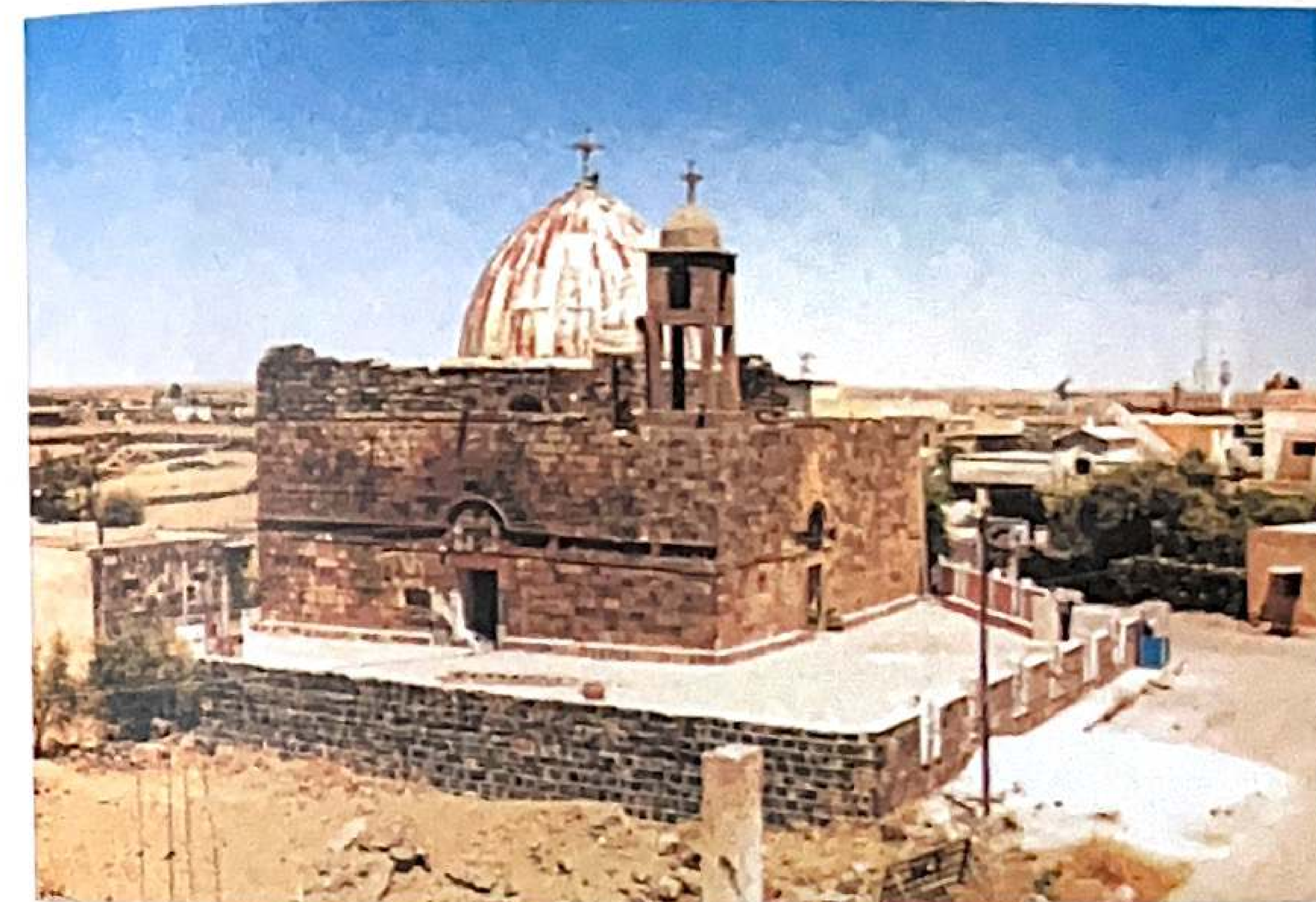
---

١. حريرة ألعازر : هي مزيج من الطحين (أو الأرزّ) والنشاء ودبس الزبيب (أو السكر)، يضاف اليه بعد سكبه في الاطباق : الشمرة واليانسون المحمص والمطحون.





احتفال في كنيسة السيدة أم الزنار، مدينة حمص.



كنيسة القديس جاورجيوس التاريخية في إزرع، محافظة السويداء – حوران.

أحد الشعانين[١]

دخل السيد المسيح أورشليم وديعاً، راكباً على جحش ابن أتان، فأخذ الناس سعف النخل وأغصان الزيتون للقائه، وبعضهم فرشوا أرديتهم في طريقه وكانوا يهتفون : «هوشعنا، مبارك الآتي باسم الرب، هوشعنا في العلى!».

هذا الدخول يحتفل به المسيحيون مع أطفالهم. يُلبسونهم الثياب الجديدة الزاهية ويحمّلونهم الشموع المزيّنة وأغصان الزيتون والزهور والشرائط الحريرية الملونة ويذهبون بهم الى الكنائس المزيّنة حيث يقام القداس ويتمّ تبريك الزهور وأغصان الزيتون التي يحملونها معهم بركة الى منازلهم، إذ يعتقدون بأن أغصان الزيتون تحميهم من الشر والشرير.

بعد القداس يجري زياح الشعانين، داخل الكنيسة أو خارجها، فيُحمل الأطفال على الأكتاف مع شموعهم المزيّنة والمضاءة، فيما تقرع الأجراس وتنشد تراتيل الفرح. وفي دمشق وحلب وبعض المناطق الاخرى تجري مسيرات حاشدة يمشي فيها الجميع، كباراً وصغاراً، أغنياء وفقراء، ترافقها الفِرق الكشفية حاملة «الماكيتات» المختلفة مع الموسيقى وقرع الطبول.

وهذا العيد هو للأطفال والشباب معاً، يتنزهون فيه ويمرحون، حتى لو كانت السماء تمطر، لأن «احد الشعنينة بلا مطر مثل العروس بلاحلا» ! لذلك يرشّ أطفال حمص بعضهم بالمياه في هذا النهار وهم يتضاحكون ويمرحون.

أسبوع الآلام

إنه الاسبوع الاخير من الصوم الكبير، يبدأ من غروب أحد الشعانين وينتهي مساء سبت النور. هو الاسبوع العظيم المقدس، لكل يوم فيه أهميته الخاصة وله صفته، كما في حوران. فالاثنين هو اليوم الطويل، والثلاثاء اليوم القصير، والاربعاء يوم الصليب، والخميس يوم الاسرار، والجمعة يوم الصلب، والسبت سبت النور، والأحد يوم السرور.

---

١. يظن البعض خطأ ان لفظة «الشعانين» تعني «سعف النخيل»، اما الصحيح فهو شيء آخر. فاللفظة مشتقة من كلمة هوشعنا الآرامية أو كلمة أوشعنا السريانية التي تعني خلصنا، نتضرع اليك. إذن، من يحتفل بأحد الشعانين هو الذي يردد أوشعنا.

تنقلب الافراح التي كانت سائدة في أحد الشعانين الى حالة من الورع والتخشع وتُزال الزينات الملونة من الكنائس التي ترتدي شارات الحزن. وتصدح ترانيم فيروز في معظم المنازل والمحال التجارية.

يبدأ الاسبوع بصلوات الختن الأولى، التي تتكرر الاثنين والثلاثاء. ولكل يوم موضوعه وقراءاته، بحسب الطقوس، كالتينة اليابسة، والعذارى العشر، وخيانة يهوذا الاسخريوطي.

ليلة الاربعاء: تقام صلاة الزيت، وغايتها تطهير المؤمنين استعداداً للفصح، فيدهن الكاهن المؤمنين به. وهؤلاء يأخذون منه الى منازلهم على قطعة من قطن لمباركة من لم يحضر إلى الكنيسة من العائلة، كما يحتفظون به على مدار السنة، يدهنون به المرضى والمتعرّضين للشدائد. وفي هذا اليوم يُمنع التكنيس والتنظيف، في دير سيدة صيدنايا ومحيطه، مشاركة في آلام السيد وصبره عليها، وفي صبر أيوب على أوجاعه أيضاً. ويعتقد البعض أن من ينظف أو يكنس في هذا اليوم يكثر النمل في بيته خلال السنة. وبعض السيدات يمتنعن عن الاستحمام والتبرّج ولبس الثياب الملوّنة، مشاركةً للعذراء في حزنها.

خميس الأسرار: وهو أيضا خميس الغسل (أو الغسول) وخميس الصلبان، وخميس القربان، وخميس مريم، أو خميس الزهور. ففيه غسل المسيح أرجل تلاميذه، معطياً اياهم مثالاً فائقاً في التواضع، وتمت الافخارستيا[1] في العشاء السري، وهو الأخير ليسوع مع تلاميذه، قبل صلبه وقيامته.

تشمل الصلوات في هذا اليوم قراءة اثني عشر فصلاً عند الروم الارثوذكس، أو سبعة فصول من الانجيل كما عند الأرمن الذين يُطفئون شمعتين عند كل قراءة. ولدى البعض (الارمن الكاثوليك في حلب، والسريان في حمص والحسكة مثلاً) يربط المصلّون خيطاً ملوناً (البازنبار) حول إحدى أصابعهم.

مع الترانيم، وبخاصة مع «اليوم عُلّق على خشبة الذي علّق الارض على المياه»، يبكي بعض المؤمنين تأثراً بآلام السيد وتواضعه. وبعد الصلاة يعودون الى بيوتهم

١. الافخارستيا كلمة يونانية معناها الشكر.

فيغتسلون. ومن العادات المتّبعة في حماة مثلاً غسل الوجه واليدين بمنقوع البابونج وأزهار أخرى، على سبيل التطهّر، كما يسهر كثيرون من الكاثوليك مع السيد المصلّي وحيداً في بستان الزيتون.

نعود إلى الخيط الذي يربطه المصلون حول عنقهم أو إصبعهم عند كل قراءة إنجيلية، إشارة الى التوبة وقياماً بنذر. فبعضهم يتركونه يهترئ وينقطع من تلقاء ذاته، واذا حصل ذلك تتحقق أمنية الشخص الذي عقده؛ وبعضهم الآخر يتركه حتى حلول عيد الفصح أو عيد العنصرة فيحرقه تحت صحن اللبنية[1]، وهي الوجبة المفضلة عند أهل الحسكة في المناسبة؛ وسواهم يتركونه ويجدّدونه من سنة الى سنة، كما في اللاذقية. راهبات دير صيدنايا يطبخن المجدرة في هذا النهار، مستعيدات ذكرى سرقة يعقوب لحقوق البكورية من أخيه عيسو بأكلة عدس. والسيدات يبدأن تحضير بيض الفصح الملون وكعك الكليجة وسواها لتكون جاهزة قبل العيد.

الجمعة العظيمة: إنه اليوم الأكثر حزناً وألماً، يحتفل فيه المؤمنون جميعاً، بمن فيهم المحزونون، بذكرى صلب السيد المسيح وجنازه، في كل الكنائس والمناطق.

في هذا النهار ينطلق الاولاد الى الحقول والبساتين، كما في حمص مثلاً، حيث يقطفون «زهر الزهور» ويقطعون أغصان الجوز لتزيين نعش المسيح ولتغليف الايقونسطاس.

في أماكن كثيرة يجري الزياح في موكب مهيب يقوده المطران والكهنة ويحمل الشباب نعش المسيح المزهّر. تدوم هذه المسيرات ثلاث ساعات أحياناً. ترافقها الاخويات براياتها والفرق الكشفية التي تعزف الالحان الحزينة وأولاد المدارس مع المشاعل وصلبان الزهر، صغيرة وكبيرة، والجنود الرومان حاملين أدوات الجلد والصلب. وفي الحسكة يقيم المؤمنون مجسماً للجلجلة يتجدد شكله وموضوعه في كل عام ويسيرون في درب الآلام. وفي مختلف المحافظات، وبعد الانتهاء من الزياح والعودة الى الكنيسة تجري رتبة دفن المصلوب مع الالحان الشجية، فيمرّ المؤمنون من تحت نعشه ثم يقبّلون الصليب ويرمون الزهور على

١. اللبنية: تصنع من القمح واللبن والسكر.

النعش للتبرّك ويحملون معهم الى بيوتهم زهرة مباركة من نعش السيد، أو يتركون ذلك الى قداس الاحد. أما الشموع فيأخذونها معهم ليحملوها في احتفال اثنين الباعوث، والويل لمن «يضيّع شمعته» من شماتة الآخرين !

من عادة الكاثوليك أن يزوروا في هذا النهار سبع كنائس، للصلاة والتبرّك. أما الأرمن فيقف مندوبون لجمعياتهم الخيرية على باب الكنائس، يجمعون التبرعات لتوزيعها على الفقراء في عيد الفصح، كما يزور البعض قبور الموتى.

في الجمعة العظيمة لا يدقّ الناس المسامير، كما يصومون إجمالاً، فلا يأكلون أو يشربون حلواً، لأن السيد العطشان سقي خلاً ومرًّا على الصليب، بل يأكل بعضهم الزيتون والبندورة والبقدونس مع الفلفل والخل، كما في ريف دمشق. أما في اللاذقية فإنهم على العكس يأكلون الحلاوة، تعبيراً عن الحلاوة التي سبّبها موت المخلص وقيامته للبشر.

سبت النور... يسمّيه الأرمن «ختوم». يُقام في صباحه قداس بترتيب وليتورجيا خاصّين، لدى الارثوذكس والكاثوليك على السواء، ثم ينثر الكاهن أوراق الغار في الكنيسة دليلاً على انتصار السيد المسيح على الموت، فيما ترتفع ترنيمة «قم يا الله واحكم في الارض، انت الرب صانع العجائب وحدك»، كما تقام فيه صلاة الساعات وقداس باسيليوس الكبير.

* وفي رعية محرّدة في محافظة حماة :

يتهيأ المؤمنون منذ الصباح الباكر فيغتسلون ويتقاطرون الى الكنيسة ليتناولوا القرابين المقدسة التي يعتبرونها حقاً للجميع في هذا اليوم، بحسب قول الذهبي الفم : «المائدة مملوءة فتنعموا كلكم. العجل سمين فلا ينصرف أحد جائعاً. تناولوا كلكم مشروب الايمان...» ثم يذهبون الى أعمالهم أو للاستعداد للاحتفال بالعيد.

السيدات ينصرفن الى سلق البيض وتلوينه، والأرمن يصبغونه باللون الأحمر، رمزاً لدم المسيح.

البيض وتوزيعه تقليد وعادة قديمة مشهورة في العالم. في أصل هذ التقليد الاقوال التالية :

١. يشير البيض الى انبعاث الحياة من القبر، فالبيضة تبدو هامدة لا حياة فيها، ثم ينقفها الصوص ويخرج منها حياً يسعى.

٢. يعتقد البعض أن الفرّيسيين أعطوا أولادهم البيض لكي يرشقوا به السيد المسيح، فكان يتحوّل في أيديهم ملوّناً، ما حداهم الى الاحتفاظ به.

٣. بحسب التقليد، يقال ان مريم المجدلية سافرت الى روما للتبشير بالانجيل، وعندما دعاها الامبراطور اليه أخذت معها بيضاً أحمر وقدمته له وقالت : «المسيح قام من بين الأموات» ثم بدأت بالبشارة.

٤. ذُكر في الموسوعة الكاثوليكية أنه قديماً كان البيض رمزاً للربيع والخصوبة. ففي أثناء الربيع كان الناس يتبادلون البيض كهدايا في ما بينهم... وفي العصور الوسطى (بحسب الكنيسة الكاثوليكية) كان يمنع أكل البيض في أثناء فترة الصوم، أما في أيام الآحاد فكان مسموحاً.

مع إعداد مأكولات العيد وحلواه، تجود العائلات الميسورة على العائلات المحتاجة بما يتوافر لديها من سمن وحليب ولبن وطحين.

* وفي حمص :

يتوافد الباعة ليفرشوا بضاعتهم حول الكنيسة، فيصبح المكان سوقاً نموذجية لمدة اسبوع ينطلق فيه صراخ الباعة : «يا ريت كل يوم عيد والحبايب سالمات»، أو أصوات أصحاب صندوق الفرجة (أو «صندوق الدنيا») : هذا عنتر وعبله، هذي مريم العذرا، هذا الزناتي خليفه...»

أما الأرمن والبروتستانت فإنهم يزورون المقابر في اليوم الثاني للعيد لتجديد الرجاء بقيامة الرب يسوع من بين الأموات.

«الهجمة» : ترمز الى هجوم الملائكة على القبر لدحرجة الحجر عنه من أجل قيامة السيد، كما تمثل نزول الرب الى الجحيم ليحطّم أبوابه الدهرية ويعتق

المقيمين فيه. يسمّي الأرمن رتبتها «فجّ النور» فيحتفلون بها مساءً. وعندما يقول المحتفل «استنيري استنيري يا أورشليم» تضاء القناديل وتعلن قيامة السيّد.

أما الطوائف الاخرى، الارثوذكسية والكاثوليكية، فتحتفل بالهجمة قبيل منتصف الليل، أو في الواحدة صباحاً أو سحراً قبل شروق الشمس. قبل ذلك يجتمع الاهل والاصدقاء في بيت أحدهم على العشاء وينشدون الاناشيد المختلفة ثم يتوجهون، وبخاصة الشباب والفتيات، الى ساحة الكنيسة فيعقدون حلقات الدبكة. وعندما يصل المحتفل (المطران أو الكاهن) تصدح النسوة بالزغاريد.

الفصح أو العيد الكبير

إنه عيد الاعياد وموسم المواسم، يحتفل به الجميع، حتى من لا يترددون الى الكنيسة عادةً. يُسمّى أيضاً عيد القيامة، والعيد الكبير، وأحد السرور. والأرمن يدعونه «زاديغ»، أي «حمل الفصح» و«هاروتيون»، وهما إسما علَم يطلقان على الذكور عندهم.

تجري محاولة التغلب على الاختلاف في تاريخ الاحتفال بهذا العيد بين الكاثوليك والارثوذكس، تبعاً للتقويم المتّبع (يولياني أو غريغوري) على التوالي. فعسى أن تثمر هذه الجهود مستقبلاً.

في هذا العيد تبدو الكنائس زاهية، بعد أن تخلع عنها شارات الحزن، فيلبس المحتفلون الثياب البيضاء، كما يلبس الناس جميعاً ثياباً جديدة ويتوزّعون على الكنائس التي تقام فيها القداديس.

بعد القداس يتبادل الناس التهاني بعبارة «المسيح قام»، وجوابها «حقاً قام»، وفي ريف دمشق يذهب المحتفلون مع الكاهن الى «منزل العيد»، ويعيّدون الكاهن. ومن العبارات المتداولة في المناسبة: «العيد الآتي تكونوا في القدس الشريف»، وجوابها: «برفقتكم ان شاء الله»، أو «العيد الآتي تفرحوا بأولادكم»، وجوابها: و«بأولادكم». ويذكر أن المسلمين يزورون مواطنيهم المسيحيين مهنئين ومباركين في هذا العيد السعيد.

أما الاولاد فإنهم ينصرفون إلى إقامة مباريات «المفاقسة» أو المكاسرة بالبيض، ومن يكسر بيضة الآخر تصبح ملكاً له. وبعد الظهر يذهبون لمعايدة أسر الاقارب والجيران هازجين:

هذا العيد وعيّدنا   وفاض القبر سيّدنا

فيزوّدونهم بالبيض الملوّن أو بالنقود. والبيض في هذا اليوم لا بدّ منه.

عند الظهر تجتمع العائلات على مائدة العيد، ومن مأكولاتها، إضافةً الى خبز العيد: اللبنية أو الشاكرية، فطاير باللبن، الكبة المشوية ولحم الخروف المحشي والبيض، مسلوقاً أو مقلياً، أما الحلويات فهي الرز بحليب والمعمول...

بعد الظهر تبدأ زيارات المعايدة وتمتدّ الى ساعات متأخرة من الليل، بل الى اليوم التالي والاسبوع كله. اما الأرمن فيزورون قبور موتاهم، رمزاً لمشاركة ارواح الموتى في قيامة المسيح، وكذلك البروتستانت، لتجديد رجائهم بالقيامة. السريان الكاثوليك في الحسكة، من جهتهم، يعدّون في المنزل شجرة مثل شجرة الميلاد، مزينة بريش وصيصان، رمزاً للقيامة.

الشباب والصبايا يقيمون احتفالات خاصة، في مناسبة العيد، في المطاعم والمقاهي، أو يسهرون في حفلة تقيمها جمعية خيرية أو أخوية أو مؤسسة ما، وتقام في المناسبة المعارض والاسواق الخيرية لدعم مشاريع المؤسسات الكنسية. وتجدر الاشارة هنا إلى أن مربّي الماعز، في بعض الارياف، كانوا يقومون بتجميع الالبان خلال فترة الصوم ويوزّعونها على المحتاجين في العيد، كما تقوم الجمعيات الخيرية وبعض الأسر بتوزيع ما تحتاجه الأسر الفقيرة حتى تشعر بفرحة العيد.

كثيرون من الناس يخرجون بعد الظهر الى البساتين والحقول للترويح عن النفس، وبعضهم يذهبون الى الساحات العامة حيث تقام الاحتفالات ابتهاجاً بالعيد، فتعزف فرق الكشافة الالحان الفرحة وتقام العراضات مع اللعب بالسيف والترس والدبكة على أنغام القصب و«الشابوشات» (تحية للآخرين مع شابوش لفلان). وتدوم هذه الاحتفالات عادةً ثلاثة أيام أو أسبوعاً، كما في بلدة محردة (محافظة حماة)، من سبت النور إلى الأحد الجديد أو أحد توما، ويسمّونه «جحش العيد».

اثنين الباعوث

ثاني يوم عيد الفصح. الباعوث هو البشرى بانبعاث الرب أو قيامته، لدى الطوائف الشرقية، ويسمّى اثنين الفصح لدى الطوائف الكاثوليكية. أما السريان فلا يحتفلون به، بل يصلون فيه عن نفوس موتاهم.

يجري الاحتفال صباح الإثنين أو ظهراً، فيخرج المطران أو الكاهن من الكنيسة تتقدّمه الصلبان والشموع وحاملو الرايات والطبول والزمور (وحديثًا الفرق النحاسية) ويسير خلفه المؤمنون (بعضهم حفاةً، طلباً للرحمة)، فيطوفون الحي أو القرية متوقفين في محطات يُقرأ فيها الانجيل في الجهات الاربع، لحمايتها مما قد يتهددها من أخطار.

* في منطقة حمص :

تنطلق مسيرة الباعوث تتقدمها الخيول من قرى المشرفة وسلمية والشيوخ وتل كلخ، مُشكّلة محطة سباق خيل كل مئتي متر. تستغرق المسيرة ثلاث ساعات أو أربع، يعود بعدها المحتفلون الى باحة الكنيسة الشرقية للرقص والغناء، ويستمر الاحتفال لمناسبة الفصح طيلة ما يسمّونه «أسبوع التجديدات».

* في حماة ومنطقتها :

تقوم احتفالات مماثلة. وفي المحطات التي يُقرأ فيها الانجيل يتوقف الموكب في حلقات للدبكة والغناء. وخلال المسيرة يردّد المحتفلون التراتيل الفصحية، مثل «المسيح قام من بين الاموات....» أو الاهازيج الفرِحة مثل :

«يا لولو يا لولو، قام المسيح عاطولو، يا نسوان زلغطولو».

أو : «هيا بنا، هيا بنا اليوم قيامة مسيحنا»

أو : «يا عذرا يا أم النور يا أم الشمع والبخور»

أو : «يا عذرا نجمك علّى وضوّى عالدنيا كلا»[1]

---

١. نثبت مطالع هذه الاهازيج وحسب، وهي مجموعة كاملة، مع سواها، في فصل خاص يحتويه هذا الكتاب.

وتُطلق النسوة الزغاريد كما ينثرن الأرز والورود على الموكب.

في نهاية المطاف يعود المحتفلون الى الكنيسة التي انطلقوا منها، أو ينهون المسيرة في كنيسة اخرى، مقبّلين الصليب ويد المطران، فيما الجوقة ترنم تراتيل الفصح في الداخل والدبكات الشعبية قائمة في الخارج.

عيد القديس جاورجيوس

يسمّيه الموارنة جرجس أو جريس، والارثوذكس جاورجيوس، والسريان جرجيوس، والأرمن كيفورك. ويطلقون عليه لقب «مار جرجس الخيّال» ويتشفّعونه قائلين : «أي مار جرجس الخيّال، هزّ رمحك وأظهر قدرتك». أما المسلمون فيكرّمونه ويدعونه «الخضر» ويسمّون أبناءهم باسمه : خضر.

ويقال في مديح القديس جاورجيوس:

وجدت هذا القديس مكروم عند السريان وعند الروم...

يقع عيده مبدئياً في ٢٣ نيسان، وما زال الكاثوليك يحتفلون به في هذا التاريخ. لكن توافقه مع عيد الفصح الشرقي حمل بطريركية الروم الارثوذكس على نقله الى السادس من أيار، الذي يوافق ٢٣ نيسان بحسب التقويم اليولياني. هذا لا يمنع الطائفتين من الاحتفال به معاً في أحد التاريخين، بحسب الاماكن والرعايا، لأن الكنائس المشيدة على اسمه عديدة، في المناطق السورية.

وهناك من يقدم النذور في هذه المناسبة : الزيت، الشمع، الطحين (الدقيق)، الخراف والمال.

* ولأن لهذا القديس العظيم في الشهداء احترام و«شعبية» كبيران، ففي دمشق وريفها يحتفل بعيده بطاركة الطوائف. وفي المدن والبلدات الاخرى الاساقفة والكهنة طبعاً.

وترافق العيد احتفالات حاشدة و«عراضات»، على إيقاع الموسيقى وقرع الطبول، تدور في الحي أو البلدة حول الكنيسة، يرتدي فيها الاطفال رداء القديس،

ويتقدّمها حصان يركبه شخص يحمل رمحاً، وتمثال لتنّين يضربه به، رمزاً لما فعله القديس، كما في صيدنايا، حيث يهتفون وينشدون كلما مرّوا ببيت، فيناولهم اهله نقوداً أو يسقونهم عرقاً. فاذا بلغوا دير السيّدة غنّوا ورقصوا ودبكوا وشربوا العرق. ويبلغ الاحتفال ذروته في ساحة الدير، المزيَّن درجه بالاغصان وسعف النخيل، فيدخلون الكنيسة بالترانيم الروحية مختتمين العراضة بالصلاة.

* دير القديس جاورجيوس الحميراء البطريركي، بالقرب من تل كلخ في وادي النصارى، يقصده الزوار من سائر الطوائف والأنحاء، وبخاصة من حلب والرها ومحرّدة والسقيلبية، اذ يأتون في سيارات كبيرة أو صغيرة أو سيراً على الاقدام ومعهم الطبل والزمر وهم في فرح وطرب، وذلك قبل يومين من العيد، ويخيّمون في جوار الدير ويقيمون الافراح حتى في داخله، ما دفع المسؤولين فيه لبناء غرف حوله لاستقبالهم. في المساء يصلّون أمام ايقونة القديس ويقدّمون النذور والهدايا، ومنها الزيت والطحين والشمع والخراف والمال.

من الاناشيد التي ينشدونها في المناسبة :

يا مار جرجس عالقبر صلّينا
نحنا النصارى والشمع بإيدينا

او :

دستورك يا خضر دستور
زوار وجينا تا نزور

أما الفتيات فيردّدن :

يا دير جيتك زايره
وانا بنيّه حَايره
وان جوّزتني يا دير
لأعطيك كل الدايره

ومن العادات الباقية أن بعض الزوار يأتون بالقطع النقدية يحاولون لصقها على زجاج ايقونة القديس، فإن لصقت القطعة ذهب صاحبها أو صاحبتها فرحاً، معتقداً أن أمله سيتحقق، وبخاصة اذا كان تلميذاً متقدماً لامتحان؛ وبعض النسوة يأتين الدير حافيات، لإيفاء نذورهنّ.

* من الاماكن التي لعيد القديس جاورجيوس فيها إيقاع خاص، ترافقه الاحتفالات الشعبية، مدينتا حمص وحماة ورعايا محرّدة وكفربهم وريف دمشق،

مثل عرنة والزبداني وبلودان وعربين والنبك، وبخاصة قلعة جندل التي ما زال أهلها يأتون من دمشق وقطنا للاحتفال بعيد شفيع قريتهم، التي هجّروا منها في العام ١٩٢٥.

يبقى أن نشير الى معايدة الاشخاص الذين يحملون اسم هذا القديس. فقد درجت العادة في ما مضى على أن تدوم معايدتهم أياماً ثلاثة تقدّم لهم فيها الهدايا، وتقدّم عائلاتهم الحلوى للمعايدين. أما الآن فالمعايدة تقتصر على الاهل وبعض الاصدقاء.

الشهر المريمي

إنه أيار، شهر الزهر والورود التي تحبها السيدة العذراء ويحبّ المؤمنون أن يزيّنوا ايقونتها وتماثيلها بها. الاحتفال به تقليد غربي تبنّته الكنائس المتحدة بروما، كالموارنة والأرمن والسريان وأخيراً الروم الكاثوليك.

في هذا الشهر تقام الصلوات في الكنائس، صباحاً ومساءً، كل طائفة بحسب ليتورجيتها، مع زياح بأيقونة العذراء وتمثالها. وفي أماكن كثيرة يتفق عدد من العائلات أو أفراد الأخويات على إقامة صلاة الوردية كل يوم في منزل، متمثلين بزيارة العذراء لنسيبتها إليصابات، فينقلون تمثالها إليه مع الصلوات والترانيم والورود والتبخير وإضاءة الشموع. وفي نهاية الشهر يبقى هذا التمثال في منزل إحداهن حتى السنة التالية، وفاءً لنذر أو طلباً لنعمة. وبعضهن يلتمس هذه النعمة بلبس ثوب العذراء الابيض والازرق تيمّناً.

وفي بعض الرعايا، كما لدى الأرمن الكاثوليك، تقام احتفالات خاصة بالأولاد، يتم فيها تكريسهم لقلب مريم الطاهر، وتقام صلوات على نية المتزوجين الذين يحتفلون بيوبيل زواجهم الفضي أو الذهبي.

يُختتم الشهر المريمي عادةً بزياح مع ايقونة السيدة وتمثالها، داخل الكنيسة أو خارجها. وعند الدورة في الحارات يرمي الناس عليها وعلى المشاركين في الزياح الارزّ والملبّس والعطور.

عيد العمل

لمناسبة عيد العمل والعمال في الأول من شهر أيار، تحتفل بعض الرعايا بالعيد واضعة إياه تحت حماية القديس يوسف شفيع العمال. ويقام قداس يشترك فيه جميع العمال المنتسبين إلى الرعية، وبالأخص المنتمون الى حركة الشبيبة العاملة المسيحية، فيشاركون في الصلوات ويأتون بأدوات عملهم ويضعونها على الطاولة أمام المذبح.

وتقام رتبة تكريس الأدوات وبركة العمال ليتابعوا القيام بمهنتهم أو وظيفتهم بحسب الأخلاق الحميدة، في رعاية الله.

عيد القديسة ريتا

القديسة ريتا هي شفيعة الأمور المستحيلة، يحتفل بعيدها في ٢٢ ايار. وهو يصادف عيد الأخوية الأرمنية الكاثوليكية للسيدات المكرسة على اسم القديسة ريتا، وقد انشئت في العام ١٩٦٣، وهدفها تقديس الذات والتشبّه بفضائل القديسة ومساعدة الأكثر احتياجاً.

يقام قداس احتفالي يوم العيد ثم يتم تطواف بذخيرة القديسة داخل الكنيسة. ومن عادة المؤمنين أن يأتوا في ذلك اليوم بالورد الأحمر الذي اشتهرت به القديسة ريتا، إذ سقت جذعاً يابساً فأزهر ورداً أحمر.

خميس الصُعود

٤٠ يوماً بعد عيد الفصح يعيّد المسيحيون لصعود المسيح الى السماء، ويسمّيه الأرمن «همبرتسوم»، اي الارتفاع والارتقاء، وقد أصبح اسم علَم للذكور عندهم.

بعد القداس الاحتفالي في الصباح، وبعد تبادل التهاني، تخرج النساء والفتيات الأرمنيات الى البساتين والحقول لقضاء النهار في جوّ من المرح يتخلله الغناء والرقص والالعاب المسلّية و«سحب اليانصيب» و«إلقاء القرعة» مع توزيع الهدايا والجوائز، وتكون مناسبة للصبايا لكي يُظهرن جمالهن بغية لفت انتباه والدة

خطيب المستقبل. وكم من حظ سعيد تفاءلت به الفتيات في ذلك اليوم فوجدن ضالّتهن. أما سحب القرعة فيرمز إلى انتخاب ماتياس بالقرعة بدلاً من يهوذا، لكي ينضمّ الاول الى الرسل الأحد عشر.

أما النساء الحلبيات فينظمن فطوراً في صالة الكنيسة أو في أحد المطاعم، بعد أن كنّ يجتمعن في بيت إحداهن أو في بستان أو حديقة عامة حيث كنّ يرقصن ويغنين ويتناولن الحلويات والقهوة، ويقرأن الحظّ بآيات من الانجيل أو بأمثال شعبية. سيدات الكنيسة الانجيلية في حلب، من جهتهن، يقمن في المناسبة برحلات وأنشطة دينية.

• وفي الحسكة، بعد أن يقوم الكاهن بتبريك الماء، يأتون بفتاة صغيرة دون الثانية عشرة من عمرها، يلبسونها ثياباً بيضاء، رمزاً للطهارة وللعالم الآتي، لكي ترشّ من هذه المياه في بيوت المؤمنين.

وبعد الظهر يخرج الناس الى الساحات والحدائق مع اولادهم فيُركبونهم الاراجيح، كما يهنئون صاحب العيد (سعيد، سعود، سعيدة، سعاد) ويتم تبادل الهدايا.

العنصرة

هو اليوم الخمسون بعد قيامة السيّد، وهو عيد حلول الروح القدس عند كل المسيحيين، وتسميه العامّة «الرشاشة» أو «الرشيش».

مع الاحتفالات الدينية في هذا اليوم، يرشّ المحتفل المصلّين بالماء، تجسيداً لحلول الروح القدس على التلاميذ في العلّية. فعند السريان يصلّي الكاهن على ورق الجوز الزكي الرائحة والماء، ويرش به المؤمنين ثلاثاً. ويأخذ المؤمنون ورق الجوز معهم الى بيوتهم كبركة، وعند خروجهم من الكنيسة يبدأون برش بعضهم بالماء تقليداً للمحتفل، فيدوم الامر أحياناً ساعات عدة، اذ يشتبكون في شبه معركة يستعملون فيها خراطيم المياه و«العنيصرة» والاواني الاخرى. وفي مناطق كثيرة يرش المواطنون من سائر الطوائف الماء على الجيران والمارة من على السطوح والشرفات، من دون أن يعرفوا أحياناً معنى الرشيش ورمزه. وفي حماة ومناطق

أخرى يتقاذفون بالجنارك الاحمر، الذي يرمز أيضاً لحلول الروح القدس على التلاميذ بشكل ألسنة من نار.

لكن الكنيسة تنبّهت الى ما تسبّبه ممارسة الرشيش من ازعاج ومشكلات، فمنعته ولم يعد يلجأ إليه إلا القليلون، وبالأخص الصبية اليافعون. ويبدو أن أصل هذه العادة وثني، يرمز فيها رش الماء الى الخصوبة.

تجدر الإشارة الى أن لدى الأرمن الكاثوليك أخوية على اسم الروح القدس تجدّد في هذا النهار إلتزامها وسعيها الى طلب المواهب الروحية، كما تستقبل في صفوفها أعضاء جدداً يضع الاسقف يده على رؤوسهم وفي يدهم شمعة وهو يقول: «انتم نور العالم، فليضئ نوركم هكذا أمام الناس...» ثم يضع ملحاً على لسانهم قائلاً: «انتم ملح الارض...»، ويسلّمهم الكتاب المقدس ليعلنوا البشرى السارة ويبشروا بالملكوت أينما وُجدوا.

في العنصرة يقول أهل الحسكة: «عَنصَر وطلاع»، أي أن الصيف حلّ. وفي بلدة صيدنايا تقوم الراهبات والشعب بنصب الأراجيح، لان الريح قد هبَّ في هذا اليوم واتى على الرسل واستقرّ على كل واحد منهم. وبالفعل، يُلاحظ في بلدة صيدنايا هبوب الريح يوم العنصرة فتتحرك مع هبوبها الاراجيح المنصوبة. أما الحلبيون فكان من عاداتهم الذهاب الى المنتزهات في يوم العنصرة وكانوا يقولون: «اللي ما بيطلع على البستان يوم العنصرة، يموت ونفسه محسّرة». لكن، ويا للأسف، ما عاد أحد يذهب الى البستان منذ أمد بعيد.

خميس الجسد

يصادف يوم الخميس في الاسبوع الثاني بعد العنصرة، وهو أيضاً عيد القربان المقدس، ويأتي بعد المناولة الاولى عند الطوائف الكاثوليكية، اذ يخرج الاطفال فرحين الى الشوارع، وببراءتهم وعفويتهم يقومون برمي الورود من سلالهم على المارة، ابتهاجاً وسروراً.

في بعض المناطق، وبعد القداس يحمل المُحتفل القربان المقدس المصمود في شعاع مذهّب، ويطوف به في الشوارع المجاورة للكنيسة، يتقدمه أولاد الخدمة وأعضاء

الأخويات، ويتوقف في ساحة الحي حيث يُنصب مذبح خاص يُصمد عليه القربان. وبعد الصلوات الطقسية يمنح المحتفل المؤمنين المحتشدين البركة بالقربان، وسط الزغاريد والأدعية. وعند مرور القربان الأقدس في الشوارع يُستقبل بالأزهار والأرزّ والسكاكر التي يلقيها سكان الحي من الشرفات المزدانة بالأضواء والسجاد والأعلام.

القديس أنطونيوس البادواني

قديس فرنسيسكاني برتغالي الاصل من القرن الثالث عشر، يسمّيه العامة «الصغير» (لتمييزه من القديس انطونيوس الكبير، أب الرهبان وكوكب البرية)، وهو شفيع لايجاد الاغراض الضائعة.

يحتفل بعيده في ١٣ حزيران، ويصادف عيد أخوية مكرّسة على اسمه، أسسها أحد الآباء الفرنسيسكان في كاتدرائية الأرمن الكاثوليك بحلب، منذ ما يزيد على مئة عام.

هذه الاخويّة التي تجمع السيدات والآنسات تقوم، مع الصلاة، بجمع الخبز وتوزيعه على الفقراء، فيسمّى «رغيف مار أنطونيوس».

في يوم العيد يقام قداس احتفالي ويتم تطواف بذخيرة القديس داخل الكنيسة، ثم تعطى البركة بأيقونته. وقد جرت العادة على أن ينذر الأهل أولادهم له، فيلبسونهم ثوب الفرنسيسكان البنّي مع قبّعة له وحبل أبيض على الخصْر، تيمناً به.

الرسولان بطرس وبولس

يحتفل بعيدهما في ٢٩ حزيران، وهو أيضاً عيد الكرسي الانطاكي المقدس، فيقام قداس احتفالي في الكاتدرائية المريمية بدمشق يرئسه البطريرك ويحضره بطاركة الكنائس الشقيقة ورؤساؤها: الكاثوليك والسريان والموارنة والأرمن والانجيليون... والسفير البابوي.

إحتفالات عيد الميلاد في الحسكة:



المؤمنون يتحلّقون حول شعلة الميلاد.



بابا نويل محمولاً على الأكف وحاملاً هداياه الى الأطفال في إحدى المدارس (تصوير عصام كرو).



رقصة الشبيبة في حلب، احتفاءً بعيد الميلاد.

عند انتهاء القداس يخرج المحتفلون فتصدح الموسيقى ويبارك البطريرك الجموع ثم يدعو المشاركين الى الغداء على مائدته. وفي المساء يقام حفل استقبال رسمي في باحات البطريركية، تحت الانوار الكاشفة أو في قاعة الصليب المقدس.

* اضافةً الى القداديس في سائر الكنائس، تحتفل البطريركية الارثوذكسية بالعيد في دير رؤية القديس بولس في سهل كوكب، الذي كان أطلالاً قبل أن تعيد البطريركية بناءه في العام ١٩٦٢، يرئسه أحد الاساقفة ويحضره المؤمنون وفوداً من دمشق وقرى صحنايا وجديدة عرطوز وقطنا وداريّا. وفي نهايته تتنافس الوفود في حلقات الدبكة والاهازيج التي تدوم الى ما بعد الظهر.

* في داريا : تحتفل الطائفة الكاثوليكية بعيد شفيع كنيستها، وداريا تعني أساساً «دار الرؤيا». من خصائص احتفالها دعوة أهل البلدة القاطنين خارجها وإقامة غداء مشترك معهم بعد القداس، ما يعيد جوّ الألفة والمحبة بين المقيمين والمتغرّبين.

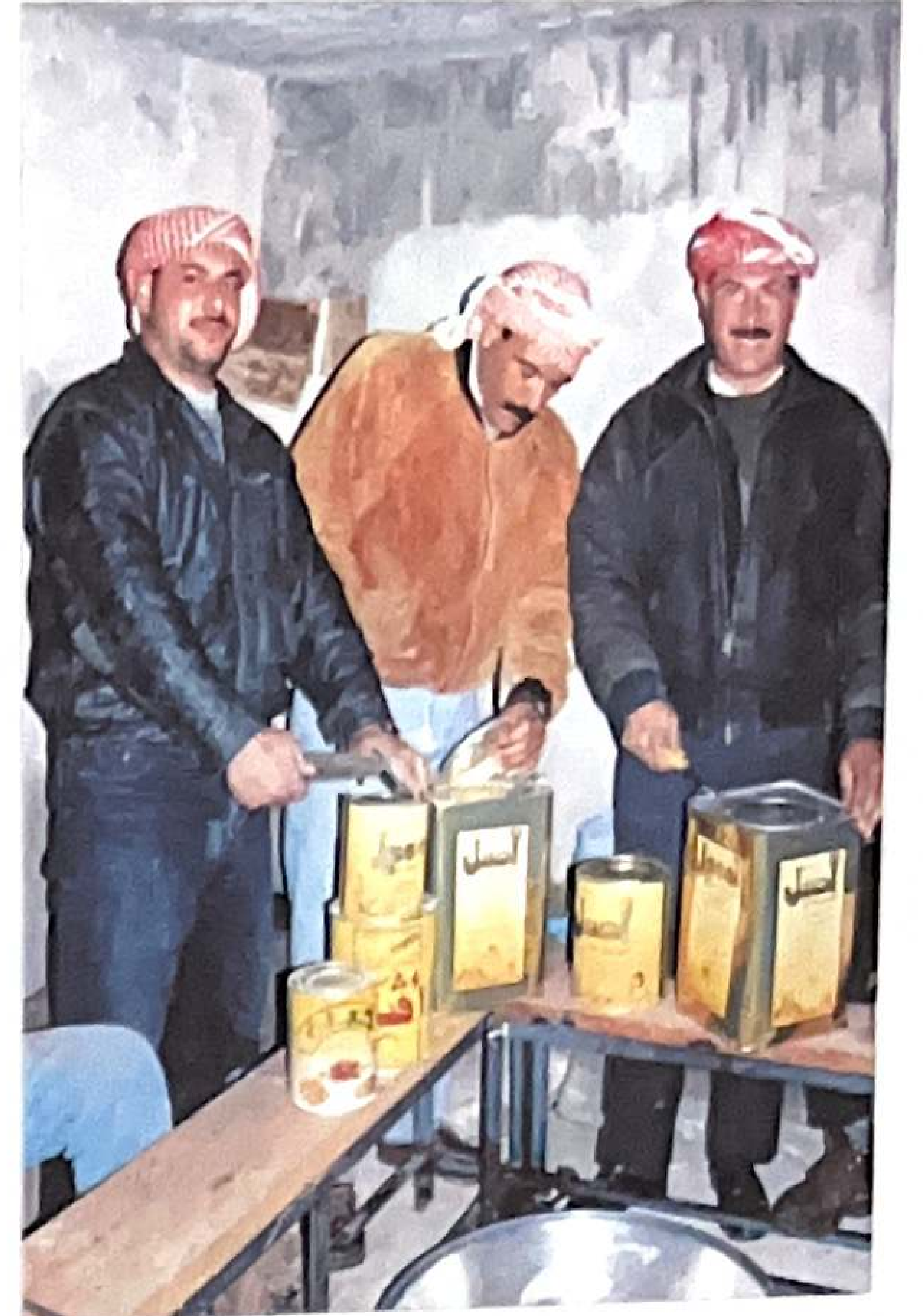
تموز

تموز إله سوري قديم، يدعى أيضاً أدونيس. يطلق اسمه على الشهر السابع من السنة الميلادية وعلى الشهر الرابع من السنة الساميّة التي تبدأ بنيسان. وفي هذا الشهر تموت النباتات بحرارة الشمس مع موت تموز لتعود من جديد إلى الحياة. وبموت تموز يعم الحزن الجميع[1].

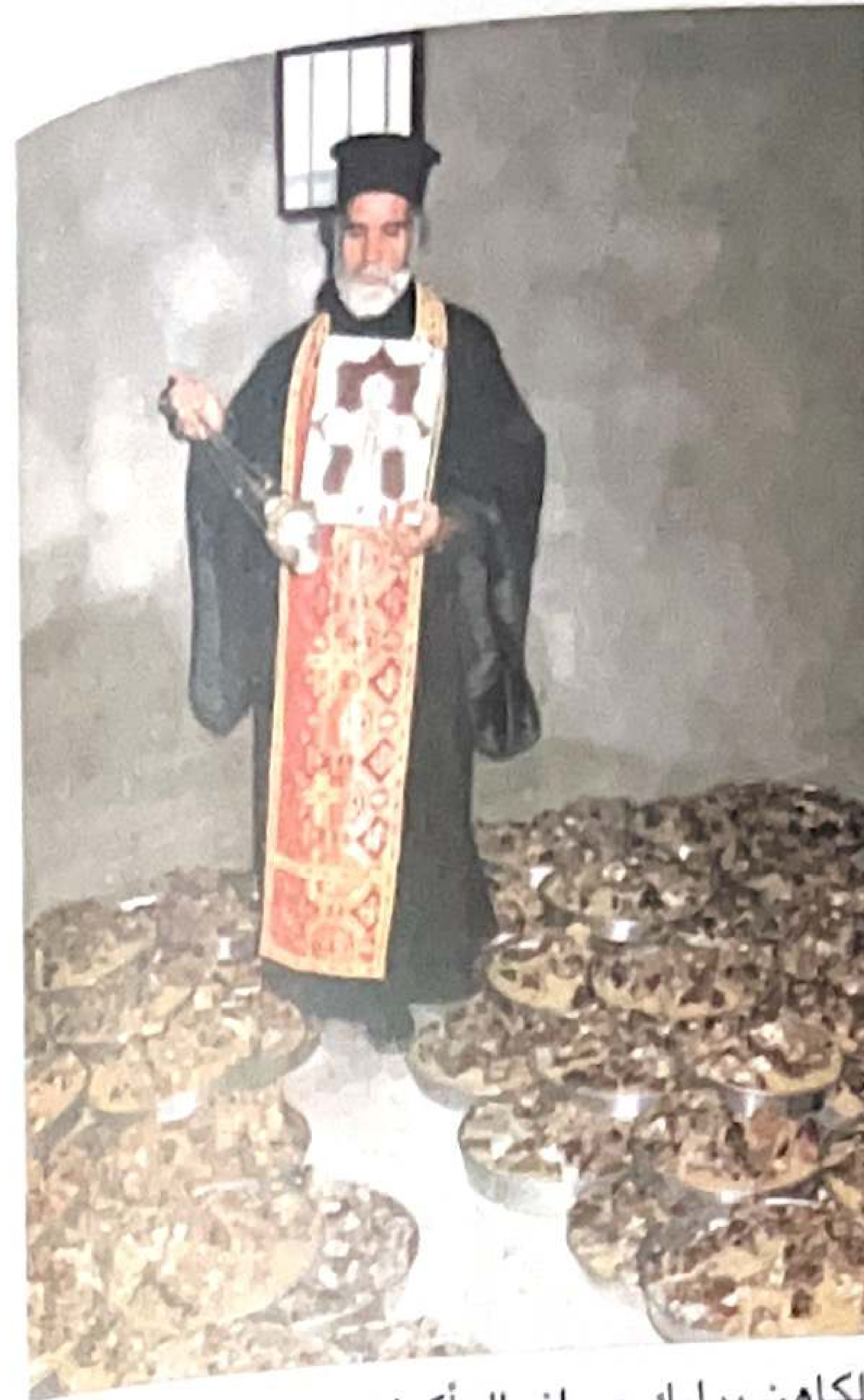
عشية هذا اليوم، أي في ٣٠ حزيران، تُكسر جرار من الخزف أو أوانٍ من بلور فتملأ الشوارع من البلور والخزف والفخار، اتقاء للشر الذي يتوقعه الناس ويخشونه على اختلاف مذاهبهم وأديانهم في هذا الشهر، وبخاصة المسيحيون. وهذا التقليد من الرواسب الدينية الوثنية التي ما زالت تمارس في بعض المناطق كالحسكة وحلب، كتقليد سنوي شعبي لا تعرف أكثرية الناس مصدره، ولا علاقة له بالمسيحية. وتنادي الكنيسة في حلب بالكفّ عن هذه العادة، لأن الاواني المكسورة التي تملأ قطعها الشوارع تؤذي المارة والسيارات.

١. *قاموس الكتاب المقدس* (بتصرف).

الإحتفال بعيد الكرمة في المشرفة (محافظة حمص):



بعض المواد الأساسية لتحضير الطعام.



الكاهن يبارك صواني المأكولات.

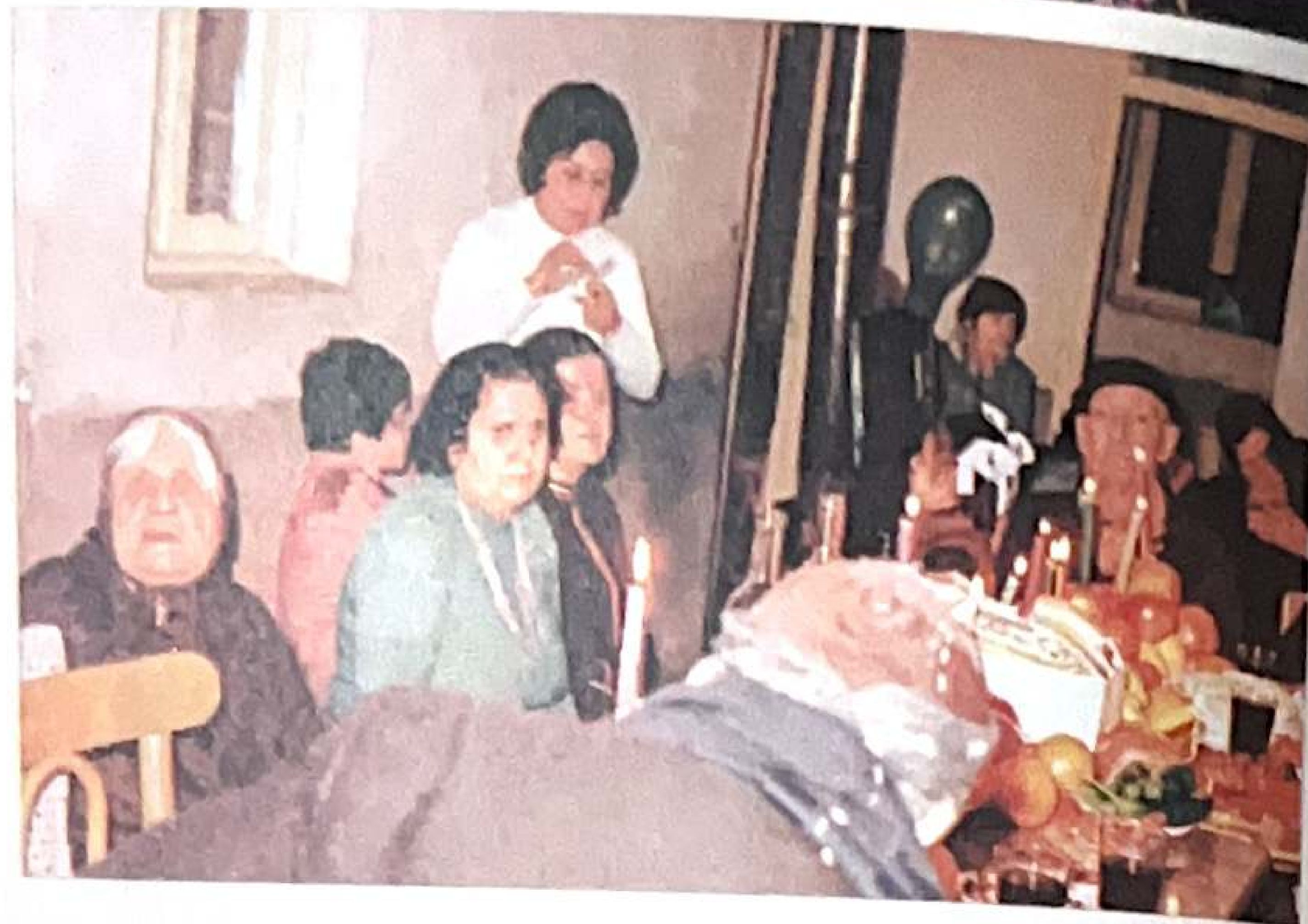


المشاركون في المسيرة من سائر الطوائف.

الاحتفال بعيد رأس السنة:



إحتفال عائلي يرافقه تقسيم على العود،



وآخر في بيت للمسنّين في حلب.



الاحتفال بعيد الغطاس في الحسكة «إشبين المسيح» يحمل الصليب والماء المقدسين بعد ان باركهما الاسقف.

عيد مار الياس

للنبي الياس (التّشْبي) «شعبية» كبيرة في سورية. ولعل الطابع الشعبي الذي يتسم به هذا العيد يعود الى:

- إجماع الديانات اليهودية والمسيحية والاسلامية على السواء على تكريم مار الياس؛
- القوة الروحية المشعة من سيرة هذا النبي كما وردت في الكتاب المقدس، سفر الملوك الاول، الاصحاحات ١٦، ١٧، ١٨، ١٩.

وقد شيّدت على اسمه كنائس ومزارات كثيرة في سائر المناطق. ويأتي اسمه بعد اسم جورج لدى العائلات، إذ يسمّون أبنائهم ايليا، الياس، إيلي. ويقع عيده في ٢٠ تموز.

* في دمشق :

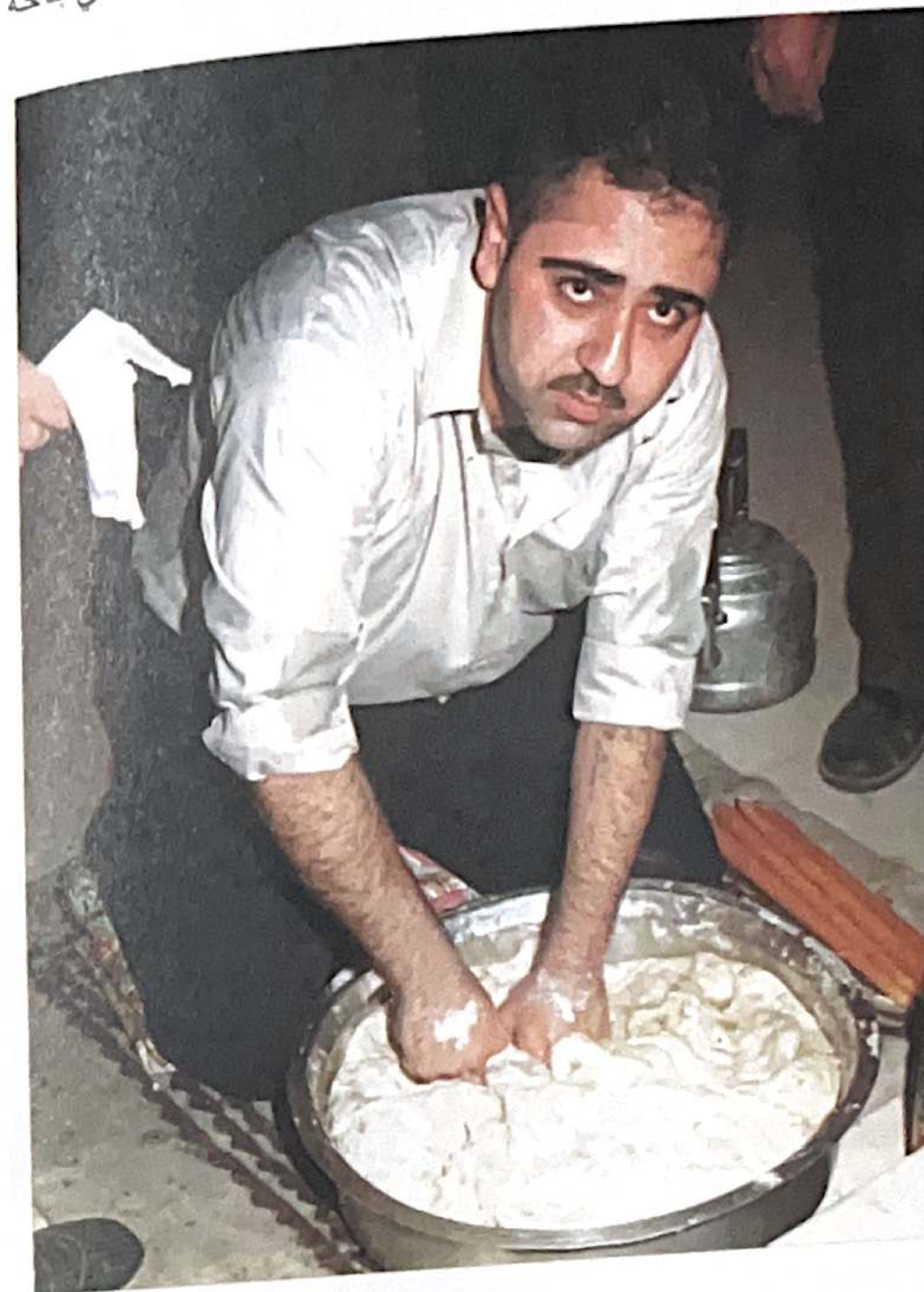
يُحتفل بالعيد في كنيسة النبي الياس الغيور في الطبّالة، وترافقه مظاهر احتفالية، فتقوم الفرقة الكشفية للكنيسة بالتنظيم والعزف، من دون أن ينسى الناس معايدة أصحاب العيد، في ما بعد.

* وفي ريف دمشق وحماة :

تقام احتفالات كبيرة وكثيرة في قرى معرّة صيدنايا ومحردة وصحنايا وحينة ومعلولا. في القريتين الاولين يتوافد الاهالي، ارثوذكساً وكاثوليك، الى مقام مار الياس ويقيمون الدبكات والرقصات الشعبية. أما في صحنايا، حيث مار الياس شفيع كنيستها، فيتجلى العيد باقامة الصلاة صباحاً وبمهرجانات الفروسية مساءً، اذ كان يؤمّها من القرى المجاورة ومن دمشق أكثر الخيّالة وأشهرهم، لإقامة مهرجانات السباق والالعاب الرياضية، كالقفز والوثب والجري السريع والحلج (اي الرقص على رجل واحدة).



أرمن حلب يحتفلون بدخول المسيح الى الهيكل (ديارنتناج) بإضاءة الشعلة والتحلّق حولها في باحة إحدى المدارس.



أحد الشمامسة يقوم بإعداد عجين البشارة ليلة عيدها (الحسكة).

• في حمص :

كان الاحتفال بالعيد يقتصر، في أوائل القرن المنصرم، على احتفال المطران بالقداس في كنيسة مار الياس في قرية الدوير. اما الآن، وبعد وفود أهل الريف الى حمص واندماجهم في مجتمعها، فقد أحب أهل المدينة تقاليدهم في الاحتفال بعيد مار الياس في الكنيسة المشيّدة على اسمه في قرية الجوسية قرب ربلة، القائمة جنوب غربي حمص، على الحدود السورية-اللبنانية، والتابعة لأبرشية الروم الكاثوليك، حيث يذهبون اليها بالآلاف. الملفت هو إقبال الجموع بأعداد غفيرة تبدأ بالوصول من ظُهر اليوم السابق للعيد وحتى مساء يوم العيد نفسه وتبلغ ما يزيد عن خمسين ألف زائر يتقاطرون من كل أنحاء سورية ولبنان والاردن. تعجُّ بهذه الجموع ساحات الدير على رحابتها، وتُعقد حلقات الدبكة والرقص الشعبي في سهرة العيد، طيلة الليل، وللشبان والفتيات فيها الدور المجلّي. وفي الوقت ذاته تتناوب هذه الجموع الحاشدة على الدخول الى المزار للصلاة والتضرع والتبرك ودهن الجبين بالزيت وإضاءة الشموع وأخذ البخور. وتقوم الجوقات الكنسية، مع فرقة الموسيقى والكشاف من ربلة، بالترنيم والعزف منذ ما بعد ظهر يوم ١٩ تموز وحتى بداية القدّاس الذي يحتفل به المطران الذي له الولاية الروحية والرعاية الاسقفية على الدير. ومع بقاء عادة نحرِ الخراف، تطغى عادةُ تقديم القرابين وتبريكها، فتأخذها الأسرة بعد ذلك الى البيت وتوزع منها على من يزورها مباركاً بالعيد، سيما اذا كان فيها من يتسمّى باسم إيليا أو الياس أو إيلي.

عيد التجلّي

هو عيد تجلّي الرب على جبل ثابور. وبلدة عرنة في ريف دمشق تعتبره عيدها، لأنها تقع في منطقة ثابور وحرمون، مكان التجلّي. يحتفل بالعيد في السادس من آب وفيه يقولون : «في عيد التجلّي، قولوا للصيف يولّي». انه يعتبر عيداً لكل من يحمل اسم الله : عبد اللّه، سعد اللّه ، عطا اللّه، لطف اللّه، رزق اللّه... ممن لا يحمل التقويم الكنسي اسماءهم وأعياداً لهم.

أما عند الأرمن فقد كان عيداً وثنياً تقام فيه أروع الاحتفالات لإلهة الحب والجمال أصدغيك، أو لأناهيد إلهة الماء. وبعد تحوّل أرمينيا الى المسيحية ارتأت

كنيستها تحويله الى عيد ديني ربطته بعيد التجلّي ودعته ڤارتيڤار، ويعني رش الماء أو المزين بالورود، وهو اسم علم أرمني، لكنها تحتفل به في الاحد السابع بعد العنصرة، الذي يقع عادةً في تموز وتسمّيه العامّة «عيد الرشاشة»، اذ يذهبون في اليوم التالي للعيد الى المسابح والينابيع للاستحمام والتراشق بالمياه، متفائلين بالخير وطالبين الغيث من السماء لتبقى الينابيع غزيرة العطاء.

ليلة العيد تشعل النار في الاماكن المرتفعة وتضاء الأنوار والشموع في المنازل وعلى الشرفات والسطوح، ويكون عددها بعدد أهل البيت. وهذا يرمز الى نور المسيح الذي ظهر على الجبل خلال تجلّيه لتلاميذه. وفي الواقع فان كثيرين يحتفلون بالتجلّي كما بعيد الصليب. ففي حماة ومنطقتها تتحول ليلة العيد إلى مهرجان للألعاب النارية والمفرقعات.

أما الاحتفال الديني الصباحي فينتهي بتبريك العنب. هذا العنب يأتي به أصحاب العيد الى الكنيسة ويوزّعون منه على المصلّين الذين يحملون منه بركة - وان حبّةً واحدة - الى بيوتهم، بعد أن يقدّموا التهنئة الى أصحاب العيد إما في ساحة الكنيسة وإما بزيارتهم في البيوت للتبريك، افراداً وجماعات، كما يجري في حلب وسواها من المدن والاماكن. وفي السيباني بمنطقة اللاذقية يذهب الناس الى البرية حيث يقضون فترةً في الغناء والدبكة والرقص ويأكلون السمك المشوي.

عيد السيدة

يُدعى عيد انتقال السيدة، أو رقادها، أو نياحتها، وتحتفل به سائر الطوائف في ١٥ آب، ما عدا الأرمن الذين يحتفلون به في الأحد الاقرب الى هذا التاريخ. وهو عيد لكل من تحمل اسم مريم وماري وسيدة... فيطلب بعضهنّ ذكرهنّ في القداس، ويفتحن فيه بيوتهنّ لتقبّل معايدة الاقارب والاصدقاء. وتصلي النساء الأرمنيات فيه لكي يمنحهنّ الله بشفاعة السيدة العذراء صفاتها الجميلة.

يأتي هذا العيد بعد تسعوية وصلوات مسائية وصيام يراوح بين خمسة أيام وخمسة عشر يوماً، بحسب الطوائف. وفي خلاله لا يؤكل الزَّفَر، بل يؤكل الخبز يابساً، ويمنع استعمال الادوات الحادّة ويُكسر كل شيء باليد، كما في حماة. وفي

عشيّته يذهب كثيرون - وبخاصة المؤمنات الناذرات، اللواتي يلبسنَ احياناً ثوب العذراء الابيض والازرق - الى مقامها حيث يقضون الليل بالصلاة والتأمل في الكنيسة، حتى انتهاء القداس في اليوم التالي. وبعده يجري تبريك العنب وتوزيع خصل من عناقيده على المصلين، كما يجري تبريك الكروم.

تعمّ الاحتفالات بالعيد سائر المناطق السورية.

* في حمص :

يحتفل السريان الارثوذكس بهذا العيد في كنيسة أم الزنار وفيها زنار سيدتنا مريم العذراء. يسبق يوم العيد أسبوع من الاحتفالات التي تشمل العروض الكشفية الى جانب الصلوات اليومية ومعارض الكتب الدينية. ومساء يوم العيد يخرج المصلون في مسيرة شعبية تجول شوارع الحي تتقدمهم الفرق الكشفية وهي تعزف الألحان الشجية. ومؤخراً، أخذت الجموع الغفيرة من سائر الطوائف تذهب اتعيّد على سفح جبل السيدة في الكفرون (محافظة حمص)، لأن على قمته مزاراً وكنيسة للسيدة. يتوافد الناس الى الجبل منذ صباح الرابع عشر من آب وطوال الليل، ويسود جو من البهجة والاحتفالات الشعبية ويستمر الجمع في الرقص والغناء حتى الصباح.

ويحتفل سكان مرمريتا، وهم من الروم الارثوذكس، بهذا العيد بطريقة مميزة. ومرمريتا قرية في محافظة حمص تقع على تلال من الصنوبر والشربين وأشجار التين والزيتون. تتهيأ هذه القرية منذ صباح الرابع عشر من آب للاحتفال بعيد رقاد سيدتنا العذراء مريم. إنه الفرح الذي يترجمه سكان مرمريتا بثلاثة انشطة، الاول باقامة الاسبوع الثقافي والثاني باستضافة الفعاليات التجارية والثالث بمسيرة كرنفالية تنطلق الساعة الخامسة بعد الظهر تتقدمها فرقة الموسيقى النحاسية التابعة للتعليم الديني ومن ثم تتوالى اللوحات التي تعبّر عن افكار الناس التراثية والاجتماعية والسياسية. إنه عيد المحبة والحنان، عيد الحب الذي يغمر قلوب المحتفلين به.

*في منطقة طرطوس :

تتوافد جموع غفيرة من جميع الطوائف الى بلدة مشتى الحلو في الرابع عشر من آب للاحتفال بعيد انتقال السيدة. وتقام مباريات بين فرق الموسيقى النحاسية

لاختيار أفضلها، كما تشمل الاحتفالات الرقص والغناء في الفسحات والساحات يتوجه بعدها الجميع الى جبل السيدة في كفرون-سعادة حيث تبلغ الاحتفالات أوجها .

* في منطقة اللاذقية :

تتميز بلدة كَسَبْ بالاحتفال بهذا العيد، ويقصدها كثيرون من الناس من منطقة اللاذقية ومن خارجها للاشتراك في احتفالات الفرح الشعبية التي تعم البلدة.

* في منطقة حماة :

يذهب المؤمنون الى الشاغورة، حيث تقوم كنيسة السيدة في بلدة محرّدة، فيسهرون فيها ويحتفلون بالعيد، أما في السقيلبية فتلي القداس احتفالات دينية وشعبية.

* في حلب :

يزور الأرمن والسريان مدافن موتاهم في هذه المناسبة، ويقدّمون عن انفسهم بعض المأكولات، كالكعك والعنب والتين، اضافة الى الماء البارد، للترحّم عليهم.

*في الحسكة :

يحتفل المؤمنون، بعد حضور القداس الالهي، احتفالاً شعبياً بالمناسبة يرقصون فيه ويغنون ويلهون ويأكلون ويشربون في الفسحات والساحات. ويشارك في هذا الاحتفال مواطنون من أديان أخرى.

عيد القديسة حنّة (أنّا)

إنها والدة السيدة العذراء، يحتفل بعيدها في ٣٠ آب، إن كان يوم أحد، وإلا فيوم الاحد السابق لهذا التاريخ، وبخاصة في اليعقوبية قرب القنية في جسر الشُغور، حيث يذهب الناس قبل يومين أو ثلاثة فيخيّمون هناك قرب الدير أو الكنيسة.

قبل يوم العيد يذبحون الخراف التي يقدّمها المؤمنون للكنيسة نذوراً، فيعدّون الهريسة في حلل كبيرة ويقيمون الافراح والدبكات حتى الصباح. وبعد انتهاء الاحتفال بصلاة العيد يتناولون الاطعمة التي أعدّوها ثم يعودون الى بيوتهم في مدنهم وقراهم. لكن هذه العادة تتناقص مع الأيام، بسبب تكاليف المعيشة المرتفعة وظروف الحياة العصرية.

عيد مار ميخائيل

إنه رئيس الملائكة. يحتفل بعيده في ٦ أيلول، بخاصة في الكنائس التي تحمل اسمه، وبالأخص في قرية قلعة جندل، في ريف دمشق، بمشاركة أهالي القرى المجاورة، ومنهم أهالي قطنا المسيحيون، حيث تلي القداس الاحتفالات الشعبية. ولا يزال هؤلاء يحجّون إلى قلعة جندل (بعد نكبتهم واجلائهم عنها في العام ١٩٢٥) في عيدي القديسين ميخائيل وجاورجيوس، ويعيّدون أصحاب العيدين.

عيد ميلاد السيدة العذراء

يحتفل به في ٨ أيلول، وبصورة خاصة في صيدنايا، التي يأتيها الزوار والحجاج من دمشق وسائر المناطق السورية والبلاد العربية المجاورة، وحتى من افريقيا والأميركتين، فيصل عددهم في بعض السنوات إلى ٤٠ الفاً. وتستمر الاحتفالات أياماً عدة، قبل العيد وبعده، وتهزج في هذه المناسبة أهازيج خاصة، مثال :

يا عذرا يا أم النور   يا طاهره، يا نقيّه
عا ديرك جينا لنزور   شفيعة المسيحيّه

أو :

من فوق دير السيده   رفّت حمامة الطايره
ويا صيدنايا يا معيّده   بعيد العذرا الطاهره

تبدأ الاحتفالات بصلاة الغروب في الكنيسة، ثم يطوف المؤمنون في أرجاء الدير وعلى سطوحه، ويُقرأ الإنجيل في كل زاوية، ثم يزورون غرفة «الشاغورة» بزيّاح



جماهير المؤمنين تحتفل بعيد السيّدة في صيدنايا.



الفرقة النحاسية في مشتى الحلو تستعد للاحتفال بعيد السيّدة.

يحملون فيه أيقونة السيدة العذراء. وتختتم الدورة في الكنيسة بصلاة. يبدأ بعدها الغناء والدبكة وشرب العرق وإطلاق المفرقعات حتى موعد القداس في صباح اليوم التالي. ومؤخراً أدخلت الفرقة الكشفية بعروضها وموسيقاها جواً جميلاً على العيد والمعيدين-الحجّاج، الذين يُدعون إلى احترام بعض قواعد السلوك.

يُرافق هذه الاحتفالات استعداد روحي وصيام تنقطع فيه راهبات الدير عن الزَّفَر ويتغيّر نظام عملهن، فتفتح أبواب المقام الشمالية والجنوبية لمدة ثمانٍ وأربعين ساعة، بما فيها ساعات الليل المتأخرة. ويساعد في التنظيم المبتدئات والبنات اليتامى وأهل البلدة ورجال الأمن لتأمين النظام وراحة الزوار. وسعيد من يجد له غرفة في الدير ينام فيها، في هذه المناسبة، وإلا فإن الناس يفترشون ممرات الدير وأدراجه.

ولا يستغرب المؤمنون حصول الأعاجيب في هذا العيد، مثل نضوح الزيت من الأيقونة المزيّحة، كما حدث في العام ١٩٩٧، أو امتلاء الآبار بالمياه بعد انقطاعها عنها وشحّها، كما حدث في العامين ١٩٤٦ و ١٩٦٨.

بعد انتهاء قداس العيد ينزل الزوار إلى بستان الدير حيث يقضون اليوم كله بالفرح والتبرك من أشجار الزيتون القديمة الموجودة فيه، طالبين إلى السيد المسيح أن يبارك هذه الأشجار، بشفاعة أُمهِ صاحبة هذا البستان الكبير.

* وفي حلب :

يحتفل الأرمن الكاثوليك بعيد سيدة الحبل بلا دنس بقداس وتطواف تشارك فيهما راهباتهم المكرّسات على اسمها، مع الأخويات والمؤمنين. وتلبس بعض السيدات والآنسات ثوب العذراء في عيدها، وفاءً لنذرٍ أو طلباً لنعمة خاصة.

عيد الصليب

هو عيد سنوي لذكرى استرجاع عود الصليب وإعادته الى الجلجلة بواسطة القديسة هيلانة، التي أرادت إعلام ابنها الملك قسطنطين بالأمر بواسطة إشعال



في الطريق الى معلولا للاحتفال بعيد الصليب.



عراضة احتفالاً بالعيد.



تثبيت الصليب على قمة الجبل.

النار على رؤوس الجبال، من قمة إلى قمة، من القدس حتى القسطنطينية. وينسب البعض عملية إرسال الخبر إلى بعيد بواسطة إشعال النار وشيوع هذه الوسيلة إلى الوقت الذي شنّ فيه الملك هرقل حرباً على الفرس استرجع منهم فيها عود الصليب الذي نهبوه عام ٦١٤، وأعاده إلى كنيسة القيامة في القدس.

يُحتفل بالعيد في ١٤ أيلول لدى سائر الطوائف المسيحية وفي جميع المناطق السورية، ما عدا الأرمن الذين يحتفلون به في الأحد الأقرب إلى هذا التاريخ ويولونه أهمية كبرى، إذ يسمّونه «شجرة الحياة» وقد شيّدوا على اسمه كنائس كثيرة، وهم يُعرفون بأنهم «ختشابشد»، أي عبّاد الصليب، تعارضاً مع جيرانهم الفرس الذين كانوا عبّاد النّار. والصليب بالأرمنية هو «خاتش»، ومنه اشتقت أسماء وتعابير كثيرة، مثل خاتشيك وختشادور...

* في دمشق :

يقام احتفال مركزي ليلة ١٣ أيلول في كنيسة الصليب المقدس في القصّاع، تُشعل خلاله النار في «القبّيلة»[١]. وتدوم الاحتفالات أسبوعاً كاملاً يجري التحضير له قبل موعده، فتزيَّن الكنيسة والساحات والشوارع وشرفات المنازل بالأنوار الموشاة بالصليب، وبصورة خاصّة في ساحة جورج خوري بالقصّاع.

* في معلولا وبلدات محافظة ريف دمشق، للعيد طابع جماهيري وشعبي بهيج.

في معلولا :

كانت معلولا إحدى المحطات التي توقفت فيها القديسة هيلانة، في طريقها من القسطنطينية الى فلسطين، بحثاً عن عود الصليب. وقد سلكت الدرب نفسه الذي سلكته القديسة تقلا عند قدومها الى معلولا. يحتفل في هذه البلدة بعيد الصليب المقدس في ١٤ أيلول من كل عام. غير أن التحضيرات والاحتفالات تبدأ في الأول من أيلول، متّبعة نظاماً تقليديًّا من الشعائر والإجراءات : إنهم يضعون

---

١. القبيلة جمعها قبابيل، وهو ما يُجمع من خشب وحطب تُشعل فيه النار ابتهاجاً بالعيد. وفي مناطق حمص وحماة يسمونه «الراموشة»، جمعها «رواميش». وفي الحسكة تُدعى «ميليدي».

صلباناً تُنار بالكهرباء فوق كل بيت في البلدة، وفوق الجبال، ويبدأون بجمع الحطب ودواليب السيارات القديمة التي تُشعل فوق قمم الجبل مساء يوم العيد المقدس. يُقسم الخشب والدواليب التي جمعت بين جبلي معلولا : الجبل الغربي الذي هو للكاثوليك، والجبل الشرقي الذي هو للروم الأرثوذكس. وعلى الرغم من العمل المضني في حمل هذه المواد الى رؤوس الجبال، تتم المهمة بكل حماس وبتوقع عميق ومهيب لليوم الموعود.

ليلة العيد، يذهب أبناء البلدة الى الكنيسة، عند الغسق، لحضور القداس الخاص وزياح الصليب. بعد الكنيسة، يلتقي الجميع في ساحة البلدة لتبادل التحية وبعدها تتوجه كل مجموعة إلى الجبل الخاص بها لبدء مسيرة الصعود وهم يحملون العصي التي يستعلمونها في تحريك النيران وإيقادها. يلبس المحتفلون السراويل السوداء وعباءات سوداء طويلة تسمى «خفجاية». في طريقهم الى رأس الجبل، لا يتوقف المتسلقون عن ترديد الأهازيج، خاصة بالآرامية، وإنشاد العبارات التي وضعت خصيصاً للعيد.

عند الوصول الى قمة الجبل، يشعلون النار، كلٌ على قمة جبله، وتتعالى الأهازيج مع إيقاد ألسنة اللهب. ومنها بالعربية :

ارتفع عيد الصليب   عيد المحبه والسلام

عيد المحبه للحبيب   والكل أخوه تستجيب

أما بالآرامية، لغة أهل البلدة القديمة، فينشدون عند إشعال قرامي الحطب ورميها :

«هوليلو ليلو، عيص مالو عيص ميلخين، ألكون هنّا كورما».

ومعناها بالعربية :

«هللويا، سبّحو الرب، العصمة لله وعصمة الخير... وألقوا هذه القرمية».

وتسبح معلولا بالنور مع اشتعال النيران وإضاءة الصلبان بالكهرباء. إنه منظر مؤثر للغاية لا يمكن نسيانه.

بعدها تبدأ الشعائر التالية، المتمثلة برمي قرامي الخشب المشتعلة (التي يبلغ طول كل منها ٢٠ سنتم، وهي غالباً من خشب الدردار) من قمة كل جبل. ويستمر هذا طوال الليل وحتى بزوغ الفجر. ولرمي القرامي المشتعلة أصول يلتزم بها أهل البلدة، إذ يتم التنسيق بين المجموعة التي تشعل النار على قمة الجبل والمجموعة التي في أسفله، تفادياً لحدوث أي مكروه للمحتفلين.

ومن الاهازيج الشعبية التي تُردد في هذه الأثناء :

يا معلولا لا تنامي   الليله زتّ القرامي
شرقيه مع غربيه   عملوا هزه أرضيه
زتّ القرميه عالمدقّ   وخلّي يشق الأرض شق

وفي صباح يوم العيد ينزل الرجال باكراً من قمتي الجبلين الى ساحة البلدة بموكبين وهم يرددون أهازيج بالآرامية والعربية من وحي المناسبة. وفي الساحة ينضم إليهم شعراء البلدة فيلقون أشعارهم الزجلية ساردين، بعبارات خشوعية ومؤثرة، قصة القديسة هيلانة وكيف وجدت عود الصليب.

بعد انتهاء قداس العيد، يبدأ الأرثوذكس بالخروج من كنيسة القديس ايليا (مار الياس) متوجهين الى دير مار تقلا وهم يقولون :

يا ديرنا يا ديرنا يا ديرنا   تبقى عمار يا ديرنا
يا حصننا العالي المنيع   واللي بناك شاطر شجيع
منهلنا أنت والربيع   يوم القنا تطرح قنا

وعندما يصل الرجال الكاثوليك بموكبهم الى دير مار تقلا، ينبغي دقّ جرس الدير ترحيباً بهم (فعندما لا يدق الجرس يعني ذلك عدم الترحيب بموكب الكاثوليك) ثم يندمج شباب كلا الطرفين في دبكة واحدة واحتفال واحد. يقال في الدبكة :

الدير اللي نحنا زواره   يا رب تعمّر داره
تخلّي سقفه من فضه   ومن الذهب صف حجاره

وفي أثناء سير الموكب داخل البلدة باتجاه الدير، يرفع كل بيت راية بيضاء ويقدم صلاة شخصية، مع ذكر اسم رب البيت وطلب رعاية القديسة تقلا وشفاعتها.

مظاهر العيد : مجتمع سكان البلدة، من مسيحيين ومسلمين، شيوخ وشباب، أغنياء وفقراء، الكل يشترك في هذه الإحتفالات. وتُفتح البيوت لاستقبال الزائرين من البلدة وأيضاً من خارجها. إن أعداداً وفيرة من الضيوف تفد إلى البلدة، ليلة العيد، من جميع أنحاء سورية ومن لبنان، فينزلون ضيوفاً في بيوت أهل معلولا ويشتركون في الاحتفال يوم العيد.

* في ريف دمشق :

في ليلة عيد الصليب يُسطح العنب ليصبح زبيباً. ويعتقد المسلمون في الريف أن حبة العنب تكبر وتنمو في تلك الليلة، ويتأكدون من ذلك بأن يربطوا حولها خيطاً فيظهر فيها التجويف في اليوم التالي.

* في عين الشعرة :

يعتبر عيد الصليب آخر يوم لجني المحصول، وإن بقي شيء منه يعدّ حلالاً للعابرين والمعوزين. وفيه يوضع وعاء معدني مملوءٌ ماءً على جمر «القبيلة» ليتقدس وتُرشّ به المنازل ويُمسح به الناس.

* في عرنة :

يصعد الجميع، كباراً وصغاراً، إلى الجبال العالية القريبة فيشعلون النار وهم يهزجون :

بليلة عيد الصليب   النار اللي بتعطي اللهيب
عم بتخبر كل الناس   بالقدس، وجود الصليب

* في معرونة :

يُرفع على سطح كل بيت صليب مضاء بالكهرباء وتقام شعلة بمزاد خيري يعود ريعه إلى كنيستي الأرثوذكس والكاثوليك الموجودتين فيها. وتُعتبَر المناسبة نهاية للعطلة الصيفية وبداية لسنة دراسية جديدة.

* في صحنايا :

تَعتبر الناس العيد عنوان العام الزراعي الجديد ورمز الخير والبركات، بخاصة إذا كان صباح العيد ندياً، يلفّ فيه الندى القرية والجبال، فإنهم يستبشرون ويتفاءلون. مع الاحتفال برفع الصليب والمشاعل، يعقدون حلقات الدبكة حول النار التي يتبارى الشباب بالقفز فوقها إلى أبعد مدى، ثم يتصافحون أخوياً ويذهبون في عراضة إلى منزل «صاحب العيد» لتناول الضيافة والعودة إلى الكنيسة للصلاة.

* في السقيلبية ومحردة (منطقة حماة) :

يأخد الاحتفال بعيد الصليب طابع الحج الى دير القديس جاورجيوس. ويتم الترحال الى الدير بوسائل مختلفة منها الدراجات النارية وكافة انواع الحافلات، وبالاقتراب من الدير تُنشد الاناشيد. وفي رحلة العودة يتجمع العائدون في قرية البيضة وعند وصولهم الى بلدتهم يُستقبلون بالزغاريد ورش الرز والمسك.

* في حمص :

من العادات المتبعة ليلة عيد الصليب قيام بعض النسوة بوضع ١٢ كمية صغيرة متساوية من مادة ملح الطعام على قطعة خشبية وتركها طوال الليل خارج المنزل من أجل التنبؤ بحالة الطقس في السنة القادمة. صباح اليوم التالي تتم ملاحظة التغيرات الطارئة على كميات الملح لمعرفة حالة الطقس في اشهر السنة الجديدة.

كما يجري في بعض الأماكن (الحسكة) انتخاب أجمل شاب وفتاة بين المحتفلين. وعدا عن الصلوات ووفاء النذور ورش المؤمنين بماء الزهر (الأرمن) فالبعض يستعدون للعيد بفترة صوم قد تكون يوماً واحداً يتناولون بعده الهريسة والكبة النيّة الحادة والسليقة والحلوى (حلب).

عيد القديسة تقلا

يُحتفل به في ٢٤ أيلول، وبشكل خاص في بلدة معلولا، حيث لها مقام على رأس الجبل، إلى جانب شلال للمياه يُسمى الشاغورة وفوق الدير الذي يحمل اسمها. وتُعرف القديسة تقلا بطهارتها وتقواها، يكرّمها المسيحيون والمسلمون على السواء ويلجأون إلى شفاعتها في حالات الضيق والمرض.

يوم الاحتفال بعيدها تُقام الدبكات والأفراح بمشاركة فرقة مراسم كشفية، فيدوم طيلة الليل ويُختم صباحاً بالقداس، كما في الاحتفال بعيد الصليب.

سبت الاموات

إضافةً الى يوم تذكار الموتى المؤمنين في ٢ تشرين الثاني عند الطوائف الغربية، فإن الروم الارثوذكس والكاثوليك يتذكرون موتاهم يوم السبت الذي يسبق اثنين الصوم بتسعة أيام وكذلك السبت الذي يسبق أحد العنصرة، والموارنة في السبت الذي يسبق اثنين الصوم، والسريان الارثوذكس في السبت الذي يسبق أحد الاموات. أما الأرمن فيذكرون موتاهم في اليوم الثاني لاعياد الغطاس، والقيامة، والتجلّي، والسيدة، وارتفاع الصليب.

فالبعض يذهب لزيارة المقابر بعد القداس، والبعض الآخر يجتمعون في كنيسة المقبرة فيحتفل الكاهن بقداس جماعي يترحمون فيه على الاموات. وقد يصلّي الكاهن عند بعض القبور، بناءً على طلب العائلة.

يجري بعد ذلك تقبّل التعازي والدعوة للأحياء بطول العمر. وعندما يكون أحد الموتى قد توفي حديثاً يذهب الأهل والاصدقاء الى منزل عائلته للتعزية و«أخذ الخاطر».

ويحمل البعض الزهور والشموع يضيئونها أمام المقابر، كما يحملون الحلويات والقهوة المرة... يحتسونها بعد زيارة موتاهم والصلاة على أرواحهم ويقضون نصف نهار إلى جانبهم، كما يقدّمون الزكاة عن أنفسهم تبرعاً للفقراء أو

للجمعيات الخيرية، أو يقدِّمون الطعام للفقراء ودور العجزة. وسيدات حلب يقمن بهذا العمل في كل يوم خميس، طوال العام.

ومن الخرافات القديمة أن بعض نساء حلب كنَّ يمتنعن عن غسل الثياب يوم سبت الاموات، «خوفاً من أن يذهب ماء الغسيل في حلق الاموات» !

البربارة

وُلدت القديسة بربارة في بعلبك في القرن الثالث. كان والدها ديوسقورُس غنياً ووجيهاً وثنياً. بعد وفاة والدتها أحاطها أبوها بالخدم وبعناية فائقة وأمّن لها ثقافة وتربية ممتازتين. لكنها لم تؤمن بالاصنام المحيطة بها وأخذت تبحث عن الحقائق الأزلية، فاتصلت بأوريجينُس الإسكندري الذي كتب لها رسالة بديعة عن المسيحية فآمنت بها واعتمدت على يد تلميذه ڤالنتيانُس.

فاتحها والدها مراراً بالزواج، فتمنعت وكاشفته بإيمانها المسيحي. حاول إقناعها بالتخلّي عنه ثم هددها فلم ترتدع. عندها أمر بتمزيق جسدها وحرقها، بعد أن قطع رأسها بيده في العام ٢٩٠.

يُحتفل بعيدها في ٤ كانون الأول، في سائر الأنحاء السورية، ويصادف في اليوم نفسه عيد القديس يوحنا الدمشقي. ولأن عيدها يقع في أوائل الشتاء، فإن المسيحيين في سورية يقولون، عندما لا تمطر السماء حتى ذلك التاريخ : «إن لم تروِّ الأرض في البربارة، رد قمحك إلى الكوارة»[١].

يعتبر الغربيون القديسة بربارة شفيعة المدفعيين والإطفائيين. وتحيط بسيرتها الأساطير المختلفة، وبخاصة حول القمح المسلوق في عيدها واسمه السليقة. فالبعض يقولون إنها لما هَربت من والدها مرّت بحقل من القمح اختبأت فيه، فقدّم لها الحصّادون قمحاً أكلت منه. وسواهم يقولون إنها لجأت إلى مغارة كان

---

١. الكوارة : مستوعب مكوّر من الطين تُحفظ فيه الغلال.

فيها رعاة يسلقون قمحاً، فقدّموا لها منه وأكلت. أما الأقنعة التنكرية فتشير إلى تنكرها عند هربها، والثياب المهلهلة تمثل الثياب الرثة التي ألبسها إياها خدم الحاكم ليذلّوها، قبل استشهادها.

للاحتفالات بعيد البربارة طابع شعبي فولكوري أكثر مما هو ديني. يُقدم فيه القمح المسلوق الذي يُضاف إليه الجوز والمكسّرات وحَبّ الرمان واليانسون، وهذه تُقدّم إلى الأهل والجيران المحزونين وإلى الزوار. أما الأطفال واليافعون فيلبسون الأقنعة والثياب التنكرية ويطوفون في الأحياء... بعد أن كانوا يتكحلون في الماضي أو يلطخون وجوههم (بالشحتار). الشباب والصبايا يقيمون الحفلات التنكرية في صالات الكنائس أو الأندية فيعقدون حلقات الرقص والدبكة وينظمون مسابقات توزع فيها الجوائز على الأطفال، ويردّد الجميع في هذه المناسبة أهازيج البربارة التي تتشابه في سائر المناطق، ومنها :

يـا قديسـه بربـاره	عـنـد ربـك مختـاره
أبـوكـي هالـكـافـر	عـبـاد الحجاره...

او :

بربـاره وتبربـرتـي	وعـنـد الرب تمخترتـي
عـمـلـنـا لك سليقـه	ليش ما جيتي أكلتي...

* في دمشق يأكل الأرثوذكس السمك لوقوع هذا العيد في صوم الميلاد وتؤكل حلويات القطايف المحشوة بالجوز والسكر مع وعاء فيه القمح المسلوق المزيَّن بالسكاكر والجوز واللوز وتضاء شموع بعدد أفراد الأسرة ويهزجون للقديسة بربارة الاهازيج المذكورة أعلاه.

* وفي رعيتي برشين وتين السبيل (في محافظة حماة) تُجمع «عشبة البربارة» في حزم تضاف إليها أوراق الغار في ساحة الكنيسة ليلة العيد فيضرم فيها المعيِّدون النار التي تفوح منها الرائحة الزكية وهم ينشدون الأناشيد التراثية ويرقصون فرحين. وفي هذه المناسبة تقوم عائلات الشباب الذين هم في مرحلة الخطوبة بزيارة الفتاة المخطوبة التي تُقدّم لها هدايا خطيبها وأهله وأهلها في أجواء الفرح والبهجة. وفي الصباح يذهب الجميع إلى الكنيسة لسماع القداس والاحتفال بالعيد مع كاهن الرعية.



أربعون قنديلاً من الزيت المبارك، يأخذ المؤمنون من زيتها الى بيوتهم تبركاً بعيد الشهداء الاربعين.



من مظاهر الاحتفالات الشعبية بأحد المرفع.

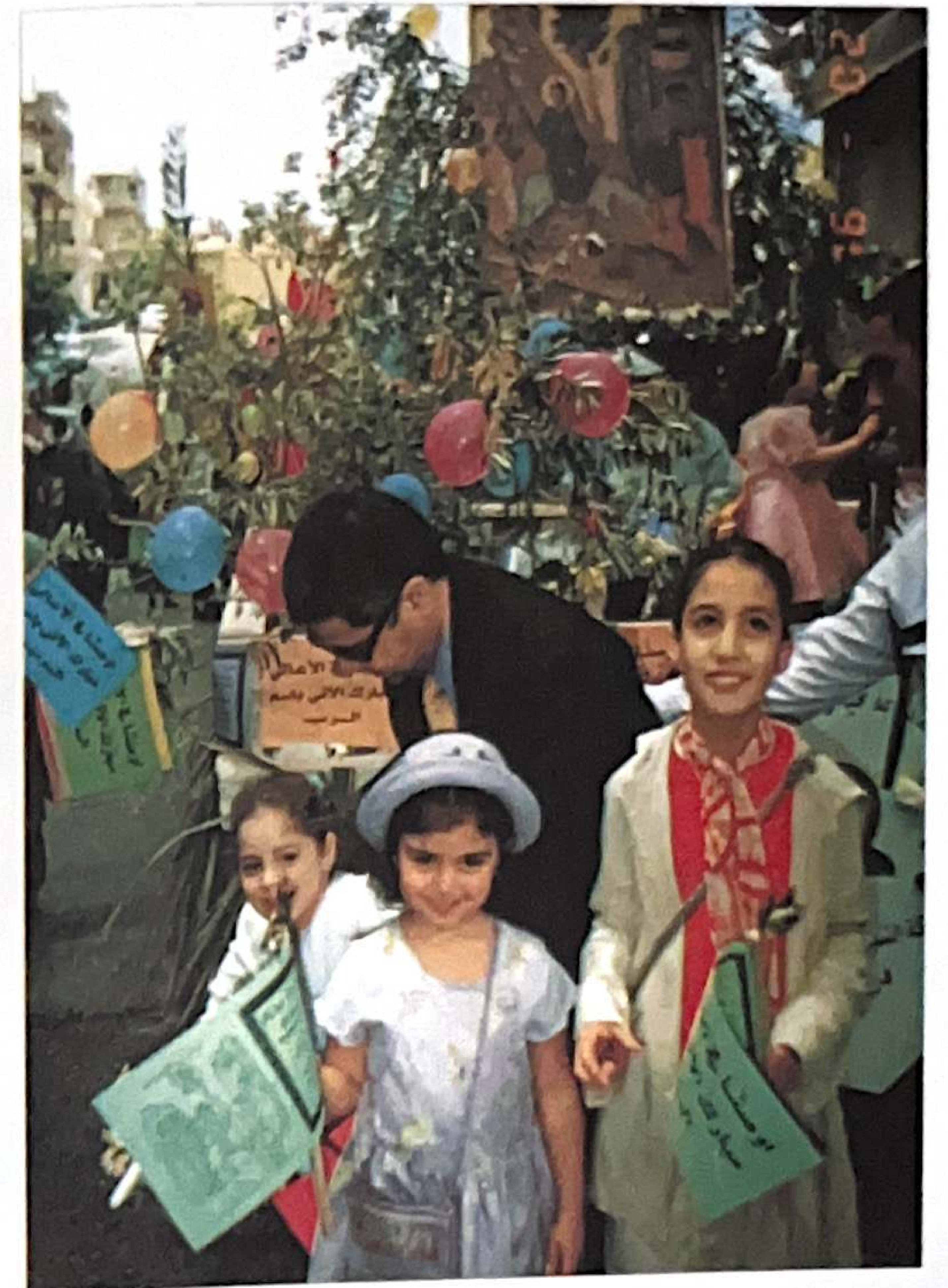


شبهٌ للقديس جاورجيوس (الخضر)، طليعة الاحتفال بعيده في صيدنايا...



... والمحتفلون بالعيد في ديره البطريركي في الحميراء.

تطواف
احد الشعانين.



البيض الملوَّن رمز
القيامة من الموت.





اثنين الباعوث في دمشق.

الأعياد الأرمنية



مسيرة يتقدّمها تمثال السيدة العذراء في مناسبة الشهر المريمي.



طلائع الوافدين الى كنيسة مار الياس الحي – ربلة للاحتفال بعيده.

الأعياد الأرمنية

إضافةً إلى الأعياد المسيحية التي تحتفل بها الطوائف الأرمنية مع سائر الطوائف الاخرى، كلٌّ منها بحسب طقوسها وتقاليدها (وقد أشرنا إليها في مواقعها)، فإن هناك أعياداً ثلاثة مهمة يمكن اعتبارها خاصة بالأرمن، لأنها قومية ودينية في الوقت نفسه، وهي :

عيد القديس وارطان

إنها ذكرى استشهاد القائد البطل وارطان (St Vartan) ورفاقه في العام ٤٥١، دفاعاً عن إيمانهم المسيحي أمام الجيش الفارسي. ويصادف هذا العيد يوم «خميس السكارى»، أي يوم الخميس قبل الصوم الكبير. والأرمن لا يحتفلون بالكرنفال في يوم الخميس كما جرت العادة عند الطوائف الكاثوليكية، بل في يوم السبت الأخير من الأسبوع، إضافةً إلى يوم الأحد.

يعتبر الأرمن هذا العيد عيداً قومياً، نظراً إلى الانتصار المعنوي الذي تحقق، إذ بقيت أرمينيا مسيحية بفضل استبسال خيرة رجالها. وقد دُوّنت في هذا الحدث الملاحم البطولية، حملتها كُتب التاريخ القديم وتَغَنّى بها الشعراء والأدباء على مر العصور، فبقيت ذكرى خالدة تتناقلها الأجيال.

تقام في هذه المناسبة احتفالات دينية وثقافية تشترك فيها جميع الأخويات من مختلف الاتجاهات، برعاية رؤساء الطوائف الأرمنية الثلاث، الغريغورية والكاثوليكية والإنجيلية .

وفي عيد القديس وارطان تُقدم الهريسة، المصنوعة من اللحم والقمح المهروس، لأن القمح يرمز إلى الاستشهاد.

عيد الشهداء الأرمن

يحتفل الأرمن في الرابع والعشرين من نيسان بذكرى الشهداء الأرمن الذين قُتلوا في العام ١٩١٥.

تُقام في هذه الذكرى القداديس الاحتفالية والصلوات في الكنائس والمقابر، ويَضَع الأطفال أكاليل الزهور أمام نُصب الشهداء المرتفعة في باحة بعض الكنائس وتَعزُف الفرق النحاسية الألحان الجنائزية وتقام ندوات في مختلف الأندية والجمعيات، كما تَنظَم مهرجانات خطابية تُقَدم خلالها الأناشيد والقصائد التي تُشيد بالشهادة والشهداء، ويتم تكريم عائلات الشهداء وذويهم.

وفي هذه المناسبة يقوم كثيرون بزيارات حجّ إلى أماكن استشهاد الأرمن، ومنها دير الزور والشدادة ومرقدة، حيث أقيمت المعابد والنصب التذكارية وجمع فيها رفات الشهداء، التي لا يزال بعضها مدفوناً في الصحراء أو في الكهوف.

يُعتبر هذا العيد عيداً قومياً يشترك فيه جميع الأرمن بمختلف اتجاهاتهم، ويَرعى الاحتفالات رؤساء الكنائس الأرمنية الثلاث.

عيد القديس كريكور المنوّر

يُعتبر هذا العيد أكبر الأعياد في الكنيسة الأرمنية، لأنَّ فيه ذكرى مؤسسها ومنورها (St Grégoire l'Illuminateur). وُلِدَ في العام ٢٥٧ م وخدمَ في بلاط الملك درطاد. ولمّا عَلِمَ الملك أنه مسيحي ويرفض تقدمة الذبائح للأوثان، أمرَ بسجنه ثمَّ ألقاه في بئر عميقة حيث بقيَ على قيد الحياة طيلة اثنتي عشرة سنة. ولما أصاب الملك درطاد مرض عضال، أُشيرَ عليه أن يستدعي كريكور، فأخرجه من البئر. ولما صلى كريكور عليه باسم المسيح نجا من مرضه، حينئذ آمن الملك بالمسيح واقتبل المعمودية على يد هذا القديس بعد أن نال الرسامة الكهنوتية فالأسقفية. وأصبح كريكور أول بطريرك على الأرمن في العام ٣٠١ م.

يَقع هذا العيد في يوم السبت الثالث بعد العنصرة، وهو تذكار اكتشاف رُفات القديس في العام ٣٢٥ م. وتسبقه خمسة أيام من الصوم ويقَع دوماً في شهر حزيران. كما تحتفل الكنيسة الأرمنية بتذكار دخول القديس كريكور إلى البئر وخروجه منها. ولا تزال هذه البئر (خورفيراب Khorvirab، أي الجب العميقة) قائمة في جمهورية أرمينيا عند سفح جبل آرارات يؤمها الحجّاج على مدار السنة، وينزلون إليها بواسطة سلالم معدنية. وقد شيِّد فوق فوّهتها معبد صغير، وأنشئت على مقربة منها كنيسة على اسم القديس كريكو.

وقد جرت العادة في حلب أن يأتي المؤمنون بإناء مملوء بماءِ بئرِ المنزل إلى الكنيسة في عيد القديس، وبعد تبريكه يعودون به إلى منازلهم فيرشّونه على البئر وفي أرجاء الغرف، طالبين شفاعة القديس لحمايتهم من الأمراض السارية ومن لدغات العقارب والحيوانات الزاحفة. ويُضاء القنديل في ذلك اليوم ويوضع على فوهة «الجبّ».

الفصل الثالث

المناسبات الاجتماعية

المناسبات الاجتماعية الواردة في هذا الفصل

الخطبة

الزواج

الولادة

العماد

«السنونية»

المناولة الاولى

الاعياد «الشخصية»

عيد الحب

عيد الزواج

الرحلات والنزهات، المخيمات والسهرات

الوفاة

الخِطبة

تمرّ الخطبة في سورية بمراحل عدة، صارت الآن تُختصر الى الحدّ الادنى مع المحافظة على بعض التقاليد، بحسب المناطق.

في الماضي كان الشاب الراغب في الزواج يكثر من التردّد الى الكنيسة والاندية والمجتمعات يستعرض فيها الفتيات. فاذا أعجبته إحداهن أوفد شقيقاته او إحدى المقرّبات لزيارتها في بيتها. والزيارة التالية تكون برفقة الشاب ووالدته، وتسمّى في حلب زيارة «التقليب» (تقليب فلانة بنت فلان) وفي الحسكة يسمّونها «قشّيع خير». فالفتاة تتجمل وتلبس أحلى ما عندها، وعليها ان تقدّم القهوة وتجيب بهدوء عن أسئلة «مقلّبيها». فاذا كانت جميلة وأعجبتهم يقولون في حلب: «إن بركت بتبيّن وان قامت بتزيّن».

هذه العادة أصبحت نادرة ويلجأ إليها خصوصاً المغتربون العائدون الى وطنهم للزواج من بناته. الآن يلتقي الشباب والفتيات ويتعارفون في المدارس والجامعات وأماكن العمل وعند الأقارب والأصدقاء وفي المناسبات الاجتماعية. فإذا أحب شاب فتاة صارحها بحبّه واتفقا على زيارة أهل العروس، كما أسلفنا. وقبل الزيارة تلجأ العائلتان الى السؤال عن كل من الشاب والفتاة وعائلتهما وأوضاعهما، اذا لم تكن هناك معرفة سابقة.

تكون الخطبة عائلية، مختصرة أو موسّعة، أو احتفالية تجري في الكنيسة أو في أحد الاندية أوالمقاصف، يدعى اليها مع الكاهن أنسباء الخطيبين وأصدقاؤهما. في هذه الحال يأتي أهل الشاب بالمحابس وما تيسّر من «الصيغة» (المجوهرات) فتستقبلهم قريبات الفتاة بالزغاريد التي تشيد بهم، ثم تقدّم لهم القهوة المرة، فيقول الكاهن أو كبير الزائرين: «لن نشربها قبل أن تلبّوا طلبنا. نحن قصدنا دار الكرامة والشهامة لنتناسب (أي نصبح أنسباء) معها». هنا يكلف والد الفتاة الكاهن أو أكبر الموجودين (جدّها أو عمها أو خالها) أخذ رأيها، فإذا وافقت يجيب والدها: «مبروك. أعطينا إذا الله أعطى».

هنا يجري تبريك المحابس وإلباس المَصاغ، ثم ترتفع الأدعية: «العقبى للفرحة التامة، للاكليل»، ومعها الزغاريد التي تشيد بالخطيبين والعائلتين، وتعقد حلقات الرقص والدبكة وتقدّم الحلويات.

أما في المنطقة الشمالية والشرقية من سورية، وبعد انتهاء طقس الخطوبة، يؤتى برغيف كبير من «الكليجة»، وهي نوع من الخبز الذي يدخل في تركيبه السمن والسكر والتوابل ويدهن سطحه بالبيض ويغرس اللوز على وجهه بشكل صليب او يكتب به اسما الخطيبين، ثم يقف الكاهن في الوسط وعن يمينه ويساره اشبينا العروسين من الذكور ويمسك الثلاثة معاً بمدورة «الكليجة». وبايعاز من الكاهن تكسر هذه المدورة، والذي يحوز على نصيب اكبر منها يكون هو الفائز في هذه المسابقة التي تدخل الفرح إلى قلوب الحضور. وقد تطورت الكليجة من رغيف الخبز العادي الذي يذكّر بالرغيف الذي باركه وكسره الرب يسوع في العشاء السري مع تلاميذه.

في المدن ولدى العائلات الثرية أو الميسورة تجري الخطبة غالباً في المنزل أو في أحد المقاصف والأندية، كما أسلفنا، وتقدّم الحليّ أو المجوهرات والمال الى الخطيبة. وبعد العشاء تقام سهرة حافلة تدوم الى ساعة متأخرة. وفي بعض العائلات توزّع أكياس أو علب من الملبّس على الاقارب والاصدقاء الذين يباركون بالخطبة.

في بعض المناطق، يزور أهل الخطيب في اليوم التالي منزل الخطيبة ويدعونها مع أهلها للخروج مع خطيبها، ويسمّون هذه الزيارة «رفع مستحى»، ويسمونها في بلدة صدد «يوم كسرة الرجل». كما يدعون الخطيبة مع أهلها لزيارتهم ويقيمون لهم سهرة يدعونها «العبرة» (أي العبور بردّ الزيارة) فيذهب هؤلاء مع هدية قيّمة للخطيب تكون عبارة عن حلية من ذهب أو أداة لتجهيز المنزل (فرن، تلفاز...). وبعد أيام يردّ أهل الخطيب الزيارة لأهل العروس فيصبح في إمكانه زيارتهم، وكذلك الخطيبة التي تزور منزل أهل خطيبها متى أرادت، وعليها في هذه الحال أن تساعد حماتها في بعض الأعمال.

الزواج

للزواج المسيحي في سورية طقوسه وتقاليده التي قد تختلف تفاصيلها بين المناطق، وبالأخص بين المدينة والارياف، ولكن جوهرها يبقى واحداً.

يتفق أهل العروسين على موعد الاكليل قبل شهر تقريباً، يبدأ فيه الاعداد والاستعداد لليوم المشهود، وتتسارع الاحداث في الاسبوع الأخير.

وبصورة عامة، تجري الأعراس في الارياف بعد ان يكون الناس قد فرغوا من أعمالهم وجمعوا مؤونتهم - التي يستعملون قسماً كبيراً منها في العرس. ولأن الأفراح هي المناسبات الوحيدة للبهجة عندهم، فالجميع يشاركون فيها، مدعوين كانوا أو غير مدعوين، مسلمين ومسيحيين. ففي اليوم الذي يسبق العرس يبدأ الناس بالتوافد الى منزل العريس، فيُستقبلون بالزغاريد والضيافة الى أن يحين وقت العشاء، وبعده تعقد حلقات الدبكة. أما في منزل العروس فيجري «فرد الجهاز»، وإن على نطاق ضيّق، مع القريبات والصديقات ومع الضيافة والزغاريد والرقص، ومن ثم يُنقل الى المنزل الزوجي.

سهرة العرس هي «ليلة التعليلة»، وكانت في الماضي تعاليل... وهي احتفال يرافقه الهرج والمرج والغناء والرقص. يجلس العريس على منصة عالية في صدر الدار وحوله عدد من الشباب المدججين بالسلاح «للمحافظة عليه»، فيتوارد الناس لتهنئته فيما يتبارى شعراء الزجل بالإنشاد، مخصصين العريس والوافدين والراقصين بأبياتهم.

يسبق ذلك حمّام العروسين، كل منهما على حدة، وقد يجري في حمّام عام أو في المنزل. حمّام العريس ترافقه الخيّالة بلعب السيوف والرماح والنسوة بالزغاريد. وبعد الحلاقة يلبس ثياب العرس مع الزغاريد أيضاً. وتتبع ذلك «الهلاهيل» والرقصات والدبكات.

أما العروس فيجري حمامها في زفّة ينشدون لها فيها أناشيد متنوعة. وبعد أن تلبس بدورها ثيابها المخملية الانيقة يجلسونها في مكان عالٍ وحولها فتاتان (إشبينتان) تحمل كل منهما شمعة طويلة، فيما النساء والفتيات يتغنين بمحاسنها، في ما يسمى «جلوة العروس».

عند منتصف الليل، كما في بعض المناطق السورية، بعد وخز العريس بالابر اشارة الى انتهاء عهد العزوبة وبعد تخضيب يديه مع «شبابه» بالحناء، يحين موعد إرسال هذا الحناء الى منزل العروس، ويكون موضوعاً في إناء من النحاس مزين بالشموع يسير الناس خلفه وأمامهم المشاعل، الشباب بالعراضة والنساء بالزفة. وعندما يصلون الى المنزل يحيطون بالعروس وتغني لها النساء.

فبعض الاغاني تُبكي العروس أحياناً. لكن السهرة تستمر مع العائلتين وأصدقائهما، الى أن يتعبوا فيذهبون للنوم، استعداداً لليوم التالي.

يذهب العريس قبل موعد الاكليل ليستقبل المدعوين على مدخل الكنيسة مع والديه واشبينه، فيما يذهب وفد من أقربائه الى منزل العروس لمرافقتها الى الكنيسة. يطلب الاذن بذلك الكاهن او أحد الوجهاء، فيجيبه والدها : شرفتمونا والبنت بنتكم. عند ذلك تقبّل العروس يدي والديها وتذهب الى الكنيسة بزفّة، على ظهر فرس مزيّنة أو في موكب سيارات تطلق أبواقها ابتهاجاً.

* وفي القلمون، في ريف دمشق، يُفترض وجود والدة العريس مع الوفد وإلاّ عُدَّ غيابها عدم رضى على العروس، فلا يتمّ الاكليل.

أمام الكنيسة يسلّم والد العروس يد ابنته الى العريس الذي يدخل معها الى الكنيسة، يتبعهما الاشبينان والاهل،

بعد إتمام مراسم الزواج ترتفع الزغاريد وتؤخذ الصور التذكارية ثم يتقبل العروسان التهاني، واحياناً الهدايا، إذ إن البعض يقدّمونها في تلك الساعة، والبعض يرسلونها الى المنزل قبل الزواج، والبعض الآخر يقدّمونها في ما بعد، عند تقديم التهاني التي يحدّد لها موعد معين.

اشتهرت بلدة صدد (محافظة حمص) باحتفالات الاعراس الجميلة للغاية. وكانت تقام في البلدة الى زمان قريب حفلة زواج جماعية تستقطب الساكنين في جميع القرى والبلدات المجاورة. توقفت هذه العادة لفترة، و سوف يعاد العمل بها قريباً.

في المدن ولدى العائلات الميسورة تقام سهرة العرس في أحد المطاعم أو الفنادق، أو يقام حفل استقبال بعد الإكليل يُقطع فيه قالب الحلوى ويشرب الحضور نخب العروسين اللذين يذهبان بعد ذلك في رحلة «شهر العسل» التي قد تكون الى الخارج أو في أحد الفنادق، لمدة تقصر أو تطول. وفي الأحد الذي يلي زواجهما، أو بعد عودتهما، يشارك العروسان في القداس ثم يذهبان «لردّة الرجل» أو «العبرات» كما يسمّونها في حلب، لتقبيل يدي والدي العروس وشكرهما. فتقام في

هذه المناسبة حفلة عشاء للأقارب والأصدقاء. وبعد ذلك ينصرف العروسان الى استقبال المهنئين في منزلهما ثم الى ردّ الزيارة للذين شاركوهما فرحتهما.

الولادة

لم تعد الولادات تجري في المنازل على يدي قابلة قانونية إلاّ نادراً، بل في المستشفيات، حيث تتوافد النساء من الاقارب لتفقّد الام ومولودها ولتهنئة الاهل بالسلامة، مع الزهور و«النقوط» (اي الهدايا).

في اليوم التالي للولادة تُعطى الام وجبة «حريرة» مصنوعة من سكّر وطحين وماء. وفي المنزل تهتم بها وبالمولود الجدتان ونساء العائلة، حيث يأتي الاقارب والاصدقاء للتهنئة مع هداياهم، التي قد تكون نقوداً أو ذهباً أو ملابس. وتقدّم العائلة في المناسبة المغلي والحلويات العربية والشوكولاته، مع شراب ساخن، قد يكون الشاي أو الكراوية أو «الاتنير»، الذي هو مزيج حار من الشاي والقرفة والزنجبيل والجوز.

جرت العادة على ان يأتي الكاهن الى المنزل للصلاة على المرأة النفساء. وبعد أربعين يومًا تذهب الام مع وليدها الى الكنيسة حيث يصلي الكاهن على رأسيهما. واذا كان المولود ذكراً يمكن ادخاله الى الهيكل، تيمناً بما فعله سمعان الشيخ للطفل يسوع عند تقديمه الى الهيكل. أما الانثى فليس لها هذا الامتياز في بعض المناطق.

بعد العودة من الكنيسة يفطر الأهل والاقارب معًا في المنزل، رجالاً ونساءً. وفي مدينة حمص ترسل الجمعيات الخيرية بطاقة تهنئة بالمولود، ثم يُدعى اعضاؤها الى سهرة روحية في المنزل، تقدّم فيها الادعية والتهاني وترتفع التراتيل والاناشيد، وتوزع القهوة والشاي والحلويات.

يسمّى المولود عادةً باسم أحد كبار العائلة، وبخاصة الجدّ، أو باسم القديس الذي يصادف عيده يوم مولده، أو باللقب الذي كان يطلق على والده قبل الزواج (أبو «فلان»). وعندما يُحمل المولود في أول زيارة الى منازل الأقارب والاصدقاء، يُقطع فوق رأسه رغيف خبز أربع قطع، على اسم الصليب المقدس.

العماد

ليس لعماد الطفل عمر محدّد، لكنه يتمّ إجمالاً في حدود ثلاثة أشهر، وأحياناً أكثر أو أقل حتى السنة. يجري العماد إما في المنزل وإما في الكنيسة، كما يحصل الآن.

يكون العماد إفرادياً أو جماعياً، في مناسبات معيّنة كعيد الغطاس مثلاً. إذ يقول أهالي صدد في هذه المناسبة: «من ليس له مولود فليعمّد عود»، كما يجري في عيد انتقال السيدة، وفي عيد الصليب وعيد مار جريس واثنين الباعوث وسبت النور، الذي يسبق عيد الفصح. هذه المناسبة الأخيرة تذكّر بعماد الموعوظين في بدايات المسيحية، اذ كانت مدّة موعوظيتهم تستمر ثلاث سنوات، يُعمَّدون في نهايتها يوم سبت النور، لكي يتمكنوا من المشاركة في الافخارستيا الفصحية.

هذه المناسبات والتواريخ تفرض المكان أحياناً. فكثيرون من الناس ينذرون أو يرغبون بتعميد أولادهم في كنيسة سيدة صيدنايا، أو دير القديس جاورجيوس الحميراء، أو في دير رؤية القديس بولس وسواها.

يتمّ العماد أحيانا في احتفال ديني وعائلي بسيط، يحضره الأهل والمقرّبون وتقدّم في نهايته ضيافة مختصرة (قهوة وحلويات)، أو يصبح مناسبة لاحتفال كبير في بعض المناطق يُحمل فيه الطفل على فرس مزيّنة ترافقه «عراضة» الى الكنيسة، مع الزجّالة والعزف على الطبلة، كما تعقد حلقات الدبكة والغناء، ويعود الموكب بعد العماد الى المنزل بالطريقة نفسها، ويحيي أهل المعمود أصحاب المنازل التي يمرّون بها، فيردّ هؤلاء لهم التحية وتتقدم سيدة الدار وبيدها مبخرة لتبخّر الطفل المعمّد وهي تزغرد. وعند وصولهم الى منزلهم ينشدون أناشيد عدة، منها:

عمّدنا وجينا
يا ربّ تهنينا

في المنزل تقدّم التهاني الى أهل المعمود وإشبينه. بعد ذلك تقدّم الهدايا الى الطفل، وهي عبارة عن ذهب وملابس وألعاب، ويجتمع الكل الى مائدة الأهل أو في أحد المطاعم حيث يُقطع قالب الحلوى، كما يجري في الاعراس، بوجود مطربين وموسيقى.

وتجدر الاشارة أخيراً الى أن بعض الناس لا يقبّلون الطفل قبل عماده، «لأنه ما زال وثنياً»!

«السنونية»

عند ظهور الاسنان الاولى للطفل، يسلق أهله القمح ويزيّنونه بالمكسرات، كما في عيد البربارة، ويدعون الاهل والمقرّبين الى مائدة يكون ختامها «السليقة»، التي يرسلون منها هدية الى الجيران، في هذه المناسبة.

في بعض المناطق، يوضع الطفل المحتفل به على الارض وحوله بعض الادوات: مشط، قلم، صحن، كتاب، سكين، مقصّ وغيرها. وأول قطعة يلمسها الطفل يعدّها أفراد العائلة بمثابة اشارة الى المهنة التي يمكن أن يمارسها في المستقبل.

كما يرمون السليقة على غطاء قماش يوضع فوق رأس الطفل، ربما استجلاباً للبركة...

المناولة الاولى

تعطى المناولة الاولى، أو «أول قربانة» للاطفال في الكنيسة الارثوذكسية مع سرّي العماد والتثبيت، «لأن الطفل يحتاج الى هذا القربان كطعام روحي كما الى الطعام المادّي، يناله المعمَّد لكونه نعمة الهية مجانية»، ويمكن أن تجري «المناولة الاحتفالية» في ما بعد.

أما لدى الطوائف الكاثوليكية، فتعطى المناولة الاولى في عمر سبع سنوات تقريباً، بعد فترة من التعليم المسيحي والإعداد، لكي يعرف المتقدم كنه هذا السرّ، باستثناء الارمن الكاثوليك الذين يحضّرون الفتيان والفتيات لتقبّل السر ابتداءً من عمر ١٥ سنة، في فترة تدريب تسمى «صف اشتراك» يتخذ فيها كلٌّ منهم شعاراً له في حياته، قبل أن يتقدّم الى العشاء الرباني.

يحتفل بهذه المناولة عادةً في «الأحد الجديد» الذي يلي أحد الفصح، بمراسم خاصة يلبس فيها المتقدّمون الثياب البيضاء، رمزاً للطهر والنقاء. وبعد انتهائها يدعو الأهل الاقرباء الى مأدبة في منزلهم أو في أحد المطاعم أو المنتزهات.

وفي الكنيسة الانجيلية المشيخية يخضع المتقدّمون في عمر ١٤-١٥ سنة الى فترة تدريب تدوم أسبوعين ويسمونها «تثبيت الإيمان»، لكي يتناولوا جسد المسيح ودمه ويثبّتوا أعضاء في الكنيسة.

الأعياد «الشخصية»

أعياد الميلاد الشخصية تقام في مناسبة مرور عام جديد على مولد الشخص. وغالباً ما تكون للأطفال، يكون فيها قالب الكاتو أساس العيد، فتوضع فيه الشموع على عدد سني العمر، لكي يطفئها المحتفى به. كما تقام حفلة ديسكو في المنزل، إن كان المحتفى به في سن المراهقة، يشترك فيها رفاقه من الجنسين...

عيد الحب

مستورد من الغرب، وينسب خطأ الى القديس ڤالنتين. يحتفل به الشباب والمراهقون في ١٤ شباط ويتهادون وردة حمراء، رمز اً للعشق والحب. وتقام في هذا العيد حفلات فنيّة في المقاصف وقاعات الكنائس، تعدّ لها المؤسسات الخيرية، يشترك فيها المتزوجون ايضاً ويعود ريعها لأعمال الخير.

عيد الزواج

يمكن الاحتفال به كل سنة، في تاريخ الزواج، لكن درجت العادة على إقامته في مناسبة اليوبيل الفضّي (٢٥ سنة) أو اليوبيل الذهبي (٥٠ سنة)... وأحياناً اليوبيل الماسي (٧٥ سنة) للزواج، يشارك فيه الأبناء والاحفاد، إضافة الى الاقارب والاصدقاء، وذلك في المنزل أو في أحد المطاعم أو المقاصف.

الرحلات والنزهات، المخيّمات والسهرات

الفرح والترفيه عن النفس والتمتع بمباهج الحياة لا تقتصر على المناسبات الدينية والاجتماعية، بل تتعداها الى الرحلات البعيدة وإقامة المخيمات

والسهرات، والى النزهات في بساتين المدن الكبرى، كدمشق وحلب، حيث يصحّ قول الشاعر:

ثلاثة تجلو عن القلب الحزنْ   الماء والخضرة والشكل الحسنْ

ففي أيام الربيع والصيف يستيقظ الناس باكراً، بخاصة ايام السبت والأحد وفي الاعياد، ويتوجّهون نحو البساتين والحدائق العامة مع بعض المأكولات الشعبية، فيتناولونها ويلعبون الالعاب الجماعية ويغنّون ويمرحون ثم يشربون القهوة ويعودون الى بيوتهم. هذه التقاليد ما زالت تمارس في البيئات الشعبيّة ولدى الشباب.

كما ان الرجال وسيدات الجمعيات والاخويات يذهبون الى الحدائق العامة والمتنزهات في بعض المواسم والاعياد : كاثنين الراهب، عيد الأم (٢١ آذار) عيد مار افرام (١٧ نيسان)، عيد الجلاء، ثاني يوم القيامة وهو عيد الربيع الذي يسمّيه المصريون «شمّ النسيم»، خميس الصعود، يوم الشكر، عيد الحب، وسواها؛ وكبعض أعياد الكنيسة الانجيلية، كعيد تأسيسها في الاول من تموز ويوم الاصلاح (٣١ تشرين الثاني).

في هذه المناسبات يدعو أهالي حلب الأصدقاء وأعضاء الجمعية أو الأخوية، ويرافقهم احياناً المطران أو الكهنة، الى بساتينهم حيث يتناولون الفطور مع المامونية[1] والشعيبيات[2] التي قيل فيها :

ما أطيب المامونيه بسكّر   قلبي عليها بيتحسّر
على من أخذها وبكر   وفَطَرها في البستان

وعن الشعيبيات :

يا أخي أما الشعيبيات   إذا كانوا صبحيات
في بستان الجانكيات   بفطرهم مع الاخوان

١. المامونية : تصنع من السميد والسمن والسكر وماء الزهر، وأحياناً مع الجبنة.
٢. الشعيبيات : في بعض المحافظات تسمى «فطاير».

اما إذا كانت الدعوة الى الغداء أو بعد الظهر فيتناولون المقبلات والكبة النية والمشاوي مع المشروبات. ويرافق الطعام الغناء والرقص مع الموسيقى.

وفي مناسبات أخرى كثيرة تنظم رحلات الى الاماكن الدينية والاثرية التاريخية. في الماضي كانت الفرق الكشفية تقيم المخيمات والمعسكرات، أما الآن فلم تعد وقفاً عليها، اذ تشارك فيها الاخويات والجمعيات النسائية وأطفال مدارس الأحد. وهي ليست للترفيه فحسب، بل تتخذ شكل رياضة روحية تدوم من ثلاثة ايام الى سبعة، يشارك فيها الكهنة والقسس وتُناقَش مواضيع روحية واجتماعية وثقافية.

الوفاة

الموت هو الحدث الذي تتحاشى غالبية الناس أن تفكر فيه أو تتحدث عنه، كأن الحديث عنه يقرّب موعده وتجاهله يُبعده. لكن عند وفاة أحد الاشخاص ينتشر الخبر بسرعة، إما عن طريق قرع الاجراس حزناً في القرى والاحياء الشعبية، وإما بواسطة توزيع اوراق النعي في المدن، فيتوافد الناس الى دار الميت للمؤاساة.

يوضع جثمان المتوفى في غرفة تجتمع فيها حوله النساء للصلاة او لتعداد صفاته، ويجتمع الرجال في مكان آخر، يستمعون الى شرائط تراتيل مسجلة لمثل هذه المناسبة. وعند حلول موعد صلاة الجناز يأتي الكاهن (او الكهنة) للصلاة، ثم يوضع الجثمان في النعش ويسيرون به في موكب حزين الى الكنيسة يتقدمه حمَلة الاكاليل (واحياناً فرقة موسيقى) فالكهنة، وخلفه العائلة والمشيّعون، ونادراً ما يكون بينهم نساء، لأن كثيرات منهن لا يذهبن الى جناز الدفن ولا إلى المدافن.

بعد الصلاة والدفن تتقبل العائلة التعازي بالقبلات بين الاقارب، وباليد مع الأصدقاء وباقي المعزّين. وتقام مجالس العزاء أحياناً في قاعات الكنائس، وهي تدوم بين ثلاثة ايام وسبعة (في المنزل) بحسب المناطق، وأحياناً أربعين يوماً بالنسبة الى السيدات. وفي الايام الاولى للوفاة لا تطبخ العائلة ولا تأكل لحماً، بل إن الاقارب هم الذين يقدّمون لها الطعام. وبعض المحزونين لا يغتسلون ولا يحلقون ذقونهم لمدة اسبوع.

* *فترة الحداد* يحددها عمر المتوفى ودرجة القرابة. وهي تراوح في حلب بين ٤٠ يوماً للابنة المتزوجة، بحسب رغبة زوجها، وسبع سنوات للأرملة الشابة، وبين ثلاثة اشهر وستة على من تجاوزوا السبعين من العمر. أما الاقارب من الدرجة الاولى (الاب والام، الاخ والاخت، الزوج والزوجة والابناء) فيلبسون الاسود لمدة سنة. هذا لا يمنع الجيران والاقارب من زيارتهم، طالبين إليهم الكف عن الحزن والحداد، لأن الموتى يرقدون على رجاء القيامة، كما لا يمنع ذلك المحزونين من زيارة الراغبين في الزواج في محيطهم، طالبين إليهم إتمام افراحهم.

* *الجنازات* : تقام صلوات الجناز لراحة نفس المتوفى في اليومين الثالث والسابع كما في اليوم الاربعين وفي الذكرى السنوية الاولى لوفاته. وفي هذه المناسبات – أو بعضها – تقدم العائلة «لقمة الرحمة» عن نفسه، كما تتبرّع للكنيسة والجمعيات الخيرية بمبلغ من المال. أما إنجيليو الحسكة فيقيمون الصلاة بعد ١٥ يوماً لأهل المتوفى، يذكره القسيس فيها، لأن «ذكرى الصدّيق بركة». وفي مدينة حماة يحتفل كل يوم سبت بقداس لراحة نفوس الراقدين، يشارك فيه المحزونون والمعزّون.

* *زيارة المدافن* تقوم بها النسوة حتى اليوم الثالث للوفاة، حاملات البخور يوقدنه امام المدفن، تمثلاً بالنسوة حاملات الطيب الى قبر السيد المسيح.

الفصل الرابع

عناصر طبيعيّة ورموز

عناصر طبيعيّة ورموز

لبعض عناصر الطبيعة لدى المسيحيين رموز خاصة، ويخضع استعمالها لعادات وتقاليد معينة، يُخضعونها أيضًا لإيمانهم، ومنها :

الماء

رمز الحياة ورمز المعمودية. يباركه الكاهن في أعياد ومناسبات عدة : الغطاس، الذي يدور فيه الكهنة على البيوت يرشّونها بالماء المقدس، ويسمّى ذلك «الغطاسية»، وفي عيدي العنصرة (الرشاشة) والتجلّي...

وعندما ينحبس المطر فترة طويلة كان الكاهن والشعب يخرجون الى النهر ويغطسون الصليب في مياهه، مصلّين من أجل هطول المطر .

أما اليوم فتقام «صلاة الاستسقاء» في الكنائس (تقابل ذلك «صلاة الاستسقاء» عند المسلمين)، ثم يعودون الى بيوتهم وأمامهم الاولاد يحملون دمى من القماش بزيّ عروس ويطوفون بها منشدين :

يا ربّي ربيّ ربّي   وابعث للزرع مَيّي
عروستنا عطشانه   بدها خلقينة ميّي
يا ربنا، يا ربنا   تبعث مطر لزرعنا
نحن الصغار شو ذنبنا   كل الخطا عكبارنا
ام الغيث غيثنا   (فلان) الاقرع راعينا
ما بيفلح ولا بيزرع   ولا حنطه بتقدّينا

النار والنور

كان إشعال النار عادة وثنية ورمزاً لإله النار. والنار أيضاً رمز للشمس والضوء وهي تعطي النور. لقد دخلت الى المسيحية بمفهوم جديد، مع قول السيد المسيح :

«لا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال، بل على المنارة، فيضيء لجميع الذين في البيت» (متى ١٥:٥)؛ «أنتم نور العالم» (متى ١٤:٥)؛ «ابقوا في النور ما دام لكم النور»...

ويوقد المسيحيون النار بخاصة ليلة عيد الصليب، وفي أعياد أخرى كالميلاد ورأس السنة والبربارة. كما يضيئون الشموع في سائر احتفالاتهم.

القمح والخبز

في العهد القديم كان المزارع يقدّم تقدمة للرب قسماً من أجود محصوله من القمح، كما كان الراعي يقدم الحمل ذبيحةً. والسيد المسيح نفسه ذكر مثَل زارع القمح وسار مع تلاميذه بين سنابله. ومن القمح الخبز، وبالأخص خبز التقدمة، ثم الخبز الذي يتحول جسداً للمسيح في الافخارستيا : «انا الخبز النازل من السماء...»

يكتسب الخبز أهمية خاصة في منطقة الشرق الأوسط، لأنه يُعتبر المادة الغذائية الاساسية و«نعمة من الله». ويدعو الناس ربهم ان لا يصبح الخبز شهوة بين الناس. لذا هو رمز العطاء. ومن العادات السائدة، توزيع الخبز على الفقراء عند تحقيق الأمنيات. وفي بعض المناطق السورية يُقسم رغيف الخبز على رأس المولود الجديد في كل بيت يزوره هذا المولود ثم يُقدم الخبز المقسوم للجميع ليأكلوا منه، دلالة على صدق المودة.

الخبز لا يقسم بالسكين وإنما باليد، ويقدّم للضيوف. ويُقال «صار بيننا خبز وملح».

يستعمل المسيحيون القمح مسلوقاً (السليقة) في أعياد ومناسبات كثيرة، منها البربارة، الغطاس، عيد ميلاد أحد الاشخاص، «السنونية»، اي عند ظهور الاسنان الأولى للطفل...

العجين و الخمير

القليل من الخمير يخمّر العجين كله. والخبز يُصنع من العجين المختمر.

يدخل العجين في عدد من العادات التي درج عليها مسيحيو سورية في بعض المناسبات الدينية والاجتماعية :

- في عيد الغطاس يُصنع عجين الزلابية الذي يُقلى (يغطّس) في الزيت الحار فينتفخ ويتحول الى كعكة لذيذة.

- الكليجة (وقد ورد ذكرها قبل الآن). كعكة توضع فيها قطعة من النقود، قبل قليها. ويُعتبر من تكون قطعة النقد من نصيبه محظوظاً.

- في بعض المناطق، وبخاصة في القرى، تُصنع للعروس خميرة تُلصقها على مدخل المنزل الزوجي، أو على باب غرفتها، توضع فيها بضع قطع نقدية على شكل صليب، رمزاً لاستمرار الزواج واستجلاباً للخير المنتظر منه.

الزيت

استُعمل زيت المَسحة في العهد القديم لمسح الملوك به. ويسوع نفسه هو المسيح، أو الممسوح من الآب السماوي من أجل خلاص العالم. لذلك يستعمل الزيت في المسيحية لدى ممارسة أسرار المعمودية والميرون (التثبيت أو التبريك) ومسحة المرضى، طلباً للشفاء أو للخلاص؛ وهو رمز للايمان والاعمال الصالحة، كما جاء في مثل العذارى. إنه يُعتصر من ثمر الزيتون الذي قدّسه الربّ.

العنب

جعلت الكنيسة منذ بداياتها عنقود العنب أحد رموزها، مع الصليب والسمكة وسنبلة القمح، لذلك تزين بها الثياب والاواني الكنسية. وقد قال المسيح لتلاميذه : «أنا الكرمة وانتم الاغصان...»، وعصير العنب يمسي خمراً يتحول في الافخارستيا الى دم المسيح.

يرمز العنب الى الاستشهاد، إذ يُعصر الشهيد ليسيل دمه إيماناً، كما يُعصر العنب ليستحيل خمراً.

والعنب من أشهر الفواكه الصيفيّة، يرمز الى الخير والبركة ولا يأكله بعضهم (في دمشق وحلب مثلاً) إلا بعد مباركته في الكنيسة، حيث توزّع خصل منه في بعض المناسبات، وبخاصة عن أرواح الموتى. كما يسطحه سكان ريف دمشق في عيد الصليب ليصبح زبيباً، ويُصنع منه «الملّبَن» (بعد اضافة الدقيق والتوابل اليه و«جلد الفرس»).

الصليب

وأخيراً يأتي «عود العار» و«جهالة الامم»، الذي صار في المسيحية رمزاً للفداء والخلاص وحلية للعذارى وعلامة وفخراً وزينة لكل مسيحي. انه يتخذ أشكالاً فنّية عدة، بحسب المناطق والطوائف، لعل أطرفها الصليب الارمني المزهّر، الذي تنطلق من قاعدته زهور ترتفع الى أعلى، اذ لم يعد خشباً، بل صار جسراً للعبور من الموت الى الحياة.

الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك يرسمون إشارة الصليب بأصابع ثلاثة، ترمز الى الاقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس. أما اللاتين والموارنة فيرسمونه بخمسة اصابع، ترمز الى الجراح الخمسة في جسد المسيح.

الفصل الخامس

مناسبات وأمثال شعبية

يرصد الناس، بخاصة في المناطق الريفية، المناخ والتقلبات الجوية ويربطونها بالمناسبات الدينية والاعياد. ولهم مواقفهم منها ومن بعض الاشخاص. فهناك فصل الميلاد، فترة الصوم، فصل السيدة، وفصل الصليب... وتبعاً لذلك يطلقون بعض الاقوال التي تصبح امثالاً شعبية ، ومنها :

- بين الميلاد والدنح (الغطاس)، ينزل من السماء شيء مثل الملح.
(يعني هطول الثلج بين ٢٥ كانون الاول و٦ كانون الثاني).

- بين الميلاد والغطاس بيت خيَّك ما بينداس.
(تعبيرًا عن شدة البرد وتراكم الثلوج).

- ثلجة الغطاس ما منها مناص.

- بشِّرْني في راس البراخ ولا في عيد السيدة نصف طبّاخ.
(يعني في البراخ (الغطاس) تكون المؤونة متوافرة في المنازل، فيما تنفد في عيد السيدة (١٥ آب) فيلجأ الناس الى التموّن من جديد).

- سمعان الشيخ نفنف ذقنه.
(كناية عن هطول الثلج المشبّه بلحية سمعان الشيخ المعمّر كثيراً، الذي يحتفل بذكره يوم دخول المسيح الى الهيكل، الواقع في ٢ شباط).

- في الصوم : طالما النصراني صايم، البرد قايم.

- أحد الشعنينة بلا شتا، مثل العروس بلا حلا.

- عَنْصر واطلَعْ، صلّب وانزلْ.
(يعني أنه في عيد العنصرة، أي بعد ٥٠ يوم من الفصح، يمكن الخروج من المنزل والنوم على السطح بسبب حرارة الطقس... وأنه في عيد الصليب، أي في ١٤ ايلول، يلتجئ الناس الى داخل المنزل بسبب البرد).

- عيد التجلّي يقول للصيف ولّي وللشتي دلّي.

- بعيد التجلي اقطف العنب وحطّه بالسَلّه.

- عيد التجلّي يقول للصيف وَلّي وللعنب إحلا وحَلّي.

- بعيد الصليب كل شيء بيشيب.
(دليل على اليباس).

- لا تقطف الجوز حتى يصلّب.

- في عيد الصليب تقفل الفرشة على الدبيب.
(يعني أن الحشرات تلجأ الى أسفل الصخور للاحتماء من البرد).

- سمعت العذراء صوت أنين، قالت يا وجع ضرس يا شكّة عين.
(يعني : أن العذراء تشفع بالمتألمين، وآلام الاسنان والعيون هي أشدّ الآلام).

- في عيد مار جرجس (٢٣ نيسان أو ٦ أيار، بحسب الطقس المعتمد) ينتهي البرد ويبدأ الاعتدال ثم فصل الصيف، وفيه يتعهدون المحاصيل الزراعية والثمار، تبعاً لذلك.

الفصل السادس

الأهازيج والزغاريد والرثاء

١- في المناسبات الدينية

عند الكلام على العادات والتقاليد المسيحية، يصعب الفصل بين المناسبات الدينية والمناسبات الاجتماعية، باعتبار الثانية مشتقّة من الاولى وتتمة لها. لكن هذا الفصل يصبح ممكناً اذا أخذنا في الاعتبار الطقوس والاحتفالات الدينية بمعناها الحصري، والتي تسبقها او تليها احتفالات شعبية يعبّر فيها الناس عن شعورهم بالغناء والرقص والمآدب والعراضات [1] والدبكات [2]... بعض الاهازيج التي نثبتها في هذا الباب هي جزء مما أشرنا إليه في سياق النص او تتمة له، مما يردّده مسيحيّو سورية في المناسبات الدينية والاجتماعية على السواء، بعضه في اماكن معينة أشرنا إليها، والقسم الاكبر منه يُنشد في سائر المناطق، وبخاصة في الارياف، مع بعض التعديلات هنا وهناك، من دون ان يكون منشأه معروفاً، او مختصاً بمنطقة معينة.

عيد الفصح

الاهازيج الفصحية التالية، بعضها من ريف دمشق وبعضها الآخر من محافظة حماة وسواهما. ومنها ما يردّده الاطفال يوم العيد :

هذا العيد وعيّدنا   وفاض القبر سيّدنا
عيدنا عيد المسيح   شفى الأعمى والكسيح
والمسيح أتانا   وبدمّو اشترانا
واليهود حزانى   ونحن اليوم فراحا
بدنا نغنّي، بدنا نصيح   فليحيا دين المسيح

١. العراضة : اطلاق البارود في محافل الافراح والاعياد.
٢. الدبكة : رقصة شعبية يختص بها سكان سورية ولبنان والاردن وفلسطين. وللدبكة رئيس يقود الفريق الراقص باناشيد ايقاعية مناسبة.

دين محبه مع سلام   عمّت لكل الأنام
يا عشّي صوّل رزّنا   دين المسيح يا عزّنا
كنيستنا حجارها بيضا   معلّم يلّي بانيها
بانيها سيّدنا المسيح   بدمّو الغالي جاليها
عيد اللي مضى [1] مش عيد   هذا العيد الحقّاني
تنعاد عليكم تنعاد   كل سنه بهالميعاد
نحنا كلنا فرحانين   بقيامة سيّد العباد
قيامة يسوع المسيح   يلّي قام من الضريح
بصوت العالي منصيح   تنعاد عليكم تنعاد

اثنين الباعوث

تشتهر مدينة محرّدة بـ «السحجة» وهي انسجام مجموعة من المشاركين في موكب الباعوث فيمسكون أيدي بعضهم البعض بحلقة دبكة أثناء المسير في الموكب وينشدون الأهازيج والأغاني الشعبية يتقدمهم من يجيد الغناء، فيقول وهم يُرددون بعده، ويُحمل على الأكتاف أحياناً فيظهر للعيان ويلقي الحماس في من حوله. ومن الأغاني المعروفة :

هيا بنا هيا بنا   دين المسيح يا عزّنا
هيا بنا هيا بنا   الخوري (فلان) يا بيّنا
هيا بنا هيا بنا   اليوم قيامة مسيحنا
علّي يا طير الحمام   بشّر إنو المسيح قام
بشّر بدين المسيح   دين محبّه مع سلام

١. يقصد به الفصح اليهودي.

اللّـه يـديـمك سـيّـدنـا   يـلّـي وحّـد كـلـمـتـنـا
هـذا الـيـوم فـاض الـنـور   الـلّـه يـعـمّـر ديـر الـروم

وينشدون في قلعة جندل وقطنا (ريف دمشق) :

عـيـد الـقـيـامـة عـيّـدنـا   قـيـامـة يـسـوع سـيّـدنـا
والـيـوم اثـنـيـن الـبـاعـوث   عـم تـعـيّـد بـلـدنـا

عيد القديس جاورجيوس

وجدت هـذا الـشـهـيـد مـكـروم   عـنـد السريان وعـنـد الـروم
وكتبوا في مصحف معروم   يـحـوي أشـكـالاً وألـواني
كـان جرجس مـاشـي بأدب   ومـن صـغـرو مـا كـان يـنـعـاب
مـؤمـن بـالـمـسـيـح ومـواظـب   بـأمـور ديـن نـصـراني
ولما كـان فـي ذاك الـحـيـن   في بيروت ظـهـر تـنـين
عـيـونـو تـقـدح نـيـران   ويُـعـرف بـاسـم الـثـعـبـان
وكـان الـفـارس أمَّـنْـهـم   وبـقـتـل الـتـنـين طـمـنـهـم
وعشرين الف عـمّـد مـنـهـم   غير الـنـسـا والـصـبـيـانِ
يجيبوا لـه الشمع والـبـخـور   هـدايـا مـع قـربـان ونـذور
ومـع كـثـرة تـوقـيـد الـنـور   اسـودت كـل الـجـدرانِ
بـاسـم الـلـه اول مـا بـديـنـا   والمسيح يـحـمـي الحـاضـريـنـا
مـار جـرجس واقف وسـطـيـنـا   ومـار الـيـاس عـاكـتـف الـيـمـيـنـا

من المناسبات الاجتماعية:



«حلاّق واحلق للعريس...».



تحضير الحناء للعرس.

جينا لنـدير الميّه لقينا الميّه محميّه
حاميها مار جرجس وبإيدو حامل شبريه
قوتو هي من المسيح تا يحمي المسيحيه
يا مار جرجس دستورك زوار وجينا نزورك
لما دخلنا عالهيكل فاحت ريحة بخورك

تذكار قطع رأس يوحنا المعمدان

يا مار حنا يا مار تحفظلنا ها لزوّار
حمانا سيدنا المسيح لما دخلنا هالمزار

أحد العنصرة

من أهازيج الصغار في عرنة :

يا عنصره وتنعصري شدّي الحبال وتخنصري
نزلت مريم لتشتكي لبست ثوبها الفشتكي

عيد التجلي

الليله ليلة عيد الرّب ونحنا رجالك يا اللّه
بينحبّ كثير بينحبّ يلّي بها الليلة تجلّى

عيد القديسة بربارة

«مدحة» او مديح يقال بخاصة في مقامها بحلب، تُروى فيه قصتها، التي أدّت في النهاية الى استشهادها. وهذه المدحة تختلف قليلاً من منطقة الى اخرى :



احدى قريبات العريس الى جانبه حاملة وعاء الحناء الذي تزينه شموع الرجاء والامل ... وصغير يرقص امام العروس.



العروس ترقص حاملة الحناء.

يا قديسه بربارة | عند الرّب مختاره
أبوكي هالكافر | عبّاد الحجاره
جاب السيف ليذبحك | صار السيف ستّاره
جاب الحبله ليشنقك | صارت الحبله حرّاقه
... قالت البنت يا رحمان | يا خالق كل الأكوان
اقبل دمي كالقربان | حبًّا بدين النصارى
كل من كحّل عينيه | تدرّ البركه بين يديه
ومن عذاب النار تنجّيه | ومن نار جهنّم وشرارا
سِرّ يا أخي واتبعها | دين المسيح مرجعها
واطلبوا جميعاً شفاعتها | عاشت القديسة برباره

٢- في المناسبات الاجتماعية

الاهازيج و«الهلاهيل» و«الهنهونات»، والزغاريد أو «الزلاغيط» و«الشوبشة» في مناسبات الافراح، والرثاء والندب في الاحزان، تعبير شعبي مستحبّ ومتداول في الارياف إجمالاً. اما في المدن الكبرى، وبخاصة في العاصمة دمشق، فما عادت متداولة الاّ نادراً، ويعتمدها ابناء الريف في مناطقهم، او متى كانوا يسكنون احياء واحدة في المدن، كالوافدين من الجزيرة (الحسكة وسواها) وحوران، القاطنين احياء الطبّالة والدويلعة في دمشق. يقابل ذلك خروج اهل دمشق المسيحيين وسواهم الى ابعد من حدود المدينة القديمة للسكن في الضواحي، مما يبعدهم - في تفرّقهم ومع المدنية الحديثة - عن الفولكلور وتراثهم الشعبي.

بعض هذه الاهازيج يُعتمد في اماكن كثيرة. لكن عدداً من المناطق والقرى لها احتفالاتها واهازيجها وعراضاتها المميزة، بخاصة في مناسبات الافراح، تعمّدنا إثباتها، واكثرها من ريف دمشق. وهي، اذ تنضح بالبراءة والعواطف الطيبة، فإنها تشكو بعض البساطة والتخلخل في النظم والقافية. لذلك يصحّ فيها القول إنها ركيكة المبنى، لكنها جميلة المعنى.

المؤمنون والاكليروس

يحترم المؤمنون الكاهن ويرون فيه ممثلاً للمسيح. ويعتقدون ان من واجبهم القيام بأوده، لأن لا عمل له إلا الكهنوت. في ما مضى، كان الكاهن يذهب الى البيدر (مكان تجميع المحصول) ويأخذ مؤونة الشتاء من قمح وغيره، وكان الشعب يخصّه بقسم من بقية المنتجات. اما الآن فيتلقى نقودًا لقاء الخدمات الروحية التي يؤديها.

والأهازيج الشعبية تؤكد احترام الاكليريكي ومحبته، كما في حماة :

خوريـنا الله يديمك | ويديم الصليب على جبينك
يا مكلل العرايس | ومعمّد الصبيان عا يمينك

في الافراح و الاعراس

هذه الاهازيج لا تزال تقال في مختلف مناطق ريف دمشق... في القلمون، عرنة، حرستا، عربين، الزبداني.

يقال في القلمون ترحيباً بالضيوف «ليلة التعليلة»، التي تسبق العرس :

أهلاً وسهلاً ومرحبتين   بالضيوف المحترمين
مهما عملنا مقصّرين   سامحنا وهات عفوك
أهلاً وسهلاً بهالضيف   منشانو طاب الكيف

وتبدأ الزغاريد (او الزلاغيط) دائماً ب «أوها»، او «أويها» وتنتهي ب «لي لي لي»، او «لولولوليش»...

إيها أهلاً وسهلاً يا ضيوفنا زرتونا   إيها واخضرّت الدنيا وشرّفتونا
إيها عقبال الأفراح عندكم   إيها بنزوركم مثل ما زرتونا

وهذه تقال ايضاً، في عرنة، على الغداء :

صحتين وصحّه   وألف عافيه معها
وتفضلوا عالميسور   مع كل حبّه صحّه
عيشنا عيش واللي ما بيعمل مثلنا   لأيش عيشتو لأيش

ولمشايخ المسيحيين الحاضرين، يقال في القلمون :

إيها شيخ فلان ويا شيخ النصارى   إيها قبضة سيوفكم فضة كساره
إيها شيخ فلان يا سياجنا   إيها يا ناصب الميزان يا حقّاني

وهذه تقال في القلمون وحرستا وعربين للّواتي يشاركن في الرقص (ملحنة) :

هالَّيله هدّت حيلي يا نور العين   فتّح يا ورد الجوري على الخدّين
هالميله هدّت حيلي يا جميلي   تهت مضيّع دليلي والدرب فين
أوها عا لغْلغي عا لغْلغي   أوها يا صبايا تجمّعي
أوها يا ليل طوّل   أوها يا شمس لا تطلعي
أوها يا ضحى صيني   أوها يا مكلل بالياسميني
أوها يا عريسنا صغيّر   اوها ما طبّق العشريني

يقال للعريس، في الزبداني، عرنة، دمشق :

يا رب يسلم لنا العريس   ويعيش لنا
مثل ما عاش الحمام   بروس الجبال
شب ظريف عالحمرا   ويلاعبها برمح مطاوي
يوم الحرب صنديد

يا شيخ يا شيخ   يا مشمش خرساني
ويا موجة البحر   تروي كل عطشان
عريسنا يا أسمر   يا قالب السكّر
يا ابو عيون السود   يا مزيّن المحضر
سيد العريس عدّ خواتمك بإيدك   الكرم كرمك واللولو عناقيدك
رب السما بنعمتو يزيدك   وتروح عا قبر المسيح وتقبلو بإيدك

بعض هذه الأهازيج يردّدها المسيحيون والمسلمون، في دمشق وريفها وغيرها:

أويها على بابنا في رمانه
أويها مدري حامضه، ومدري لفّانه (لذيذة)
أويها حلفنا ما نقطفها
إلا لنشوفكم بالسلامه

أويها ياحبة البنّ قلبي والنبي حبَّك
أويها بأراضي اليمن ليزرعوا حبَّك
أويها لصير درويش أدروش على حبَّك
يعتق سبيل اللي شافك وحبَّك

يا شاليش (اسم العريس) يا شمله من المرجان
عليك حرز النبي لو رحت نحو الشام
وحياة تربة المسيح والواحد العدلان
يطول عمرك وتكون العاقبه صبيان

تقال في حمام العريس:

يا مير (اسم العريس) إلك بالشام حمامين
من الشطّ للبطّ، من القلعه لنبع العين
يا مير لبس الأزرق يلبقلك
معزوز ومكرّم تسوى من الذهب ثقلك
بين كل الشباب ما شفت لا بذوقك ولا بعقلك
وأنت (اسم العريس) والإسم لابقلك

وعند إلباسه بدلته:

يا عريساً تحت فَيّ الجوز حلقولك
وأولاد عمك على الشهبا يشدولك

لبسوك فروة السمّور عا طولك
من عند بَيّك وما راحوا استعارولك

ويقال ايضاً:

الشاعر بشعرو غنى   العريس ريتو يتهنا
جيبوا القميص للعريس   تا يلبس ويتهنا
جيبوا الكرافه للعريس   تا يلبس ويتهنا
جيبوا البنطال للعريس   تا يلبس ويتهنا
جيبوا الجاكيت للعريس   تا يلبس ويتهنا
جيبوا الجرابات للعريس   تا يلبس ويتهنا
جيبوا الصبّاط للعريس   تا يلبس ويتهنا

وتزغرد أم العريس:

مباركي البدلي يا بنيي   يا روحي وضوّ عينيي
الحمد لله عاجبره خواطرنا   الحمد لله أحنا الهنيي

ومنهم من يطلب من شاعر القرية أن يقول للعريس بيت عتابا ، فمنها:

حلوه يا طابخ القهوه بدلتك   لو بدلولي الكون والله ما بدلتك
عريس الزين مبروكي بدلتك   وعقبها للصبايا والشباب

ثم تبدأ الدبكة على الأغاني مع صوت المنجيرة والمجوز:

وردتين براس خدك وردتين   وينك يا حلو وينك قولّي وين
عيني ما شافت عينك صار إلها شهور   خايف ما بيني وبينك يحكولك
حتى ما توفي دينك يا نور العين

أما اخت العريس فتزغرد :

أوهـا أنـا أخت العـريس أنـا
أوهـا قضيت عـمري مـا ذقت الهـنـا

أوهـا قضيت عمر أنطر فرحتك يا خيي
أوهـا وتشهد علـيي نجوم السـما

أويـها يـا أهل هالمحضر ما بعرف أساميكم
أويـها يـا ريحة الطيب تفوح بأهاليكم
أويـها لجيب بنـا يبني بعلاليكم
أويـها يـا قاصدين الفرح ربي يهنّيكم

يُنشد للعريس الأسمر في حمص:

عريسنا يا أسمراني أصلك
من العود والعود غالي
وحياة عمرك بحبّك مغاني
وزفّك من الحمّام لباب داري

ريتو مبارك يا عريس جديد
وريتو مبارك وعمرك يزيد
ريتو مبارك يا سند اخواتك
يا زينة الشباب بكل عيد

وتغني النساء للسمر إجمالاً :

أسمر سمرمر سماوي شبري صدري
مكّي حجازي يماني مغربي مصري

اسمر السمر أهلك عيّروني فيك
وكل ما عيّروني زاد رغبي فيك

حط الحبق عالطبق وأنا النّدى بسقيك
أنت الثريا وأنا الميزان يلعب فيك

يقال للعروس في دمشق، وبخاصة في ريف دمشق :

في حمام العروس :

شَعرِكْ طويلْ أحب النومْ في ظلّه
أحلف يمين الشتا والصيف ما حلّه
راح أبوكِ للباشا وبيّنله
شعره من البيض تسوى عسكره كله
شعرِكْ سنابلْ ذهب بيحيّر الولهان
ما بين شعره وشعره ينبت الريحان

بعد ارتداء العروس ثيابها ، تقبل التهاني :

يا واقفه عالجلي يا لابسه الصايه
يا مليحه يا حشيمه يا مربّايه
شبّهت قامتك وكأنها مرايه
قومي العبي يا صبيه وريتك مهنّايه

وعندما ترقص بفساتين الجهاز :

يا عروسه فصّل الخياط بدلتك
وزرار الماس من عنقك لصرّتك
يا عروسه ويا جبين يلي بيتصوّر
يا ورد جوري مرشوش عليه سكّر

يلّي معمول ياخذ مثلك وأكثر
ويلّي ما معمول عالزينات يتحسّر

أوها البّستك الأبيض والشاحط على طولو
أوها روحو للعريس وعا بنت الأصول حكولو
أوها عروستنا وعريسنا لولو بلولو

أويها البستك الأبيض طيّه على طيّه
أويها البستك الأبيض يا نور عيني
أويها لما بتطلعي من الدار قولي بخاطرك يا بيي

أوها قامت عروس تنتقل من دار لدار
أوها (بيضاء أو سمراء) صغيره بالقبقاب تتمختر
أوها لما شافها عريسها قال العفو يا ستّار
أوها كان القمر بالسما وشو اللي نزلو عالدار

وعند زفة العروس :

يا طولك طول القضيب	ولحمك معجون بحليب
يا إنتِ بنت (فلان)	وعلى راسك علامة الصليب

لوالدة العروس :

فستانك هالزيتي	أويها عزمتك على بيتي
والله يستر شيبتك يا أم العروس	على ها الصبيه اللي ربيتي

وتزغرد النساء للعروس البيضاء، في الزبداني والقلمون، مع الدبكة والدلعونا :

أبيض بياضك وجهك من النمش خالي
بين البزاز كواكب تلوح يا خالي

ياشادي القمح هات المدّ وتعالي
نخّخ الجمل وحمّل قمحنا الغالي

يا هالزبداني ما أحلى بناتك
يمشوا عالأرض دلعن دلعونا

يا عروسه يا بيضه ويا غضه
يا سمكة البحر تسبح في حوض فضه

ورد العرايس عند العصر بيندّي
يا بلبل الصبح عالأغصان بيهدّي

أحكيكي يا نور العين ما تردّي
وحياة أبوكِ وأخوكِ تحفظي ودّي

أوها اسما للّه عليكي وعين اللّه عليكي
وعين الحسّاده برا ما تعبر عليكي

عند أخذ العروس من بيت أهلها (في القلمون) :

يخلف عليكم كتّر اللّه خيركم	انتوا المناصب ما مناصب غيركم
يخلف عليكم كتّر اللّه خيركم	انتوا الأكارم ما أكارم غيركم
يخلف عليكم كتّر اللّه خيركم	أنتوا السخايا ما سخايا غيركم

عند احضار العروس إلى الكنيسة (في عرنة) :

خفي رجلك يا بنيّه	صارت الدنيا عشيه

وعندما تطل العروس :

طلّي يا عروس طلّي	وبقلب العريس غلّي
طلّت شمس المضويه	وشلحت نورها مسويّه
وطيور الجنه غنّت	مع أنغام الحريه
يخلف عليكم	كثّر اللّه خيركم

اناشيد العرس و«العراضة» ذهاباً الى الكنيسة وعودة منها :

يقال في حمص ومنطقة القلمون :

كم رأس قطعنا   وكم جثّه رميناها
بهالهوج والموج   وحرب السيف خضناها
نحن الصقوره   من سود اللحى نحنا

حمره من الخيل يا هو   وجلالها من قطيفه
ركّابها (فلان) يا هو   يشبه الزناتي خليفه

بارودنا فجفج الدير يا هو   صاحوا العذارى عفاهم
خيالنا بألف خيال يا هو   والما يصدّق يلاقي

المهر مهري   وأنا بعرف طبايعه
والسيف سيفي   عا رقاب الرجاجيل

عراضة الذهاب الى الكنيسة، في عرنة :

تهلل يا قلبي وفراح   غني يا لساني وشراح
بيوم عرسك يا عريس   بالطرب رنّ الاقداح

عريس يا غالي علينا   على إكليلك جينا
رب السما يهدينا   ودوم نغني بالأفراح

عراضة في صحنايا :

يا صحنايا العديّه   نعتز بماضيها
قلبي معتز وفرحان   جايين نهني العرسان
العروس شمس مضويه   والعريس يا قمر نيسان

العرسان انشالله بيتهنوا   وعقبال كل العزبان
عريسنا ما أجملك   وأرواحنا تفدى إلك
إنشا لله تتهنّا يا عريس   إلهي يتمّم فرحتك
والسعد واقف عالبواب   جايي يبارك لك فرحتك

عراضة في قلعة جندل :

دار الفرح علّيها   تستقبل مهنّيها
فيها بيوسف حسن   سباع البرّ مرّوا فيها
شبان القلعه أبطال   عند الشدّه تلاقيها
شبان القلعه إخوان   لا تفرق أهاليها
شبان القلعه إيد بايد   بيوم شربو سباع الغاب
بين القرى معروفي   لا بتكلّ ولا بتهاب
القلعه يا أم الأفراح   فيكي تربّت الشباب
شبان القلعه أبطال   هيك اللّه عاطيها
يا ربي تدوم الأفراح   وكل الناس تهنّيها

ما يقال في صحنايا وقطنا وقلعة جندل :

دار الفرح هنيها   ونعتز بأهاليها
دار الفرح دار الجود   شو ما راح تطلب موجود
فيها رجال الأطايب   معروفه مباديها
لما تنادي سباع البر   بصحنايا بتلاقيها
فيها رجال الحميه   بدروز ومسيحيي
إسأل وين المراجل   بهالدار تلاقيها

وعند الوصول الى مشارف الكنيسة (اذا كانت على اسم القديس جاورجيوس) :

يـا مـار جـريُس دسـتـورك — والـعـريس جـايـي يـزورك
جـيـنـا نـكـلـل الـعـريس — فـاحت ريـحـة بـخـورك

وعندما تصل العروس الى الكنيسة :

يـا مـار جـريسُ جـيـنـا نـزور — عـا كـنـيستك يـا أبـو الـنـور
شـمـع الـعـرس مـن ضـلـوعـي — ومـن حـبـة قـلـبـي الـبـخـور

بعد الإكليل مباشرة، يقال في دمشق وايضاً في حماة وحمص:

يـا حـمـامـه حـوحـمـيـلـه — وانثري ريشك عـلـيـه
وفـلان طـالـع عـريس — يـا عـذرا عـيـنـك عـلـيـه

(حوحميله : أي دوري حوله)

يـا عـريس الـزيـن — تـتـهـنّـا يـا نـور الـعـيـن
واجب عـلـيـنـا نـهـنـي — الـدنـيـا بـعـيـن وانـتـو بـعـيـن

ويقال للعروس :

شـافك الـلـه دسـتـي دوس — ودّا مـلايـكـة الـفـردوس
يـا عـريس تـفـضّـل بـوس — بـوسـه نـقـدي وبـوسـه ديـن

وتعود العراضة الى منزل العروسين :

مبروكـي الـزيـنـه لـلـزيـن — وَردْهُـم فـتّـح عـالـمـيـلـين
الـلـه يـديـم الأفـراح — تـا نـغـنـي عـالـراس والـعـيـن

وعند الاقتراب من بيت العريس، يقول أهل القلمون :

جبنا العروس وجينا تسلم يا أفندينا
جبنا العروس وجينا خلّوا العريس يلاقينا
جبنا العروس وجينا يا ويل اللي يعادينا
جبنا العروس وجينا بالسيف والسكّينا
جبنا العروس وجينا تسلم العروس لينا

ويقال لوالدة العريس عند الدخول :

يا أم العريس زلغطي ولالي جات الكنّه ويا بدر الهلالي

فتنشد أم العريس للكنّة :

يا كنتي يا كنة الزينه سبحان الله هلّي وصلك لينا
حلفت ما لبّسك إلا حريرينا من عند عمّك إن كان الشبر بألفينا

طلعت من القصر ريحة نداها فايح تشبه غزال الذي من مرقده رايح
أمرق على الورد لاقي الورد لك لايح يا صيت بيّك مثل العنبر الفايح

أو : يا عروسه ويا تفاح مليسي أنا جبتك من أرض الشام على كيسي
نذراً عليّ وان جلستي مجاليسي لنقطّك بالذهب ليفرغ كيسي

ثم تبدأ الدبكات ومعها الأغاني، وهذه في ريف دمشق :

إنشا لله بيتهنّو العرسان وعقبها لكل العزبان
من بنات و من شبان وردي بجانب وردي

بجنينتنا ورد كثير مفتح ومزرزر وصغير
يبقى بصدر الأمير مثل بصدر الأفندي


من تقاليد الافراح: العريس يحمل عروسه لتلصق خميرة البركة قبل دخولها الى بيت الزوجية.

يا غزيّل :

يا غزيّل يا بو العبا — يا هاوي يا معذّبا
يا غزيّل طالع طالع — الأسمر عن صدرو دالع

يا غزيّلة بالوادي — غنّي مع طير الشادي
لروح مع الصيادي — وأتصيد لك أرنبا

عالهوّاره عالهوّاره :

عالهوّاره الهوّاره — يا بعد عيني الهوّاره
الهوّاره بنت يومين — عم بتكاغي باللفّه

بتكحّل هداب العين — وبتحمّر راس الشفّه
وكل يوم بتعشق شبّين — واحد وحدو ما يكفّي

وبتحطّ حمره عالخدّين — تتباهى بثوب العفّه
ويعجبني جهل الجدّين — الختيار والختياره

دلعونا :

طلعت (فلانة) عالجبل مني — لبست الضيّق والضيّق شربكني
وأصرّ عليّ حتى ينام أبني — ومن بعد أمرك شرّف لهونا
يا طالعه عالجبل من دون عكازه — يا بنت ١٢ سنه وما حلّك للجازه
خدود مربى الكرز وعيون غمازه — والشعر شقة حرير، ما أظرفولونا

ويقولون للعريس (معنًّى) :

العريس والعروس بفرد قلب تشاركوا   واتفقوا سوا حتى الأيام يعاركوا
وعين العنايه وقفت عليهم شهود   والله بيمينو الاتفاق مباركو

أو: جـيـنـا تا نـهني العريس   وهـذا واجب عـلـيـنـا
يـا ابـو الـوجـه الأنـيس   انت غـالي عـلـيـنـا

ويخصّون العروس ومعها الاشبين بزلغوطة :

أويـهـا يـا خسّ بـطـيـنـو   أويـهـا مـزروع بـبسـاتـيـنـو
أويها يلّي بيحب العزّ والناموس   أويـهـا يـوقّف (فلان) اشـبـيـنـو

كما عند الطوائف المسيحية الاخرى، فلأبناء طائفة السريان في دمشق والحسكة بهذه المناسبات أهازيجهم الخاصة الفرحة، تُقال في الاعراس بلغة خليطة من السريانية والعربية :

في دمشق والحسكة يقولون :

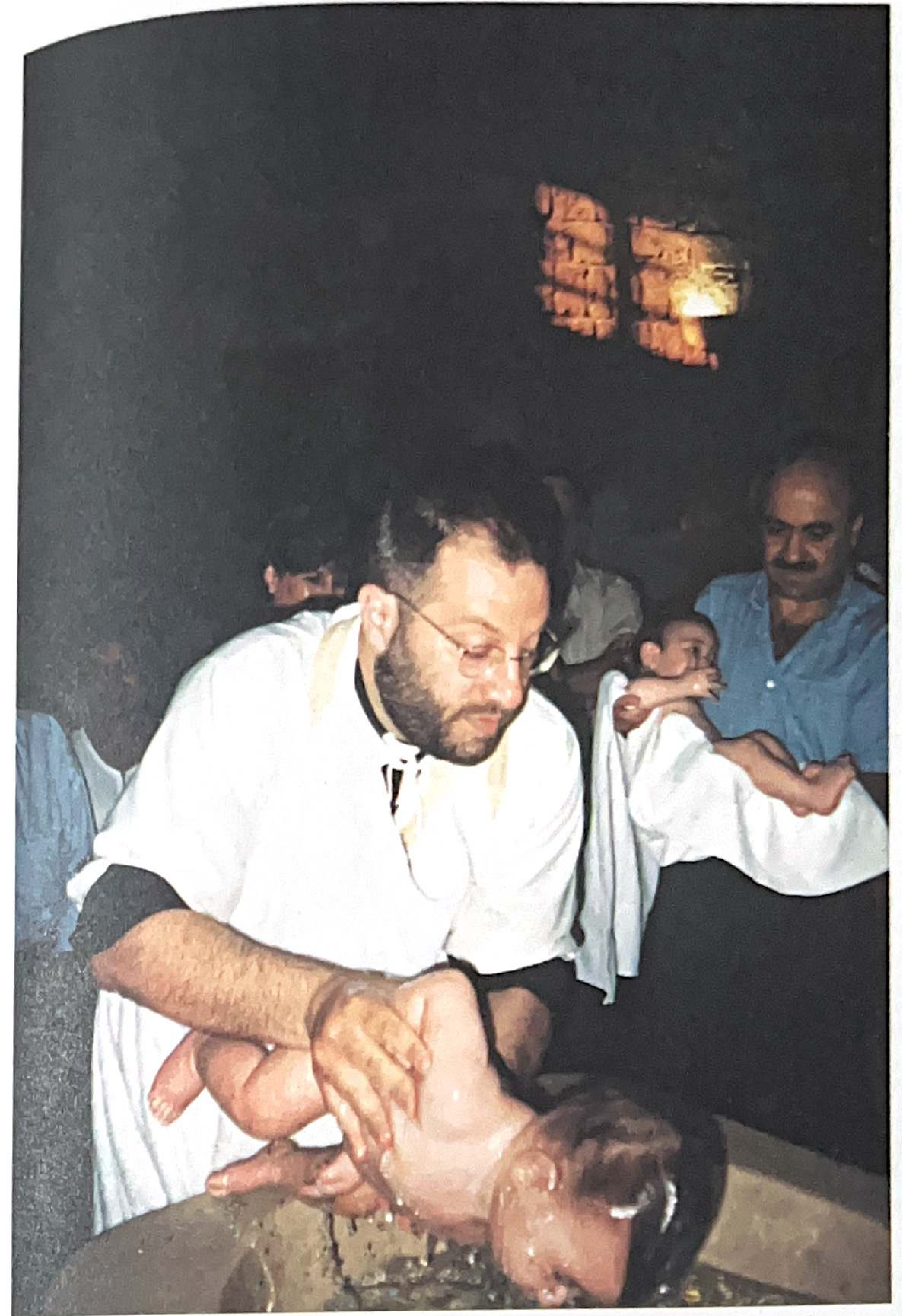
- الله سوا دوس، دوس ايمار ربي دوس دوس ايمار هى)
صلوا على عيسى زين زين مكحول العين واللي يعادينا الله عليه.

والقسم الاول من الهنهونة (دوس دوس) بالسريانية يترجم الى العربية (افرحوا، افرحوا). و(ايمار ربي) تعني (قال ربي). وفي الرسالة الى (فيليبي ٤:٤) يقول القديس بولس افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا.

- وهناك قول آخر دعاء من أجل العريس وهو (وركن قولوا الله يكمل افراحو).

- ايضاً في حلب، ومن جملة ما يطلق غير السريان في الاعراس، هاتان «الهنهونتان» :

إيها دقت الطبول والزمر غنّالها
إيـهـا يـا محلا عروستنا ويا مكوس دلالها



معمَد يغطّس في الماء... وآخر ينتظر دوره.

إيها يا ستّ الحسن إجت من اكليلها
وعشرين من الصبايا شاقليلها ديالها

إيها يا نهر حلب حاجي تمتلي وتزيد
إيها عدّوا عليك الصبايا بلباس العيد

إيها خشخشتلن بالذهب قالوا الذهب ما نريد
رعبون غيرك سبق وان كنت عاشق زيد

المولودون الجدد والعماد

عند إدخال المولود الجديد لأول مرة الى منزل الاقارب والاصدقاء يقال: «وجه جديد ورزقة جديدة». وعند العماد يقال، في ريف دمشق:

ان شا للّه العماد مبارك ... بها الحفله منتشارك
يظلّ الفرح بديارك ... ريتو العماد مبارك
المولود يبقى بسرور ... يعيش، بعرسو نتشارك

كذلك يقال في منطقة حماة:

باسم الله أول ما بدينا ... والمسيح يحمي الحاضرينا
أول ما نبدا ونصيح ... على سيدنا المسيح
أول ما نبدا ونقول ... ع هالعذراء البتول

ويقال للمعمود والكاهن معاً، في حماة:

طلعت النجمه والتفتت يمين ... الخوري اللي عمّدك يلبقلو بطرشيل[1]

١. هذه تقال للعريس أيضاً، مع إبدال كلمة "عمّدك" بكلمة "كلّلك".
والبطرشيل قطعة قماش مستطيلة يلبسها الكاهن في اثناء الخدمة الروحية، وهي كلمة معرّبة عن اليونانية.

أغنية ترددها الأم لرضيعها لكي ينام:

نام يا أمي نام ... لذبحلك طير الحمام
يا حمامات لا تخافوا ... بضحك عا إبني تا ينام
يا جمّال يا عمي ... ما ريدك ريد إمي

وعندما يستيقظ:

تقبرني تقبر تقبر ... تنزل عا قبري تحفر
تقبرني وتحلّ الشاش ... تبكي عليي دموع رشاش
دخلك دخلك دخيلك ... دخل الخلقوا من جيلك
أروح لعند الصايغ ... ليصغلك خلاخيلك
تش تش تش تشتش تشتشلو ... وعا عروس فتشلو
تكون ظريفه مثلو ... تطقّشلو وتفقّشلو

للأطفال

اناشيد للأطفال من حماة:

عم بينادينا الفادي

عم بينادينا الفادي ... يا رفاقي بصوت الهادي
ضلوا بقربي يا ولادي ... صوت الفادي عم بيقول
يا مخلصنا وفادينا ... عا صوتك نحنا جينا
ورحمة قلبك بزياده ... عطف وإيمان عطينا
نزرع حب ويحلا العيد ... يالله نشبك إيد بإيد
الحقلة بدا حصّادي ... نادي عا رفاقي من بعيد

رف يـــغـــطّ ورف يـــطير   دربك مـــزروعـــه عصـــافير
وحـــبّـــك إلـــنـــا زوّاده   بـتســامـح، بتـحبّ كـثير

الراعي

يسوع هو الراعي   يلّي ما اطيب قلبو
إحزر أنا مين   مين خاروفو اللي بيحبّو

بيدير بالو عليي   وبيدلّلني كثير
بيوَشوِشني بِدَيْنيّي   شو بحبّك يا صغير
وبيحمِلْني عَ كتافو   وبيغمُرني بألطافو

لما بروح بعيد   أو بوقع بالمروج
بيلحقني وبيعَيّطلي   وينك يا غنّوج ؟
ضَحّيت بدمي فداك   حاج تعذّبني وراك

يا هلا !

اهلا وسهلا ونشكر الله   جينا نصلي ونشكر الله

يا هلا يا هلا يا هلا

ربي نوّر عقلي وفكري   وسهّل دربي ويسّر أمري

يا هلا يا هلا يا هلا

وهنّوا القلب بحب الفادي   غنّوا وحيّوا أهل الوادي
كلّن عم يستنوا لقانا   ما أحلانا، ما أهنانا

يا هلا يا هلا يا هلا

ونبني المستقبل ونعلّي   جينا نرتّل جينا نصلي
كل الشر العالق فينا   فاغسل فينا يا فادينا

يا هلا يا هلا يا هلا

وهنّوا القلب بحب الفادي   غنّوا وحيّوا أهل الوادي
تحيا بلادي وعزّ بلادي   تتغنّى بفرحه ونّنادي

يا هلا يا هلا يا هلا

منهونة للاطفال من دمشق وريفها :

وين يسوع بقلبي   مين حطوا النعمه
مين شالوا الخطيه   روحي روحي يا خطيه

تعا يا يسوع لقلبي

بعض ما تقوله الامهات للأطفال قبل النوم، في دمشق وريفها:

* حطيت راسي على فراشي وسبع صلبان فوق راسي. مدّ المسيح يمينو، قرا كتبو وأناجيلو. تزعزعت الجبال، طلعوا ثلاث رهبان : بطرس وبولس ومار يوحنا المعمدان. العذراء نايمة بقبّتها العالية، إجا ابنها لعندها، قلّها : يا أمي يا عذرا، نايمة ؟ قالتلو : بين نايمة وبين فايقة، حلمت بمنامات بحقك رديّة، إنّو اليهود عذّبوك وأخذوا كاس المرارة وسقوك وباكليل الشوك كللوك. قلّها يا أمي صدقتي وصدق كلامك وما حدا بيخالف كلامك، ويلّي بيصلي «أبانا والسلام» بيخلص من عذاب النار وبيموت موتة هنية، بشفاعات أمي العذراء دائمة البتولية.

* من الله ومن مار جريس نترجى. يا أبو الحصان الأبيض والرمح الاخضر، وبحقّ سر القديسين بطرس وبولس ومار يوحنا المعمدان تورجيني في حلمي ان كان للخير ميّه وخضرة، وان كان للشر سواد وغبرة.

في الموت

ندبة تقال في بعض مناطق دمشق :

فارقتكم والله لا كرهاً بكم
إنما دهري عليّ كان قد قسا
تركت رسمي بعد موتي عندكم
لتذكروني في الصباح والمسا
تركت ديارنا يا ابن البرايا
لماذا زارنا الموت المريع
عليك الرحمة الكبرى حبيبي
وفي الجنات يحفظك المسيح
راحلة طيبة قد كنتِ خير أمٍّ
قولا وفعلاً ... أفراحاً وأحزانا
قد غبتِ عنا بأطباق الثرى جسداً
لكنك لم تغيبي روحاً ووجدانا
يا من رحلتِ عن الأحباب بالجسدِ
ذكراك باقيةٌ في القلب والكبدِ
أحبّتي ما البعد عنكم بخاطري
لكن قضاء الله أمر مقدّرُ
قضى الله بالتفريق بيني وبينكم
وكل قضاء على الجبين مسطّرُ

موت الشباب، في منطقة دمشق :

شيلوا يا شباب شيلوا
شيلوا (فلان) عا إكليلو

يا إخواتو الطيب هاتوا
وشنشلولو مناديلو
حيف يا طيب السوادي
وين عنا اليوم غادي
تارك ربوع المحبّه
موشّحه بثوب السوادي

في عراضة موت أحد الشباب في دمشق، يردد رفاقه :

يا مار (شفيع الكنيسة) دستورك
(فلان) جاي يزورك

يقال للحارة (او القرية) التي منها الشاب المتوفى :

هوجي يا (...) هوجي   راحت ورده من حارتنا
هيي الورده الجوريّه

ندبة الأحزان في قلعة جندل :

يا سليمى ظلمتينا   وفرّقتي عنا أخينا
حيف يا ركن الشبيبي   تسكن قبور الرهينا
حيف يا ركن الشبيبي   مصيبتك أكبر مصيبه
تنوح إختو يا حبيبي   يا أختي ودّعينا
بيوم ساعة وداعي   عالقرى ودّوا نواعي
يا أمي عندك أواعي   كل يوم بتذكرينا

وأيضاً (بغير لحن) :

البين بجورو آلمني — شوفة رفاقي حرمني
سقاني كاس المنيه — أمر من ربي حكمني

أمر من ربي أتاني — أخذني بأول زماني
بودّع أهلي والمكاني — بساعة غفله ما علمني

يا أختي إبكي عليي — ودّعيني عالمنيّه
وصبّري أمي وبيي — واحفظيلي أواعيي

وأيضاً :

ودّعوني يا ولادي — ما بقي مني إفادي
الموت ما منّو هريبه — أمر من رب العبادي

الموت ما منّو هريبه — عالصغير وعالشبيبه
فرقتي عنكم مصيبه — تحمّلوها بالإرادي

هالمصيبه تحمّلوها — هالناس كاسه بيشربوها
بريد أمي تكرّموها — وقبّلوا عني الأيادي

وأيضاً :

يا غراب البين كافي — ما بشوفك غير لافي
عكّرت كاس الاماني — ما بتخلّي كاس صافي

ملحق

إضافة الى السيدات والسادة الذين كانوا مسؤولين عن جمع المعلومات والواردة اسماؤهم في صفحة ٢٣ من هذا الكتاب، نورد في ما يلي اسماء الاشخاص الذين تفضلوا باعطائهم هذه المعلومات، مع الشكر والتقدير لتعاونهم :

السيدات والسادة من المناطق المختلفة في محافظة دمشق :

المطران جوزيف أرناؤوطي	صونيا شمعون
المونسنيور انطوان الخوري	داود درويش
الأب فؤاد هريرة	عيسى جزراوي وزوجته
جرجي دياب	ايمان نصر
أنطوان لبوس	روعة عبود
ميخائيل غنطوس وزوجته	هديل بدوي
نجيب جرجور وزوجته	أولغا حلبي
سارة حنا	جورج عبود
مالك الخوري	إبراهيم البشارة
آني حجير	سكرة القائد
طوني بتراكي	نجيب شكور
مطانيوس حصرون	سمير عبود

السيدات والسادة من المناطق المختلفة في محافظة ريف دمشق :

منطقة القلمون : النبك - دير عطية - يبرود - قارة

الأب أرسانيوس مقدسي	جورج سكرية
الأب سامي سياف	أنطوان حداد
الأب سمير حداد	ماري حداد
الأب جورج حداد	رنا طرفة
جبران شكر	

معلولا :

الأب الياس بخيل
الأب الياس الخوري
الأب سامي داغر
إبراهيم قويا
ليندا شنيص

صيدنايا :

الأب خليل الخوري
الأب جورج نجمة
الأب خليل خنشت
رياض الخوري
سامر شاهين
عسول الخوري

معرة صيدنايا :

الأب يوسف فرج
الأب الياس دبعي
وسيلة العنيني

معرونة :

الأب يوسف جحا
الأب سالم موسى
حنة شاهين

عربين وحرستا :

الأب كابي كحيلا
الأب عيد جبيل
ماهر بغدان
عيسى نايفة
طارق بغدان

داريا :

الأب جريس بدرا
الأب خليل اللحام
خليل مكاريوس لحام

جديدة عرطوز :

الأب يوحنا رزق
الأب متى رزق
الأب ماهر منصور
إياد بشارة

صحنايا

الأب جورج حداد
زهير عبيد

حينة :

الأب الياس البابا
الأب شريف فرح
سليم فرح

قطنا وقلعة جندل :

الأب فادي حداد
فارس كسيري وزوجته
قزما عازر
خليل سمعان

عين الشعرة :

الأب نقولا الخوري
الأب شريف فرح

عرنة :

الأب بطرس بطرس
فؤاد سمعان
قيصر شاهين
فارس أبو زخم

الزبداني وبلودان :

الأب أنطون الخوري
الأب عقيل الخوري
الأب نعيم الغربي
عماد بركات
إلهام مراد
أسعد موره

السيدات والسادة من حلب :

الأب انطوان دلي ابو
الاب جورج كلور
الأب جوزيف شابو
الشيخ عبد الكريم زيادة
غسان كبود وزوجته
اياد سلوم
أنطوان عبود وزوجته
نبيل البير وزوجته
ماريت بابة واخريات من القنية
منى منيرجي
جميلة شربتجي
ماري ارسلان
ناديا أجناص
جورج مانوق وزوجته
انطوان عبد الأحد وزوجته
كلود جبيلي
جورج موصللي وزوجته

موسى فستقجي وزوجته
عزيز طرقجي وزوجته
عبود عبدالأحد وزوجته
عبود حداد وزوجته
رازق تورو وزوجته
ماريا جبو
منير استنبولي وزوجته
سيلفيا ملكونيان
فتح الله كبود وزوجته
كريم كسبار وزوجته
نجيب بيطار وزوجته
ماري ساعور
انجيل ياندم
سيدات حاملات الطيب
اعضاء من جميعة مار منصور
اعضاء من جمعية الرحمة
اعضاء من جمعية مار جرجس

المراجع التي جرت الاستعانة بها بالنسبة الى المعلومات عن حلب :

- «حلبيات» عبدالله حجار، رئيس تحرير مجلة «الضاد» في حلب.
- «الأدب الشعبي الحلبي»، جمعه ونشره الأب يوسف قوشاقجي.
- مجلة «أورهوي»، من مقالة للأب جوزيف ترزي.
- «لغة حلب السريانية»، بقلم القس جرجس شلحت.
- «أخبار حلب كما كتبها نعوم بخاش»، تحقيق الأب يوسف قوشاقجي (٣ أجزاء).
- مجلة «المشرق»، السنة الأولى ١٨٩٨.
- كتاب «معالم حلب الأثرية»، للمهندس عبدالله حجار.
- «أمثال حلب الشعبية».
- «أعياد الكنيسة الأرمنية» (The Armenian Church Feasts).

الآباء الذين زودوا الاب بولس قصرين (حماة) بالمعلومات المطلوبة من المناطق المختلفة في محافظة حماة :

محردة :

الاب عبدو نجار

السقيلبية :

الاب لويس سكاف

كفربهم :

الاب جورج محفوض

برشتين وتين السبيل :

الاب يوحنا عساف

خاتمة

مما تقدم، يظهر تأثير الطقوس الكنسية واضحاً في حياة المسيحيين الاجتماعية، إذ تحوّل جانب كبير منها الى تقاليد تشكل التراث الشفهي الذي تتميز به المجموعات المسيحية في سورية.

هذه العادات والتقاليد الشعبية هي ليتورجيا عفوية، وثمرة اجيال من الايمان والعبادة، بعضها مستوحى من الدين المسيحي وطقوسه المختلفة، وبعضها الآخر من اساطير وتقاليد انتقلت من اديان وحضارات أخرى سابقة او لاحقة، تعاقبت وتواكبت في هذا المشرق الغني بها، فجاءت شهادة حية لله.

اندثر الكثير من هذه التقاليد بفعل الزمن، وقد استطعنا توثيق معظم ما تبقى منها بالكلمة والصورة، آملين في ان نكون قد ساهمنا، من خلال هذا الكتاب، بالتعريف بها وبحفظها كتراث اجتماعي-ديني متميز. فالامة التي لا تراث لها تفتقد جذوراً ضاربة في التاريخ تتغذى من عصارة الزمن المتميز بالحكمة والصدق والعفوية.

تشهد المعلومات المتوافرة على جمال العيش الواحد بين مختلف فئات المجتمع وشرائحه، المتفاعلة بعضها مع بعض. يتجلى هذا التآلف والتآخي بطابع هذه الاحتفالات وبالاشتراك فيها بمناسبات عديدة مثل : عيد الكرمة (ثاني يوم عيد الميلاد)، عيد رأس السنة الميلادية، عيد صيدنايا، عيد الصليب بخاصة في معلولا، عيد مار الياس، عيد مار جرجس، وفي سائر مناسبات الافراح والاحزان.

لقد تبلور هذا الكتاب فعلَ لقاءٍ وتعاونٍ مسكوني وأداة تعريف بتفاعل الحضارات في منطقة الشرق الأوسط التي حمل المسيح منها غصن المحبة والسلام الى العالم، قاهراً قوى الغطرسة والشر.

لم نقارب موضوعنا من الناحية النظرية، بل شئناه مرجعا عمليا يُحفظ في كل بيت ومؤسسة. قد لا يكون هذا العمل كاملا - والكمال لله وحده - ، إنما توخينا فيه الدقة والوضوح والإيجاز.

فعسى ان يكون كتابنا خطوة رائدة تستنهض المتخصصين للتعمّق في البحث عن خلفيات هذه التقاليد ومسار تطورها، ومن ثم توثيقها حفاظاً على التراث وتكنيزاً للأصالة.

ولئن بدأنا بسورية، فإن طموحنا يشمل سائر الاقطار المشرقية التي تعيش فيها جماعات مسيحية، لمزيد من التعريف بها وللتكامل بين افرادها وجماعاتها المختلفة.





